العدد ٧٨ ـ شعبان ١٤٠٢ هـ ـ يونيه ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

قابيل .. أين أخوك ؟

خالد محمد خالد

تفسير التاريخ الثقافي للخليج وشرق الجزيرة العربية

الدكتور محمد جابر الأنصاري

كهف الأخيار

قصة جديدة بقلم الدكتور شكري محمد عياد



جوائز السينما من يستحقها وكيف ؟



العشق المشترك للفنان الفلسطيني



تراث الهند .. يغزو لندن !



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٨ - شعبان ١٤٠٢هـ - يونية ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالى والادارى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دينان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خياء
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٣٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الهد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هذا العدد



ابراهيم العريض



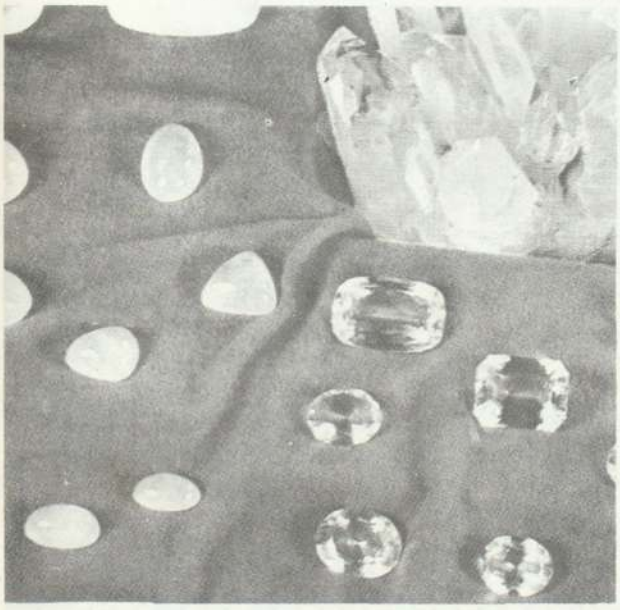
د . محمد جابر الأنصاري



عبد الله جفري



سعد مكاوى



الزمرد والياقوت واللؤلؤ والزبرجد وخامات الحديد وبقايا الاسماك المتحجرة منذ ملايين السنين . كل ذلك وغيره كان في اول معرض من نوعه في الوطن العربي ، يقام في متحف قطر الوطني (ص ٨٤)

- رسائل الى المحرر ٦
- لماذا نقتل الشعراء ؟ ! ... ... رجاء النقاش ٨
- نحو « نظرية » في تفسير التاريخ الثقافي للخليج وشرق الجزيرة العربية ... د . محمد جابر الأنصاري ١٤
- ورشة القصـــة في نيودلهي ... ... د . يوسف ادريس ١٨
- الحمى « قصـــيدة » ... ... د . غازي عبد الرحمن القصيبي ٢١
- قابيل .. اين اخـــوك ؟ ... ... خالد محمـد خالد ٢٣
- المسافة بين الخيـــال والحقيقة ... ... عبد الله الجفري ٢٥
- انور المعداوي ومحنـــة العصر ... ... محمود السعدني ٢٨
- جينولا كوهين .. النائبة الارهابية التى تنادى بابادة الجنس العربي ! ... ... عصـام شريح ٣٠
- فصول ابى البهاء في التحدي والرهان ... ... د . عبد السلام العجيلي ٣٤
- الساعة التى تسبق الفجر « قصة » ... ... سعد مكاوى ٣٦
- من تراثنا المعاصر : قصائد مجهولة ٣٩
- اليكس هيلي : الفنان الذى كسب الملايين واحدث هزة في العالم بعد رواية واحدة ! ... ... فوزى تادرس ٤٠
- الدراما التليفزيونية والالتزام الفني ... ... مرزوق بشير ٤٤
- لبنـــان « شعر » ... ... ابراهيم العريض ٤٥
- قراءة القران ولهجة اولاد البلد ... ... كمال النجمي ٤٦
- دائرة المعارف القرانية : الغارمون ... ... د . محمد البهى ٥٠
- كتاب الشهر : ازمة الحضارة المعاصرة في حوار العبـــاقرة ... ... عرض وتحليل : فؤاد كامل ٥١
- الاديب السعودي عبد الله بن ادريس : انا مـــع الحداثة في الشعر ولكن ضد الهلوسة المحمومة ! خليل ابراهيم الفزيع ٥٦
- الطاهر وطار : صوت جديد في الادب العربى الجزائرى د . حسن فتح الباب ٦٠
- ثلاث قصص قصيرة ... ... محمد البساطي ٦٤
- الفنـــان الفرنسي مانيـــه ... ... جمـــال قطب ٦٦
- تراث الهنـــد يغزو لنـــدن ... ... مجدى نصيف ٦٨
- العشق المشترك للفنان الفلسطيني ... ... حسن الملا ٧٤
- وما الحياة الا اكل وماكول ... ... د . عبد المحسن صالح ٧٨
- اسماك وقواقع ومحارات عاشت منذ ملايين السنين درويش مصطفى الفار ٨٤
- كهف الأخيار « قصـــة » ... ... د . شكرى محمد عيـــاد ٩٠

من واقع حياة الخليج قبل النفط وصراع الانسان مع البحر ومواجهته للأخطار
قناء الغوص ، اقيم معرض الفنانة الكويتية موضى الحجى فى الدوحة ليعرف
النشء ماضى الأجداد قبل ان يضيع.(ص ١٠٠)



● سعد زغلول فى قفص الاتهام ... ...
فتحي رضوان —
● دعوة العاشق « شعر » ... ...
حسن طلب ٩٩
● اول فنانة تسجل تراث الخليج فى لوحات ... ...
نادية رزق ١٠٠
● النـــوم الصحي ... ...
د. عز الدين فراج ١٠٢
● هل قامت اوربا بالسطو على الفن العربى الاسلامى.؟
نادر اصفهاني ١٠٤
● سيناء .. أرض الانبياء التى عبرتهـــا جيـــوش
صلاح الدين والظاهر بيبرس ... . كمال سعد ١٠٨
● لقطات من الـــكون المثير ١١٢
● العلم هو المستقبل ... ...
تقديم : لبنى الريدي ١١٤
● جوائز السينما من يستحقها .. وكيف.؟ ... ...
رءوف توفيق ١١٦
● ضـــحكات الشـــهر ... ... صلاح الليثى ١٢٢
● دوحة القراء ١٢٤
● استراحة الدوحة ١٢٨
● قصة الكرة مع الناس .. على مر الزمان ... ...
عادل شريف ١٣٠
● قنديل قافلة الليل « شعر » .
د . انس داود ١٣٤
● دوحـــة الماضى ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٣٥
● الورقة الأخيرة : كتبى اولادي ... ... حسنى شحاته ١٣٨

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير
التحرير : النور عثمان أبكر
عبدالله جابر
نادية رزق
ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبدالله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

دعوة لإنشاء جامعة عالمية

وصلتنا رسالة من مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالأردن هذا نصها :

« يسر مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالأردن أن يهدى اليكم تحياته وصادق مودته وجزيل احترامه ، ويلتمس ان يحظى موضوع هذه الرسالة بالاهتمام وان يكون لكم النصيب الأوفى فى تحقيق المشروع ، سائلين العلي القدير أن يمتعكم بالصحة والسلامة ، وان يجعل لكم من أمركم يسراً .

تعلمون أن الأمة الاسلامية امة متميزة ذات حضارة فريدة ، لا شرقية ولا غربية وتمتاز بخصائص وسمات غير موجودة فى الحضارات القديمة ، ومن مستلزمات هذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ان تحافظ على عقائدها وقيمها سليمة صافية ومشعة بالنور فى جنبات الأرض وان لا تسمح بأن تغشاها ظلمات الجاهلية الحديثة . ومن هنا يجىء الحرص على استقامة أجيال الأمة الاسلامية وسلامتها من التلوث لانهم قادة المستقبل والموجهون لسياستها ، والمتصرفون بشؤونها لنضمن مستقبلا آمنا وضيئا للأمة ، وسليماً مما نشاهده من تصارع وانقسامات على أرض الوطن نتيجة للاختلاف والتباين فى الثقافات التى جاء بها الشباب من البلدان الأجنبية التى تلقوا تعليمهم العالى فيها .

من هذا المنطلق جاءت دعوة مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالاردن الى تاسيس جامعة كبرى باسم (جامعة القرن الخامس عشر) ونقصد بها جامعة علمية شاملة ومتكاملة تضم جميع الكليات لجميع العلوم والمعارف التى تدرس فى الجامعات العلمية العريقة فى العالم وتتسع لمئتي الف دارس ، ومن الطبيعى ان تنطلق هذه الجامعة وتبنى على أسس العقيدة الاسلامية التى تعنى بصلاح الفرد والجماعة ، وتهدف إلى المعادلة بين الاشواق الروحية والحاجات المادية .

إن مئات الالآف من الطلبة العرب والمسلمين يتلقون علومهم العالية فى الجامعات الأجنبية وينفقون الاف الملايين من العملات القوية التى تحتاجها بلدانهم للاصلاح والتنمية الداخلية ، ويعود معظمهم وقد تاثر الى ابعد مدى بالعادات والتقاليد والمفاسد الاجتماعية فى المجتمعات التى درسوا فيها كما انهم يتعرضون باستمرار الى عمليات غسل دماغ تنسيهم انفسهم واهليهم ويعود كثير منهم وفى نفسه عزم على قلب المفاهيم والقيم فى بلدانهم وتحويل المجتمع الوطنى الى مثل تلك المجتمعات التى درسوا فيها .

أين تنشأ الجامعة ؟ .

فى حالة الموافقة المبدئية على إنشاء جامعة القرن الخامس عشر لا يصعب اختيار المكان المناسب ونقترح ان تقام على أراضي الدولة التى تقدم تسهيلات اكثر وتساهم بنسبة اكبر فى نفقات تمويل المشروع .

واذا قيل من أين يتهيأ للجامعة الكبرى جهاز تعليمى كفؤ ومقتدر فالجواب هو ان هذه المشكلة تكاد ان تكون ايسر المشكلات التى تواجه المشروع ، ذلك أنه يوجد فى الولايات المتحدة ودول أوروبا وغيرها عشرات الالآف من الكفاءات العلمية المتفوقة فى جميع فروع المعرفة والعلوم ، وهم يتحرقون شوقاً إلى الخدمة فى الوطن الاسلامى ووضع انفسهم فى خدمة أمتهم .

وقد تثار مشكلة تمويل الجامعة بحيث يظن انها ستبقى عبئا دائماً على موازنات الدول التى انفقت على إنشائها ، ولكن عند البحث والدراسة يتبين أن الدول ستبقى ملتزمة بعد الانشاء بنفقاتها لمدة لا تزيد على ثلاث سنوات ، ثم تصبح الجامعة بعدها قادرة على الاكتفاء الذاتى بما يحصل عليه من رسوم تعليم من الطلاب المنتسبين ، بل إنها ستفيض عن حاجتها فالجامعة المنشودة لو نظرنا إليها من وجهة نظر اقتصادية محض ، مشروع رابح بلا ريب بالاضافة الى الفوائد الأخرى ومنها الاحتفاظ بالعملات القوية داخل الوطن وتحاشى اخطار الثقافات والمفاسد الأجنبية التى مزقت الأمة تمزيقا وجعلتها شيعاً متناحرة .

هذا وإن مشروع الجامعة لا يحل مشكلة الدراسة فى الخارج بل هو حل جزئى وفى حالة نجاحه يمكن ان تقام جامعات مماثلة بعون الله . وما دام أن الله قد انعم وتفضل وزادنا بسطة فى المال فاننا نتمنى ان يكون لكم فضل السعى لتاسيس هذه الجامعة والعمل على انشائها بالتعاون مع أصحاب الجلالة والسيادة ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية .

وفقكم الله وسدد خطاكم وزادكم نعمة وفضلا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالاردن

● « ومجلة «الدوحة» إذ تنشر الرسالة بنصها إنما لتضع هذا المشروع الاسلامى القومى الكبير بين أيدى أهل العلم والفكر ، لعل هذا النداء يلقى استجابة وتلك الدعوة تلقى قبولا . ولعلنا نسمع ونرى عن قريب بداية لابراز هذا الأمل الى عالم الحقيقة والتنفيذ » .

ثلاثة اقتراحات

● بعث إلينا محمد عبد الله محمد طه من الدويم بالسودان بالاقتراحين التاليين :

أولا : إصدار المجلة نصف شهرية .

ثانياً : إضافة بابين احدهما للكلمات المتقاطعة والآخر للتعارف .

والمجلة إذ تشكر القارىء الفاضل على كلماته الرقيقة واعجابه بالمجلة .. نود أن نوضح التالى :

● فيما يختص باصدار المجلة نصف شهرية فان من المعروف ان الصحف والمجلات تصدر إما يومياً أو اسبوعياً أو شهرياً أما نصف شهرية فهذا نادر الحدوث ثم إن المناسب لمجلة ثقافية أدبية مثل « الدوحة » أن تصدر شهرية لتعطى الفرصة لقرائها أن يستوعبوا ما بين دفتيها وليناقشوا ما فيها من قضايا وآراء .

أما بخصوص الكلمات المتقاطعة والتعارف فان الدوحة – مع تقديرها لرأى القارىء الكريم – ترى أن مجالهما فى الصحف اليومية أو المجلات الاسبوعية .

زكريا أحمد عملاق الموسيقى



● صادف يوم الرابع عشر من شباط ـ فبراير ـ الماضى الذكرى الحادية والعشرين لرحيل عملاق من عمالقة الموسيقى العربية وشيخ الملحنين « زكريا أحمد » .

● ولد زكريا أحمد عام ١٨٩٦ م فى بيئة دينية ، وقد أحب الغناء والطرب منذ نعومة أظفاره ولكن والده رفض أن يحترف ابنه « مهنة الطرب » ، إلا أن زكريا أحمد أخذ يغنى الحان محمد عثمان وعبده الحامولى .

● بدأ زكريا أحمد أول ألحانه عام ١٩١٧ بتلحين مقطوعات خفيفة كانت تسمى « الطقاطيق » .

● وقد لحن زكريا لعدد كبير من المطربين والمطربات فى عصره أمثال صالح عبد الحى ، ومنيرة المهدية ، وفتحية أحمد ، وأسمهان ، وليلى مراد ، وأم كلثوم .

● اهتم زكريا أحمد بتلحين الموشحات والأدوار وله حوالى ٣٠ موشحاً وعدد كبير من الأدوار .

● كذلك لحن زكريا حوالى ٥٦ رواية تضمنت ٥٨٠ لحناً ومنها روايات : دولة الحظ ـ الغول ـ الكرنفال ـ بدر البدور .. وغيرها .

وقد لحن عدداً كبيراً من أغانى الأفلام بدأها بفيلم « انشودة الفؤاد » عام ١٩٣٢ وآخرها « حكم قراقوش » عام ١٩٥٢ م .

● مع السيدة أم كلثوم :

تعرف الشيخ زكريا أحمد على أم كلثوم عام ١٩١٩ إذ كان فى زيارة لقريتها « طماى الزهايرة » وكان برفقته المطرب الشيخ أبو العلا محمد وقد سمعها حينئذ وأعجب بصوتها ، ويقال إن أول لحن وضعه لها كان « هو ده يخلص من الله » عام ١٩٢٤ ، ويقال أيضاً إنه لحن أغنية « اللى حبك يا هناه » عام ١٩٣١ . وقد تتابعت ألحانه الرائعة للسيدة أم كلثوم . وفى عام ١٩٣٨ عاد بيرم التونسى من منفاه الى مصر وبدأ يكتب الأغانى ليلحنها زكريا أحمد وتغنيها أم كلثوم ومنها « الأمل ـ الورد جميل ـ الآهات ـ أنا بانتظارك ـ الفوازير ـ حبيبى يسعد أوقاته ... الخ »

ثم توقف زكريا عن التلحين لأم كلثوم حتى عام ١٩٦٠ حيث لحن لها من كلمات الشاعر الشعبى محمود بيرم التونسى أغنية « هو صحيح الهوى غلاب » وكان هذا اللحن الرائع آخر ألحان فقيد الفن والموسيقى بيرم التونسى والتى بلغت ١٠٧٥ لحناً .

● وقد توفى زكريا أحمد فى ١٤ فبراير (شباط) ١٩٦١ م .

ملحوظة : المراجع : كتب ألفت عن زكريا أحمد ومنها كتاب زكريا أحمد « للأستاذ صبرى أبو المجد » .

ابراهيم خليل صرصور
حلب ـ سوريا

رسالة حب مع التحية

أنا من المعجبين بمجلة « الدوحة » ذات المواد الثقافية والاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية الرفيعة المستوى ، وأحمد الله أن يكون فى وطننا العربى الكبير أدباء ومفكرون وعلماء على هذا القدر من التقدم لنرتوى من منهلهم ، ونقتبس من علمهم وفكرهم .

ومن خلال تتبعى لما تنشره المجلة ، عرفت الكثير عن دولة قطر التى أخذت طريقها فى التطور العلمى والنهضة القومية وأعجبت أيما إعجاب بما حققته فى سنوات قليلة ، من طفرة إنمائية فى كل المجالات .

فتحية حب إلى كل من ساهم ويساهم فى بناء هذه النهضة ، وإقامة هذا الصرح الحضارى الكبير .

صلاح خيرى
الخرطوم

نزار قباني قمة شعرية لماذا؟



فى عدد مارس ١٩٨٢كتب الأستاذ الدكتور علي حسن تقى مقالا تحت عنوان « نزار قبانى قمة شعرية » ، ولست هنا بصدد التحدث عن مكانة الشاعر ، ولكنى أود القول إن إعجاب كاتب المقال بالشاعر جاء على حساب المستوى الفنى للمقال . فلم يكن دراسة لشاعر أو تقييماً لانتاجه أو اتجاهه بقدر ما كان سلسلة من عبارات المديح والتقريظ .

فالكاتب قد ذكر أن نزار ظاهرة غير عادية فى شعرنا المعاصر وأنه شاعر عالمى بمعنى الكلمة ، ثم عقد الكاتب مقارنة بينه وبين الشاعر الفرنسى «لوى أراجون» .

ولكن ما هى الركائز التى استند إليها الكاتب فى إصداره لتلك الأحكام ولم يخبرنا عن أسباب عالمية الشاعر أو كونه ظاهرة غير عادية . كما أنه عند مقارنته بالشاعر الفرنسى لم يقارن بين مقدرتيهما الشعرية .

أما قول الكاتب انه يجب ألا ننسى الشعراء الأقل شأنا الذين سبقوا « نزار » أو عاصروه فهذا يعنى أن « نزار » هو أعظم شاعر ظهر فى عصره . وما أظن أن ساحة الشعر قد أغلقت ، فالأمة العربية قد أنجبت الكثير من الشعراء .

محمد ابراهيم عقره
كلية الآداب ـ جامعة طنطا

ردود سريعة

● خروبى عبد العزيز
ورقلة ـ الجزائر

حولنا رسالتك الى المختصين لتزويدك ببعض النشرات والكتيبات وستجد بعضاً منها فى سفارتنا بالجزائر .

● عز الدين أحمد
الصقالة ـ السودان

كثيراً ما تقدم المجلة عرضاً وتلخيصاً لكتب عربية وأجنبية مختارة . أرجو أن ترجع إلى الأعداد السابقة وكذلك توالى قراءة المجلة لتجد بين صفحاتها ما تريد .

لماذا نقتل الشعراء ؟!

حديث صريح حول محنة "الموهبة" في الوطن العربي

بقلم : رجاء النقاش

هذا حديث أرجو أن أكون فيه صريحاً إلى أبعد حد ، فمثل هذا الحديث لا ينفع فيه أن نجامل أنفسنا ، ولا أن نخفى جراحنا تحت ثوب ناعم من الكلمات ، وقد تبدو المشكلة التى أثيرها فى هذا المقال محدودة وبعيدة عن همومنا السياسية والاقتصادية ، ولكننا لو نظرنا إليها بشىء من الدقة والعمق لوجدناها متصلة بأعمق مانعانيه ونواجهه من المشاكل الكبيرة الصعبة .

والمشكلة هى « الطريقة العربية » فى معاملة « أصحاب المواهب » ، وسأقتصر فى حديثى اليوم على أصحاب المواهب الشعرية ، ولكن ما ينطبق على الشعراء العرب ، ينطبق على أصحاب المواهب فى مختلف المجالات ، والحقيقة الواضحة فى تراثنا القديم وتراث غيرنا من الشعوب ، أن الحضارة لا تزدهر ، ولا تنمو فى اتجاه صحيح يرتفع بالفرد والمجتمع معاً ، إلا إذا كان هناك عناية واهتمام بأصحاب المواهب ، فالموهبة فى أى مجتمع هى ثروة كاملة مثل « البترول » و « الذهب » وسائر الثروات المادية المعروفة فى تاريخ الانسان ، بل ان الموهبة هى أثمن من كل هذه الثروات المادية ، إنها « ثروة الثروات » جميعاً ، وبدونها تصبح الأمم فقيرة ، حتى لو كانت غنية بكل الخيرات التى عرفها الانسان .



فل دنقل شاعر وفنان كبير يتعرض الان لمحنة لا يقف فيها إلى جانبه سوى بعض الاقلام التى لا تملك له نفعا ولا ضرا



حافظ ابراهيم ـ لم تمنعه وطنيته المعروفة عنه من اتهام المجتمع العربى بسوء التقدير للمواهب وسوء المعاملة لها



ابو القاسم الشابى كتب شعرا مليئا بالغضب بسبب إحساسه بان الموهبة العربية ضائعة ومسحوقة



عبد الحميد الديب كان شاعرا نابغا ولكنه عاش غارقا فى البؤس حتى مات فاقيمت له اعظم الاحتفالات

ولياذن لى القارىء الكريم أن أستطرد حول هذا المعنى قليلا ، رغم انه معنى بديهى ومعروف ، ومع ذلك فانا أحس أن العرب قد أصبحوا ، من شدة ما اختلطت عليهم الأمور ، بحاجة ماسة إلى تاكيد بعض البديهات الأساسية التى تتصل بالحضارة والانسان ، ومن هذه البديهات : رعاية الموهبة والحرص عليها وعدم التفريط فيها أو تعريضها للضـــياع والدمار .

شيكسبير والمستعمرات

وفى هذا المجال نذكر ما كان يقوله الزعيم الانجليزى تشرشل من « ان بريطانيا مستعدة للتنازل عن جميع مستعمراتها وليست مستعدة للتنـــازل عن أدب شيكسبير » ، وكان تشرشل بهذه العبارة يتكلم بروح « المنفعة » ، قبل أن ينطق بروح « المبادىء والمثل العليا » ، ذلك لأن بريطانيا من الناحية الواقعية قد عجزت عن الاحتفاظ بمستعمراتها ، أمام حركات الاستقلال والتحرر التى انتشرت فى انحاء العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن بريطانيا لم تخسر نفوذها المادى فى العالم ، بسبب انتشار لغتها وثقافتها ، فاللغة الانجليزية الآن هى اللغة العالمية الأولى ، والذين يقفون وراء انتشار هذه اللغة ليسوا قادة الأسطول الانجليزى ولا قادة الطيران ولا التجار واصحاب الأموال ، وإنما يقف وراء انتشار اللغة الانجليزية والثقافة الانجليزية أدباء فى مقدمتهم « شيكسبير » ومسرحياته التى يدرسها كل مثقف فى العالم ، وكل معهد وكل جامعة ، وحتى « الاتحاد السوفيتى » الذى « يعارض » بريطانيا ، ويعاديهـــا سياسيا واقتصاديا ، يحرص على تقديم طبعات « شيكسبير » ـ الانجليزية ـ بأرخص الأسعار ، حتى ينشرها فى بلاده وخارج بلاده طلبا للسمعة الثقافية الحسنة ، كما يحرص على ترجمة هذه المسرحيات ، إلى اللغة الروسية ، وقد نال « باسترناك » الأديب الروسى المعروف ، شهرته ومكانته الكبيرة ، على أساس انه مترجم « شيكسبير » إلى الروسية ، وذلك قبل أن يتقدم إلى العالم بروايته المعروفة « دكتور زيفاجو ... وهى الرواية التى أغضبت الروس وأطربت الغربيين ، فمنحوه جائزة نوبل .

أهل الفن فى المقدمة

وعندما جاء « نابليون » إلى مصر غازيا سنة ١٧٩٨ ، لم يجعل حملته مكونة من الأسلحة ، وجنود البحر والبر فقط ، بل صحب معه ـ فى المقدمة ـ مائة وستة وأربعين أديبا وعالما وفنانا من انبغ ابناء فرنسا وأكثرهم موهبة ، وكون من هؤلاء ما أسماه بعد ذلك باسم « المجمع العلمى المصرى »أو « مجمع العلوم والفنون » كمـــا كان يسمى فى بعض المصادر ، وكان بين هؤلاء النوابغ الموسيقار « فيلوتو » ، وقـد قام بدراسة الموسيقى الشرقية الحديثة والقديمة ، وقدم حولها أبحاثا بالغة الأهمية والقيمة كما كان بين أعضاء مجمع العلوم والفنون رسامون من أمثال «ريجو» وهو الذى عهد إليه نابليون ـ كما يقول الرافعى ـ « باقامة أقواس النصر والأعمدة فى ميدان الأزبكية ، ورسم الرسوم الفنية

لمـــــــاذا نقتـل الشـعـراء ؟!

على قواعدها ، وعهد إليه نابليون أيضاً برسم رجالات مصر فى ذلك العصر على اختلاف مراكزهم وأزيائهم » وكان بينهم رسام نابغ آخر هو « دوترتر » الذى قدم رسوماً بديعة للشخصيات وللآثار المصرية القديمة . وكان هناك عدد آخر من الأدباء البارزين الذين درسوا اللغة العربية والأدب العربى وثقافة الشرق .

وهكذا فان نابليون لم يهتم بالجانب العسكرى لحملته فقط ، بل وضع عينه وعقله وقلبه على جماعـــة من أكبر الموهوبين فى فرنسا ، واعتبرهم قوة له ولبلاده وللهدف الذى من أجله جاء إلى مصر .

وما أكثر النماذج التى يمكن أن نعود إليها فى صفحات التاريخ ، المعاصر والقديم ... العربى والأوروبى ، والتى تدلنا على مدى ما تحتله « الموهبة » من مكان فى التاريخ ، وفى تحقيق أهداف الشعوب ، سواء وافقنا على هذه الأهداف ، أو رفضناها مثلما نرفض أهداف الحملة الفرنسية على مصر ، دون أن ينفى ذلك اعترافنا بما فيها من تخطيط ذكى ، وتقدير أساسى لدور الموهبة ومكانتها والاهتمام بها ورعايتها الى أبعد الحدود ... وهذا ما جعل « نابليون » يحتل مكانته العظمى فى تاريخ العالم وما جعل « فرنسا » تنهض وتصبح فى مقدمة بلاد الحضارة والثقافة والفن والعمران .

تجاهل عربى للمواهب

نعود بعد ذلك إلى جوهر موضوعنا الذى يدور حول الواقع العربى المعاصر . ففى هذا الواقع نوع واضح من «التجاهل» لدور « الموهبة » ، والتفريط فيها ، وعدم الاهتمام برسالتها فى بناء حياتنـــــا ، ومساهمتها فى إقامة أساس حضارى راسخ للمجتمع العربى ، ولا شك أن هذه الظاهرة تعتبر علة أساسية من العلل التى يعانى منها المجتمع العربى ، وهى إحدى الظواهر المؤلمـــة التى تصنع ما نسميه باســـم « التخلف » فى مجتمعنا الراهن .

إن المجتمع الذى يبدد ثروته من الموهبة مثل المجتمع الذى يبدد ثروته المادية فى الزراعة أو الصناعة أو ما يقدمه باطن الأرض من خيرات ، بل إن الذى يفرط فى ثروة المواهب أخطر بكثير من الذى يفرط فى الثروة المادية .

فأين يقف المجتمع العربى من هـذه القضية ؟ إذا أردنا أن نكون صرحاء وصادقين ، وأن نبتعد عن ذلك المرض الذى يجعلنا نفقد الرؤية الصحيحة ، فان الحقيقة التى تواجهنا بعنف هى أننا نسىء استخدام المواهب التى تظهر فى وطننا ، بل ونسىء إليها فى نفس الوقت أشد الاساءة ، مما يؤدى فى نهاية الأمر إلى أن تكون هذه المواهب قوة عديمة النفع والتأثير ، فهى مواهب تذوى وتذبل مع الأيام ، مثل الزهور فى أرض قاحلة جرداء لا خصب فيها ولا ماء . ولن أعود إلى التاريخ القريب أو البعيد بل سأتحدث عن الواقع الراهن .

فها هى الصحف العربية تأتى إلينا بالأنباء المختلفة عن مرض الشاعر « أمل دنقل » ، والأنباء التى تأتينا لا تخفى أبداً خطورة المرض فهو نوع من أنواع «الأورام» الخطيرة التى تسرى فى خلايا الجسم فتهدد حياة الانسان . ومع هذه الأنباء ، يكتب يوسف ادريس صرخة فى جريدة الأهرام يقول فيها « لقد أقام أمل دنقل فى حجرة بمعهد الأورام تكاليفها ثلاثون جنيها فى اليوم الواحد ، وقد تجمع عليه الآن مالا يقل عن الثلاثة آلاف جنيه » ويوجه يوسف إدريس نداء إلى رئيس وزراء مصر للمساهمة فى علاج الشاعر وإنقاذه من محنته الصحية ومحنتـــــه المادية .

والحقيقة الواضحة والمؤلمة من خـــلال هذا كله هى ان « امل دنقل » فى خطر ، وان حياته كلها مهددة بالضياع ، وأن قدرته المادية الخاصة ، لا يمكن أن تفى أبداً بمطالب العلاج الذى يحتاج إليه .. ان أمل دنقل فى بساطة ، هو موهبة حقيقية تتعرض لموقف تصطدم فيـــه بأمراض مجتمعنا العربى أشد الاصطدام .

دنقل والسياب

و « أمل دنقل » يتعرض لمحنـــة لا تقل عن محنة الشاعر الكبير بدر شاكر السياب هذا الشاعر الذى ظل سنوات طويلة – فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات – فريسة لمرض لا يساعده أحد على علاجه ، ولم يلتفت أحد إلى مأساته إلا فى اللحظات الأخيرة ، حيث لم يكن هناك جدوى من أى علاج أو رعاية ، صحيح ، أن السياب وجد بعد رحيله ، اهتماماً واسعاً بتراثه الأدبى وبأسرته ، فهل ننتظر أن يحدث لأمل دنقل ما حدث للسياب حتى نهتم به ، ونرعى تراثه الأدبى ، ونعطيه الجوائز ، ونتجـــه بعنايتنا إلى ما بقى من أسرته وأهله ؟!

إننا ندعو لأمل دنقل بالشفاء ، ونقول صادقين مع يوسف إدريس « بالله يا أمل لا تمت فكلنا فداؤك » ، ونعود لنفتح أبواب الذاكرة فى المجتمع العربى فنقول :

« أمل دنقل » هو واحد من أعظم الشعراء العرب المعاصرين ، وانتاجه الشعرى يمثل ضوءاً باهراً يمتد إلى عيوننا وقلوبنا من خلال الظلام المعتم الذى تعيش فيه حركة الشعر العربى فى هذه المرحلة فقد سقط الشعر العربى المعاصر تحت سيطرة الغموض والتعقيد والسخف ، ولم يبق من فرسانه الحقيقيين إلا عدد قليل ، يقف فى مقدمتهم أمل دنقل ، ولن نجد – على سبيل المثال – فى صفحة الشعر العربى المعاصر حول « نكسة ١٩٦٧ » المؤلمة ، أصدق مما كتبه أمل دنقل ، فى التعبير عن هـــذه الهزيمة القاسية ، وفى كشف خفاياها ، والتنبيه إلى منابع الداء العربى ، بفهم وأمانة وإحساس عميق،كل ذلك فى هندسة فنية سليمة مبدعة ، خالية من الصراخ والعويل ، وبعيدة عن الصياغة الصحفية المباشرة والتى وقع فيها كثير من الشعراء العرب حين عبروا عن هذه المأساة تعبيراً يمس الهامش ولا ينطلق من أعماقها الحقيقية الصحيحة .

و « أمل دنقل » شاعر جارح بكل معنى الكلمة ، فكلماته « تمزق » الجسد العربى

كانها السكين أو الخنجر ، ذلك أنه لا يخفي ـ فى قصائده ـ حقائق المأساة ، ولا يدور حولها ، ولا يوشيها بألوان حريرية زاهية ، تستر ما فيها من آلام وأحزان ، و « أمل » هو واحد من الشعراء القلائل الذين رأوا المأساة العربية رؤية صحيحة ، واجتمع فى دواوينه الخمسة التى تحت يدى « ولا أدرى فى فوضى حركة النشر العربية إن كانت له دواوين أخرى أو أن هذه الدواوين الخمسة هى كل ما طبع له ». أقول إن دواوين أمل دنقل الخمسة قد اجتمع فيها بصدق وعمق وفن رفيع ما يرسم أمام العربى صورة واضحة لكل ما يعانيه من آلام ولكل ما يعوق حركة حياته من مصاعب ، ولكل ما يواجه مستقبله من تعاسات ، إن شعر أمل دنقل وثيقة كاملة ، لا تخفى شيئاً ، ولا تكذب علينا ولا تجاملنا ، ولا تحسب حساباً لما قد نخجل منه أو نحاول إخفاءه ، ولذلك فهناك ظاهرة غريبة حول شعر أمل دنقل ، هذه الظاهرة هى أن الشاعر نفسه مشهور ومعروف عند كل قراء الشعر فى الوطن العربى ، أما شعره فهو أشبه بالكتابات السرية ، يقرأها الناس فى لحظات خاصة ، ولا ترددها الاذاعات أو الصحف أو أى جهاز من أجهزة الاعلام ، لأن الشاعر فى قصائده يصفع ، ويصدم ويواجه ويغرس كلماته فى أعمق الجراح ، دون أن يتحرج أو يحاول المداراة والاخفاء ، وبقدر ما نجد فى شعر « أمل دنقل » من الصور الفنية العميقة ، والهندسة الشعرية الناضجة فى بناء قصائده ، والسيطرة الدقيقة على كلماته وموسيقاه الشعرية ... بقدر ما نجد هذه الخصائص الفنية الرفيعة فى شعره ، فان شعره من ناحية أخرى لا يتسم أبداً بالغموض ، ولا يخفى رؤية الشاعر الموضوعية ، للمأساة العربية كما يتصورها وللمحنة التى يعيشها الانسان فى مجتمعنا كما يدركها هذا الشاعر الفذ ببصيرته النفاذة وعينه الفنية الجريئة ، ومن هنا جاء شعر أمل دنقل فى مجموعه تصويراً كاملا للداء الذى نعانيه نحن العرب ، وتصويراً أكمل وأجرأ لما ينبغى علينا أن نفعل للنجاة بالمجتمع والانسان والحضارة فى الوطن العربى ، ولا يمكن لأحد أن يخرج من قراءته لقصائد أمل دنقل إلا بالاحساس الواضح بأن الشاعر «غاضب» غضباً روحياً عاصفاً ، ولكن غضبه ، ليس أعمى ، بل هو غضب مبصر شديد الوعى عميق الرؤية والادراك .

وحيد فى محنته

فكيف نترك هذا الشاعر يتعرض لمحنته وحيداً ؟! .. كيف نترك هذه الموهبة النادرة تغرق فى الألم دون أن نعمل على انقاذها لا من أجل أمل دنقل ، ولكن من أجل مجتمعنا الذى يحتاج إلى مثل هذه الموهبة النادرة فى تبصيره بمصيره والعمل على تنويره وتغييره إلى ما هو أفضل وأكرم وأقوى ، حتى يواجه الحاضر والمستقبل بقدرة حقيقية على رد المخاطر ومواجهة المحن .

هل هو قرار غير معلن منا جميعاً بأن « نعاقب » الشاعر على فنه وصدقه وموهبته ؟ هل هو قرار بقتل الشعراء الذين يقلقوننا بأغانيهم الصريحة الجارحة ؟ كيف ينام المجتمع العربى راضى الضمير مستريح النفس ، ومثل هذه الموهبة تضيع أمامنا وتتبدد ، ونحن قادرون على انقاذها ، ولكننا نختار ـ على العكس ـ موقف المتفرجين تمهيداً لأن نبكى غداً ، ونحتفل ونقيم المهرجانات فى كل موقع ثقافى وأدبى على امتداد الأرض العربية من الخليج إلى المحيط ، من أجل أمل دنقل ، بعد أن نكون قد أضعناه وفرطنا فيه ، وألقينا به إلى التهلكة بأيدينا نحن لا بأيدى الغرباء والأعداء .

أين وزارات الثقافة العربية ؟ وأين اتحادات الكتاب والأدباء والفنانين ؟ وأين كل هذه القوى الموجودة على الساحة الثقافية والوطنية .. أين هذه المؤسسات كلها وماذا تفعل عندما يسقط هذا الشاعر الموهوب ضائعاً فى إحدى المستشفيات ، ولا تمتد إليه يد ، ولا يحنو عليه قلب ، ولا يصرخ ضمير ؟!

إننى أكتب هذه الكلمات وليست بينى وبين الشاعر صداقة أو شبه صداقة ، بل على العكس ، فاننى لم أنجح فى يوم من الأيام فى إقامة جسور للصداقة الحقيقية بينى وبين هذا الشاعر ، فهو من «أصعب» الشخصيات التى عرفتها فى الجيل الأدبى المعاصر ، ولكن صداقتى مع أدبه قائمة وممتدة ، منذ اليوم الأول الذى استمعت فيه إلى قصائده ، مع الشاعرين الكبيرين صلاح عبد الصبور وأحمد حجازى ، عندما كنا نعمل معاً ، وفى حجرة واحدة ، فى مجلة روز اليوسف سنة ١٩٦٠ ، وجاءنا أمل دنقل من الصعيد زائراً يقرأ علينا



نابليون صحب معه إلى مصر ١٤٦ أديباً ورساماً وموسيقياً وعالماً.



تشرشل .. بريطانيا مستعدة للتنازل عن مستعمراتها وليست مستعدة للتنازل عن شيكسبير.

لماذا نقتل الشعراء ؟!

شعره العنيف المتمرد .. منذ هذا اليوم وأنا تابع أمل دنقل وأحرص على قراءة كل قصيدة جديدة له ، وقد ضقت أحيانا ببعض شعره الجميل ، لشدة قسوته وصراحته وعنف ما كان يوجهه إلى المجتمع العربى والانسان العربى من نقد ، ولكننى لم أفقد احترامى للشاعر وموهبته الرفيعة فى يوم من الأيام ، حتى بالنسبة لتلك القصائد الجارحة التى أقلقتنى ودفعتنى إلى نقد الشاعر لاحساسى بانه كان أقسى مما ينبغى علينا ... والحقيقة اننى أخطأت فى نقد الشاعر حينذاك وكان الشاعر من الصادقين .

واليوم وهو يعانى ـ وحيداً ـ الاما قاسية عنيفة ، لا أجد ما أفسر به محنته غير ضعف فهم المجتمع العربى لقيمة الموهبة ، وضعف تقديره لها ، وقلة حرصه على هذا النوع من الثروة الانسانية ، وهذه الثروة هى عندى أغلى ما يملك مجتمعنا من الثروات ، وهى وحدها التى يمكن أن تدفعه وتقوده فى مسيرته الحضارية ، حيث يستطيع أن يشق طريقه وسط المصاعب والمشكلات الدقيقة التى يواجهها مجتمعنا فى هذه المرحلة .

من يقتل الأطفال ؟

هل نترك الشاعر يواجهنا بهذه الكلمات القاسية فى إحدى قصائده :

لا تسالى النيلَ أن يعطى وأن يلِدَا
لا تسالى ... أبدا
إنى لأفتحُ (عينى حينَ أفتحُها !)
على كثيرٍ .. ولكنْ لا أرى أحدا

أو نتركه يؤلمنا ويجرحنا ، ومعه كل الحق والصدق ، بهذه الأبيات من قصيدة أخرى :

آه .. من يوقفُ فى رأسى الطواحينَ ؟
ومن ينزعُ من قلبى السكاكينَ ؟
ومن يقتلُ أطفالى المساكينَ
لئلا يكبروا فى الشقِ المفروشَةِ خدّامينَ
من يقتل أطفالى المساكينَ ؟
لكيلا يصبحوا ـ فى الغد ـ شحاذينَ
يستجدونَ أصحابَ الدكاكينِ
وأبوابَ المرابينَ

أو نتركه ينادى أمته فى مثل هذه الأبيات بهذا النداء الأليم :

ناديتُ .. ماردّتْ
صرختُ .. ما ارتَدّتْ
وظل صوتى يتلاشَى .. فى تلاشيها
وراء الموجة المنكسره

هل ننتظر ، والمستشفى تطالب أمل دنقل بثلاثة آلاف جنيه ، لا يملكها ، أن نقرأ قوله فى إحدى قصائده :

هذا قدر المهزوم :
لا أرضَ .. ولا مالَ ..
ولا بيتَ يرد البابَ فيه ..
دون أن يطرقَه جابِ ..

... أو يقول هذه الكلمات القاسية الجارحة :

انظرى أمتَك الأولى العظيمَـهْ
أصبَحَتْ : شِرْذِمَةً من جثَثِ القتلى
وشحاذين يستجدون عطفَ السيفِ
والمالَ الذى ينثره الغَـازى
فيهوِى ما تبقىَّ من رجـالٍ
وأرومَهْ

... أو يقول من قلب محنته :

كل يوم
أفتح الصنبورَ فى إرهاقْ
مغتسلا فى مائِهِ الرقراقْ
فيسقط الماءُ على يدى .. دمًـا
.....
وعندمَا ..
أجلسُ للطعام ... مرغمًا :
أبصرُ فى دوائرِ الأطباقْ
جماجماً
جماجماً
مفغورةَ الأفواهِ والأحداقْ

أو قوله :

فاجأنى الخريفُ فى نيسانْ
وطائرُ السمانْ ..
حط على شواطىء البحر الشمالية
طلبت مَنْ تُحبّه نفسى ... قُبَيْل النومْ
فلم أَجِدْ ... إلا عذابَ الصّومْ
طلبت من تحبه نفسى
(فى الظلِّ والشمس)
فلم أجِدْ ... نفسِى
.....
وها أنا خلف النوافذ الزجاجيهْ
أرقبُ عند المغرب الشاحبْ :
طائرىَ الغائبْ !

والطائر الغائب هنا هو « مصير » هذا الشاعر الموهوب ومصير أى شاعر مثله يعانى ويتألم ، ويتعرض للمحنة دون أن يجد يداً تدفع عنه الأذى وترد المرض ، وتحفظ عليه ما يستحقه من الكرامة كفنان وإنسان .

نماذج عديدة

إن ما يحدث لهذا الشاعر ليس النموذج الوحيد فى الوطن العربى ، فما أكثر الذين تعرضوا للموت والغربة وسائر ألوان المحنة فى تاريخنا المعاصر ، وليس هناك باب فى الشعر العربى أكبر ولا أكثر ثراء من باب « الشكوى » من « الزمان والناس » أو هو ـ كما نقول ـ فى المصطلحات الأدبية الحديثة باب « الاحساس بالاغتراب » فى العالم والوطن والمجتمع . فمكانة «الشاعر» فى الوطن العربى لا تتجاوز أحد أمرين : إما أن يكون أداة إعلامية مباشرة ورخيصة وهنا قد يجد الشاعر مكانه ويحصل على فرصة مناسبة للحياة ، وإما أن يكون الشاعر « أداة حضارية » فى مجتمعه إذا صح التعبير ، فيقود ويحرك ويكتب فى صدق وغضب وتمرد حقيقى تصويراً لمعاناة الانسان فى وطنه وهمومه وجراحه ، وفى هذه الحالة يتعرض الشاعر لظروف صعبة قاسية أليمة ، و يتحول شعره إلى صرخات من الشكوى والسخط .

لقد كتب الشاعر الكبير «حافظ ابراهيم» قصيدته الشهيرة : « كسرت اليراع فلا تعجبى » سنة ١٩٠٤ وهى القصيدة التى يقول فيها « والقصيدة منشورة فى ديوانه ، و « مصر » فى هذه القصيدة هى رمز للوطن العربى كله :

وكَمْ فيكِ يا مصرُ من كـاتبٍ
أقال الـيَرَاعَ ولَمْ يكتُـبِ
فلا تَعْـذليني لهذا السكوتِ
فقد ضَاقَ بى منكِ ما ضَاقَ بى
وقد غَضِبَ النـاسُ من قَبلنا
لِسلْبِ الحقوقِ ولَمْ تَغْضَـبى

وقد كتب « حافظ ابراهيم » قصيدته هذه وكان شاعراً وطنياً لا شبهة فى وطنيته .. ومنذ ظهور هذه القصيدة ، وهناك سلسلة

متصلة من شعر الشكوى والغضب فى الوطن العربى كله ، تدل على أن وضع الشاعر فى مجتمعنا الحديث ، هو وضع بالغ السوء والمرارة ، وأن ما يتعرض له الشعراء الصادقون ، هو نوع من القتل المعنوى ، إن لم يكن قتلا ماديا مباشرا ، فابو القاسم الشابى يكتب فى الثلاثينات مخاطبا شعبه بهذا الصراخ المتالم العميق فيقول :

أنت فى الكون قوةٌ لَمْ تَسُسْها
فكرةٌ عبقريةٌ ، ذاتُ بأْسِ
أنت فى الكون قوة ، كبلتها
ظلماتُ العصُورِ ، من أمسِ أمسِ
والشقيُّ الشقيّ من كان مثلى
فى حَسَاسِيَّتى ورقّةِ نَفْسِى

ضحية أخرى

ولعلنا نذكر « عبد الحميد الديب » ذلك الشاعر العبقرى الذى عاش فى مصر فى الثلاثينات واوائل الاربعينات ، والذى اطلق عليه الباحثون والنقاد المعاصرون وصف « الشاعر البائس » ... لقد عاش هذا الشاعر ، رغم موهبته ، حياة مؤلمة ، وكان اشبه بالمتسول الذى يمد يده للناس ليجد ما يأكله أو يرتديه ، أو ليجد مأوى يقضى فيه ليله بعيداً عن الشوارع والمقاهى والأرصفة ، ومع ذلك ظلت الحياة الأدبية العربية تردد شعره وصرخاته الفنية ، دون أن يجد الشاعر من يمد إليه يده أو يرعاه ويعينه ويعطيه بعض حقه فى الحياة . ولقد كان بكاء عبد الحميد الديب لوناً من الغناء الذى يطرب الآخرين ، فيستمتعون به ثم يتركونه بعد ذلك لبؤسه وشقائه ، وكأن هدفهم قد تحقق بالاستماع إلى الشاعر أو بقراءة شعره ، وكأن البؤس والضياع هما الوضع الطبيعى للشاعر المسكين ، الذى وصل به الأمر إلى حد الحديث المباشر الجارح فى إحدى قصائده وهو حديث يدين عصر الشاعر بكل من فيه من الأدباء والمثقفين والمسئولين عن المجتمع :

لقد كنتُ أرجو غرفةً فأَصبتُها
بناءٌ قديمُ العهدِ اضيقُ من جَدّى

فأَهدأُ انفاسِى تَكادُ تهدّها
وأيسرُ لمسٍّ فى بنَايتِها يُرْدى
أرى النمْل يخشَى النَاسَ إلا بأرضِها
فارجلُهُ أمضَى من الصارمِ الهِنْدى
تُسَاكننُى فيها الأفَاعِى جريئَةً
وفى جوِّها الامراضُ تقتلُ أو تُعْدى
ترانى بها كلَّ الأثَاثِ فمِعْطفى
فراشٌ لنومى أو وِقَاءٌ من البَرْد
وأما وسَاداتى بها فجرائدٌ
تُجَدَّدُ إذْ تبلى على حجَرٍ صَلْدِ
تعلّمتُ فيها صبرَ «ايوبَ» فى الضنى
وذقتُ هزال الجوعِ أكثرَ من « غندى »
جوارُكَ يا ربى لمثلى رحمةٌ
فخذنى إلى النيرانِ أو جنةِ الخلْد

والغريب انه عندما مات « عبد الحميد الديب » سنة ١٩٤٣ ، اقيمت له حفلة كبرى اشترك فيها خطباء وشعراء من كل مدرسة ومذهب ، وحضرها جمهور كبير ، وتلى فيها خطاب ارسله وزير الشئون الاجتماعية وخطاب ارسله وزير الأوقاف ، وكانت الحفلة كما قيل عنها مظاهرة أدبية كبيرة ، وقد علق الدكتور زكي مبارك بقلمه العنيف اللامع على هذه المظاهرة الضخمة والكاذبة في ان واحد بقوله :

« إن عبد الحميد الديب » لم يقتل نفسه عامدا متعمدا ، انتم خدعتموه وضللتموه وفرضتم عليه ان يستغيث بمعروفكم يا اشحاء .

تقول العبارة المصرية « يقتل القتيل ويمشي في جنازته » وانتم القتلة لذلك المخلوق الذي وثق بكم ، وانتم حملة المصاحف او القماقم بجنازته العجفاء ، فما قيمة براعتكم في الرثاء ؟

إن دموعكم ياقاتليه لن تنجيكم من غضبتي عليكم .

فاسمعوا هذه الكلمة ، واعلموا ان بكاءكم في هذا الاحتفال سيمر بلا ثواب ، وقد يكون مجلبة للعقاب ، لانكم تزينون لسامعيكم حياة لا ترضونها لانفسكم إلا مكرهين »

ولقد كان زكي مبارك في منتهى الصدق والشجاعة ، عندما علق بهذه الطريقة على الاحتفال بعبد الحميد الديب بعد موته ... أو بالاصح بعد قتله .

وكل هذه الصور الأليمة تدفع إلى ذهني بصورة اخرى لا يمكن ان انساها هي صورة الشاعر الفنان نجيب سرور في عامه الأخير ، حين كان يتمزق ألما وضياعا واستسلاما للمرض والموت القادم إليه حيث كانت يد الموت تمتد الى جزء من جسده كل يوم ، حتى انتهى كالشمعة التى ذابت قطرة بعد قطرة وكان الشاعر الفنان نجيب سرور يعيش وكأنه محكوم عليه بالاعدام وليس امامه إلا أن ينتظر التنفيذ ، وهو يعرف التوقيت بدقة ووضوح ... وقد تعرض لذلك كله – ولفترة طويلة – دون حماية أو رعاية من أحد .

أقوى من المحنة

واعود إلى شاعرنا العبقري « أمل دنقل » ، فأؤكد انني لا اقارنه بغيره من الشعراء السابقين الذين مروا بظروف صعبة قاسية ، وذلك لأن « امل » في ايام صحته وعافيته كان من القوة بحيث استطاع أن يعيش حياة طبيعية كريمة عن طريق قلمه وموهبته دون الحاجة إلى العون من احد ، حيث كان شعره مطلوبا ومقروءا ومحبوبا في كل مكان ، ولكن محنة أمل دنقل ، تاتيه اليوم بسبب مرضه ، واضطراره للبقاء المستمر في المستشفى ، حتى يعود إلى وضعه الطبيعي بعد الشفاء ، وفي هذه المحنة ، ينبغي ان يستيقظ الضمير في مجتمعنا العربي ، ويتنبه إلى قسوة ما يفعله بالنسبة للشعراء الموهوبين الذين يزيدون ثراء هذا المجتمع ويجعلون منه مجتمعا حيا متحضرا ، وينيرون امامه الطريق برؤيتهم الصافية النقية الصادقة ، وكل ما نرجوه الا يكون « امل دنقل » « ضحية جديدة » تؤكد ان المجتمع العربي لا يطيق صوت الشعر ، وانه مجتمع يقتل الشعراء ...إن امل دنقل يتحمل محنته بشجاعة ورجولة وكرامة لا تهتز ، فهو ابعد الناس عن ان يكون موضعا للشفقة ، أو طالبا للعطف والاحسان ... ولكن كلماتي هذه – إلى جانب ما كتبه غيرى – لا تهدف فقط إلى انقاذ « امل » بقدر ما تهدف إلى إنقاذ مجتمعنا العربي من هذا الاسلوب غير الحضاري في معاملة المواهب والموهوبين وهو اسلوب سوف يعود علينا باسوا النتائج وابلغ الاضرار ، ومثل هذا الاسلوب سوف يقضي على اغلى واثمن ما نملكه وهو موهبة الانسان ولن يجدي البكاء ، بعد فوات الأوان .

هل ننتظر حتى يقول عنا التاريخ : لقد كان العرب فى القرن العشرين يقتلون الشعراء ويبيعون الفن فى سوق الكساد ويتركون أبناءهم الموهوبين فى مستشفيات الدرجة الثانية يهددهم الموت وهم فى عمر الزهور وفى سن الابداع الصادق الجميل ؟ ..

رجاء النقاش

نحو نظريّة في تفسير التاريخ الثقافي للخليج وشرق الجزيرة العربية

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

لا يكفى أن ندرس الجوانب التفصيلية والمسائل الجزئية لأي موضوع من الموضوعات ، ثم ندع نتاج دراساتنا يتراكم فوق بعضه دون أن نستخرج من التفاصيل والجزئيات ، المدروسة المحققة ، استنتاجات عامة ، ونظريات ، وأحكاماً تقييمية تمكننا من فهم القوانين العامة للظواهر ، ومن إدراك المعاني الجوهرية لحقيقة الأشياء .

إن هذه الرؤية الاستنباطية ، للنظريات والقوانين ، هى من شروط أية نهضة فكرية حقيقية .

أما تراكم الدراسات الجزئية والفرعية دون خلاصات ونتائج فانه تقدم كمي فى حقل المعرفة ، لابد منه فى البداية ، ولكنه اذا استمر فى تراكمه الكمي دون أن نستخرج منه مفهومات كيفية ونوعية ، فانه يصبح نوعاً من التضخم غير الصحي كما هو الحال اليوم بالنسبة للمطابع ودور النشر العربية ـ على سبيل المثال ـ التى تغرقنا بكتب الوقائع التاريخية ، دون أن ترفق ذلك باخراج كتب تقول لنا : ما هو التاريخ العربى والانسانى وما معناه وما جوهره ، أو تغرقنا بالاف المطبوعات التراثية دون أن تهتم بتزويدنا بما يفيد فى غربلة التراث وتقييمه واستخلاص جوهره وما فيه من قيم عملية معاصرة .

بل ان من شرائط البحث العلمى المبدع ان نغامر أحياناً ـ على ضوء مالدينا من جزئيات وتفاصيل عن موضوع ما ـ باعطاء

رؤية شاملة عن الموضوع تضع الجزئيات المتوفرة لدينا فى مواضعها ومراتبها ، وتحدد لنا المواضع التى مازالت تحتاج إلى بحث وتدقيق والى مزيد من الدراسات الفرعية على طريق إغناء رؤيتنا الشمولية المنشودة .

وهذه العلاقة العضوية الوثيقة بين الخاص والعام ، بين الجزئي والشمولي تنبع مما قرره أرسطو وعلماء المنطق الأخرون من الصلة التى لا تنفصم بين عملية الاستقراء ـ أي دراسة الجزئيات وتبويبها واستخراج معانيها ـ وعملية الاستنباط أي الحدس بالرؤية الشاملة أثناء عملية الاستقراء وخلال مراحلها مرحلة بعد أخرى حتى نهايتها حيث يكون الاستنباط عندئذ مستنداً إلى أساس وثيق من الأدلة والشواهد الاستقرائية ..

هذه الأدلة والشواهد التى تبقى كما مهملا وتراكما غير مثمر إذا لم تتوج بعملية الاستنباط والاستنتاج العام واستخراج القوانين الشاملة للظواهر .

وليس هناك حدود ثابتة جامدة بين عمليتى الاستقراء والاستنباط فى العقل الانساني . فانت تبدأ دراستك لجزئيات موضوعك على ضوء فرضية عامة افترضتها فى بداية البحث حيث يستحيل التعامل مع الجزئيات المتفرقة المتباعدة دون قاعدة مبدئية وأولية يعتمدها الباحث فى بداية بحثه . هذه الفرضية المبدئية تتعدل بالتدريج على ضوء الجزئيات والشواهد التى تتكشف من سياق البحث ، وهذا التعديل فى الفرضية يتطلب تكييفاً جديداً للبحث من أجل الكشف عن المزيد من المعلومات المطلوبة فى جوانب أخرى من الموضوع أو القضية .. وهكذا إلى ان تكتمل التفاصيل وعلى ضوئها تتاكد الفرضية ، أو تتغير أو تنقض للبحث عن فرضية أخرى .. أما فى حالة تاكيدها فان الفرضية تصبح نظرية مقبولة متداولة أو قانوناً من القوانين المعترف بها علمياً .

● ●

أردت من هذه التقدمة فى منطق البحث العلمى أن أصل الى بعض الاستنتاجات الاستنباطية حول الظاهرات والقوانين العامة التى أثرت فى حياة الفكر والأدب على المدى التاريخى بمنطقة شرق الجزيرة العربية والخليج العربى وهى ملاحظات وخلاصات أخذت تتجمع لدى وأنا أقوم بابحاثى التفصيلية حول التاريخ الثقافي لهذه المنطقة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، أو اتابع واطلع على أبحاث ودراسات زملائي الأخرين فى هذا الموضوع وهى قد أصبحت كثيرة وواعدة فى السنوات الأخيرة بعد أن كنا قلة قليلة فى بداية الأمر .

المسالة التى أود طرحها تتعلق باستمرارية أو عدم استمرارية تقليد أدبي وفكرى متواصل فى تاريخ الخليج وشرق الجزيرة .

والسؤال بالتحديد : هل سمحت عوامل الصراع والتجزئة فى تاريخ المنطقة بنشوء حياة أدبية وفكرية مستمرة ومتصلة الحلقات فى تاريخها أم أن حياة الأدب والفكر كانت عبارة عن جذوات تشتعل وتخبو حسب الظروف التاريخية دون تطور مستمر ؟

وفى الحالتين ، حالة الاستمرار أو حالة الحركات الأدبية المتقطعة ، هل هناك قوانين ومعان حضارية وخصائص فكرية متميزة ومتكررة فى ثقافة المنطقة ونتاجها الفكرى والأدبى ؟ وما هى هذه القوانين والمعانى والخصائص والميزات إن وجدت ؟

هذه الأسئلة التى تطمح الى الخروج بنظريات عامة عن التاريخ الثقافى لهذه المنطقة ، أى تطمح للقيام بعملية استنباط شمولية لهذا الموضوع ، تعيدنا الى وجهها الآخر وهو الجانب الاستقرائى .. أى توفر المصادر والوثائق والدراسات التفصيلية حول مختلف أجزاء الموضوع .. هل أصبحت على درجة من الوفرة تسمح لنا بالانتقال من التدرج الاستقرائى الى الكشف الاستنباطى والاستخلاص والتعميم ؟

لا نزعم أن هذه الشواهد الاستقرائية قد بلغت مرحة الكمال ، أو مرحلة الاطمئنان التام الى ما ترفدنا به من أحكام ونظرات .. ولكن هنا يأتى دور الاستنباط فى البحث العلمى ليرشد عملية البحوث الاستقرائية ويعطيها وجهتها المتطورة ويلقى الضوء على الأفاق الجديدة التى لابد لها أن تتطلع نحوها إن هى أرادت تحقيق غاية النهضة الفكرية من جهود البحث العلمى .

إذن .. على ضوء ما توفر لدينا حتى الآن من شواهد سنحاول أو بالأحرى سنغامر باعطاء مخطط أولى للاجابة ، وما سنقوله هو استنباط وفرضيات تتعدل وتتبدل حسب ما نكتشفه مستقبلا من وثائق وأدلة . وبعض ما سنقولة وسنطرحه فى صيغة سؤال حتى لا يتخذ صفة الجزم والقطع .

أولا : هذه التنقيبات والاكتشافات الجديدة المتواترة عن حضارة دلمون فى المنطقة ، ألم يظهر ما يدل منها على حياة أدبية وفكرية فى العصر الدلمونى بالاضافة الى ما تم الكشف عنه من حياة دينية وتجارية ، وهل ينفصل الشعر عن الدين فى تلك الحقبة الميثولوجية من التاريخ القديم؟

وإذا كانت أرض دلمون قد أوحت للشاعر أو الكاهن السومرى المعاصر لها أن يقول شعراً دينياً رائعاً فيها .. قصدت القصيدة المشهورة : « أرض دلمون أرض مقدسة طهور، فى أرض دلمون لاينعب الغراب ولا يزأر الأسد .. الخ » .

أقول نتيجة ذلك التفاعل الخصب بين سومر ودلمون ألم يظهر بالمقابل شعر وأدب دلمونى ؟

هذه مسالة يمكن أن يعيننا على جلائها المختصون فى حضارتى سومر ودلمون . ولكن لنا أن نفترض مؤقتاً أن الحضارة الدلمونية التى كانت صلة التفاعل بين سومر وأرض السند لايمكن أن تكون بدون تراث أدبى متصل بالدين أو منفصل عنه .. بل إن الدين الدلمونى نفسه لايمكن قطعاً أن يكون دون مبادىء مقررة ونصوص وصلوات وأدعية تمثل الأدب الدينى لتلك الحضارة .

ولنا أن نتصور أيضاً أن هذا التراث الأدبى والدينى كان تراث انفتاح وتسامح وتفاعل لأن دلمون نفسها كمنطقة بحرية منفتحة كانت محطة انفتاح وتفاعل بين حضارتين كبيرتين هما حضارة سومر ، وحضارة وادى السند .

اذا أمسكنا هذا الخيط على رقته وسحبناه معنا فى رحلتنا التاريخية الثقافية هذه من العصر الدلمونى الى العصر الجاهلى .. فماذا نجد ؟

نلاحظ أن منطقة الخليج وشرق الجزيرة كانت منطقة تجاور وتعايش وتفاعل بين

نحو نظرية في

تفسير التاريخ الثقافي للخليج وشرق الجزيرة العربية

مختلف الديانات القائمة حينئذ ، أى أنها واصلت تقليدها المنفتح منذ دلمون ، وان ذلك التعايش لابد أن يكون قد ولد تيارات فكرية وحياة ثقافية خصبة . ومن الوثائق النادرة ولكن الدالة على تلك المعاناة الفكرية وأكاد أقول الفلسفية ، معلقة طرفة ابن العبد الذى عاش فى هذه المنطقة هو وقبيلته ورهـط من الشعراء قبل ظهور الاسلام ، بما لايقبل الشك .

ولقد لاحظ دارسون عديدون من مستشرقين وعرب من بينهم الدكتور طه حسين إن هذه المعلقة تشمل نظرات وجودية سابقة لأوانها ، وتاملات فى الكون والحياة والموت لايمكن أن تنبت من فراغ فكرى وجميع المعلقات السبع أو العشر الأخرى لا تبلغ مرتبتها من الناحية الفلسفية ، ففى الوقت الذى ركز فيه أمرؤ القيس على الصيد والقنص والمغامرات النسائية ، وانفعل عمرو بن كلثوم بعنعنات الجاهلية والمزايدات القبلية من نوع « ألا لا يجهلن أحد علينا » و « ملأنا البر حتى ضاق عنا » .. كان « طرفة » يتساءل بهدوء وألم عن معنى الحياة ، وعن الموت الذى يوجد فى التراب بين الغنى والفقير والصغير والكبير ، وكأنه بهذه الأسئلة يعبر عن شوق النفس العربية الى إيمان جديد كانت تهفو اليه قبل الدعوة ، ويعبر عن تساؤلات العقل العربى قبل أن يروى ظماه الاسلام .

ويمكن فهم هذا التميز على ضوء الموقع الجغرافى .. الحضارى ، فكلما تم الاقتراب من البحر المنفتح على حضارات العالم كان الموقف الذهنى أقرب الى التجديد والتحرر وكلما تم الايغال فى الداخل البعيد والمنعزل عن المؤثرات الحضارية ، كان الموقف أكثر تمسكاً بالمحافظة وبتقاليد العشيرة . وهى مفارقة نلمسها فى أطراف الخليج ذاته قديماً وحديثاً . فما كان من تلك الأطراف أكثر تأثراً بحياة الصحراء كان أقرب الى المحافظة وما كان منها أكثر تأثراً بحياة البحر كان أميل الى التغيير . وذلك طبيعى . فامواج البحر حركة ، وصخور الصحراء ثبات ، وتاريخ الأدب فى الخليج هو نتيجة لجدلية البحر المنفتح والصحراء الثابته ، أى لجدلية التغيير والمحافظة .

وهذه الظاهرة ذاتها نجد مصداقاً لها فى مصر ، فاهل الوجه البحرى أكثر انفتاحاً وتحرراً من أهل الوجه القبلى المشهورين بالمحافظة والتمسك الشديد بتقاليدهم المتوارثة ، وما ذلك إلا لأن الوجه البحرى أكثر تعرضاً للمؤثرات الحضارية القادمة إليه من البحر ، بينما الوجه القبلى محاط بسياج عزلته الساكنه ، خاصة فى الحقب الماضية قبل انتشار وسائل الاتصالات الحديثة ، ورغم انتشار هذه الوسائل الان فان الروح المحافظة التى تكونت عبر العصور ما زالت متمسكة بثوابتها ، شديدة الحذر من مؤثرات التغيير .

وهذا القانون ينطبق أيضاً الى حد كبير على مناطق الجزيرة والخليج ، مرجحاً ميل التغيير لدى أهل البحر والمطلين عليه ، معذياً ميل المحافظة لدى أهل البوادى الداخلية والجبال المنيعة .

ولكن يجب ألا نستبق الأمور فى صياغة تفسيرنا النظرى المنشود ولنعد من الاستنباط الى الاستقراء من جديد !

قلنا أن معلقة « طرفة بن العبد » أبرز وثيقة جاهلية دالة على نوع الحياة الفكرية والأدبية فى هذه المنطقة ، ولم يكن طرفة الشاعر الوحيد المنسوب اليها .

ففى المعجم الوجيز لرجال الثقافة فى تاريخ الخليج الذى الحقته بكتـابى «لمحات من الخليج العربى » أحصيت سبعة وثلاثين شاعراً من العصر الجاهلى وحده ، نسبتهم المصادر الأدبية القديمة الى قبائل شرق الجزيرة كبكر بن وائل ، وبنى عبد القيس ، ومن أبرز أولئك الشعراء : سعد بن مالك جد طرفة ، والمتلمس ، والمرقشان الاكبر والأصغر ، وعدة شعراء عبديين آخرين .. مما يؤكد أن طرفة لم يبرز من فراغ .

بعد أن اعتنقت هذه المنطقة الاسلام ، واجتازت أزمة الردة التى مرت بها بعض أطرافهـا ، نجـدها تستقر .. من عهـد الراشدين والأمويين الى العصر العباسى الأول .. على صيغة سياسية وفكرية أبرز ما يميزها صفة : « التعددية » أى تعدد وتنوع الاتجاهات والاجتهادات . فبسبب بعد هذه المنطقة حينئذ عن مراكز الخلافة وعن سلطة القوة المركزية ، لجأت اليها واستوطنتها الفرق المعارضة للأمويين والعباسيين ، ولعلها قد وجدت فى تقاليد الانفتاح المتوارث فى هذه الاطراف ما وفر لها جو التسامح الذى افتقدته فى أماكن أخرى ، ومن هذا الواقع نسمع عن قطرى ابن الفجاءة الفارس والشاعر المنسوب للخوارج ، وعن عيسى الخطى ورشيد الهجرى من رجال الأدب المعارضين للخلافة الأموية .

عاشت هذه الاجتهادات المتعددة بسلام وابداع فى عصر القوة والازدهار . فلما بدا الاضطراب فى العصر العباسى الثانى وتلاشت السلطة المركزية تحولت هـذه الاجتهادات الى مظاهر للصراع ، فظهرت حركة الزنج فى شمال الخليج ، وحركة القرامطة فى وسطه ، ولم تستطع هذه الاجتهادات العنيفة تحقيق وعدها فى العدالة والرخاء ، وصارت مظهراً للاضطراب أكثر مما هى وسيلة للاصلاح ، فكان لابد من قوة تمثل إرادة الجماعة ووحدة الأمة لحماية المنطقة من الانقسام .

ولكن قبل الانتقال للبحث فى هذه القوة الموحدة ، لابد من أن يتوقف الدارسون عند المظاهر الشعرية والخطابية والفكرية التى خلفها دعاة الزنج والقرامطة ، فهذه الحركات التاريخية على خطورتها لا يمكن أن تكون دون شعر وأدب ، ودعاة وفكر . فمن يبحث عن المصادر والمظان ، ثم من يحلل ويقيم ؟ .. سيكون هذا دون شك فصلا ممتعاً من تاريخ الخليج الثقافى ، يكشف عن الصوت الآخر من التراث ، وهذا الصوت يمثل استمراراً للخيط الذى نمسك به فى عصر دلمون الذى انعكس انفتاحه الحضارى فى حيوية الأفكار فى عصر « طرفة » ، ثم فى تعددية الاجتهادات فى صدر الاسلام ، ثم فى تعددية الظاهرات السياسية ـ الاجتماعية فى العصر العباسي الثانى .

ولكن عند هذا المنعطف يجب أن نعود إلى القانون الآخر فى تاريخ الخليـج ، القانون الذى يوازى قانون « التعددية »

ويضبط اختلاله ويحتوى آثاره . ونعني به قانون « الجدلية المستمرة بين البحر المتغير والصحراء الثابتة » . فعندما يعلو الموج على رمال الساحل ويتعدى حده تواجهه صخور الصحراء فترده الى مستقره . وعليه ، فان الاضطراب الذى جاءت به الموجة القرمطية على الجزر والسواحل ، قد واجهته القوة العيونية المحافظة المنطلقة من الداخل ، وحدثت المواجهة القرمطية ـ العيونية الحاسمة التى لابد أن يلتفت اليها والى آثارها الفكرية ـ فضلا عن التاريخية ـ جميع المهتمين بخلفية المنطقة . فهذه المجابهة كانت نقطة فاصلة فى تاريخ الخليج . وانتصار العيونيين على القرامطة نقل الخليج من وضع التعددية والتباين المتطرف إلى وضع المحافظة والالتزام بالأصول وبخط الجماعة الواحد ورفض التعارض المؤدى الى تعددية الاتجاهات . يصح هذا فى الاجتماع والسياسة ، كما يصح فى الفكر والفقه والأدب ومجالات الثقافة والحياة بعامة . وهذا التحول هو ما يعنيه الانتصار العيونى وقيام الدولة العيونية وسيادتها فى المنطقة لثلاثة قرون. ومعظم الدول التى قامت فيما بعد هى استمرار بشكل أو بآخر للدولة العيونية فى نظمها واتجاهاتها وموقفها فى تلك المجالات

ولقد كان الشعر حاضراً حومة تلك المواجهة الفاصلة وشاهداً عليها !

سل القرامط من شظى جماجمهم ؟

أطلقها مفتخراً ابن المقرب العيوني شاعر الخليج الاكبر فى العصور الاسلامية والذى تم تحقيق ديوانه ، وظهرت عنه دراسات جيدة مؤخراً ، لحسن الحظ .

وكما أن « طرفة » لم يبرز من فراغ ، فان ابن المقرب لم يبرز من فراغ أيضاً . ولابد أن ذلك الجهد السياسي والحربي الذى صفى القرامطة قد صاحبه صراع عقيدي فكرى بين اتجاه القرامطة واتجاه السنة والجماعة الذى تمثل فى الدولة العيونية .

وهنا أترك ثلاثة موضوعات تاريخية وأدبية وفكرية للباحثين :

● أولا : الصراع العيوني ـ القرمطي وأبعاده فى الفكر والأدب .

● ثانياً : تاريخ الدولة العيونية التى حكمت هذه المنطقة لثلاثة قرون تقريباً ، أين هو ؟ وماذا فعل العيونيون خلال ذلك ؟ وكيف نجهل دولة كان لها الدور الحاسم فى مصير منطقتنا فضلا عن استمرارها لمدة طويلة فى حكمها وكونها الامارة النموذج لما تلاها من تشكلات تاريخية واجتماعية ممتدة حتى وقتنا الحاضر .

● ثالثاً : الحركة الأدبية التي كان محورها ابن المقرب العيونى كيف نعيد اكتشافها ورسمها ؟

● ●

بعد العيونيين يستمر جانب المحافظة فى تاريخ الخليج إلى أن تاتي تحديات الغزو الأوربى ، السياسي والحضارى .. أى الى أن يأتى البحر بمتغيرات جديدة غير معهودة تبدأ بتحريك الثوابث الصحراوية . وطلائع هذا الغزو فى الخليج كان البرتغاليون . والغزو البرتغالى يثير لدى كباحث فى تاريخ الأدب والفكر سؤالا محيراً !

ـ كيف أثار الغزو الفرنسي على يد نابليون لمصر حركة فكرية وحضارية جديدة ولم يثر الغزو البرتغالى للخليج مثل هذه الحركة ؟

أو أنه أثار حركة أجهضت فيما بعد ؟ أو أنه لم يكن بالمستوى القادر على الاخصاب : فالبرتغاليون فى القرن السادس عشر أقل تمدناً من فرنسيي القرن الثامن عشر ، أم ان المنطقة ذاتها لم تكن مهياة ذاتياً لمثل هذه النهضة الباكرة ؟

أسئلة أتمنى لو شاركني باحثون آخرون عبء حملها ، ثم متابعة ما تلا هذه الفترة من تطورات .

● ●

ختاماً لعل هذه الرحلة ـ بنظرة الطائر ـ بين العصر الدلموني والعهد العيوني ، تعيننا على استخلاص بعض النتائج الخاصة بجوهر التاريخ الثقافي للمنطقة :

أولا : يتصف هذا التاريخ بانفتاح وتسامح فكرى بحكم التفاعل مع الحضارات الانسانية المختلفة عن طريق البحر ..

ثانياً : تنتج عن هذا التفاعل المنفتح تعددية فى الاجتهادات وحيوية فى الأفكار تتعايش وتتفاعل فى عصور التوازن والاستقرار وتبقى ضمن الاطار الواحد المتنوع والخصب للحضارة الاسلامية العربية .

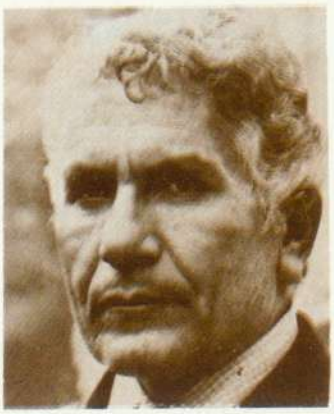
ثالثا : عندما يختل قانون التعددية ويفقد توازنه ويضطرب ، يبرز قانون الجدلية المتوازنة بين البحر والصحراء (الجدلية البرمائية) ، وتقدم الصحراء بروحها المحافظة على الأصول والقيم ، مقومات الصمود والثبات والتوحيد لموازنة المتغيرات البحرية وضبطها لحماية وحدة المنطقة واستقرارها ، والحفاظ على متانة النسيج الاجتماعي .

رابعاً : هذه الجدلية المتوازنة بين العنصرين (الثابت والمتحول) هى التى مكنت المنطقة وتمكنها الآن من استيعاب الجديد وقبول المؤثرات الحضارية دون أن يؤدى ذلك إلى فقدانها أصالتها واستقرارها ووحدتها .

هذا التوازن المستمر ، والخلاق ، والضروري بين الثابت والمتحول ، بين الباقى والمتغير ، وبين الصحراء والبحر هو ما يجب أن نحافظ عليه ، ونفهم طبيعته وجوهره لأنه جوهر الاستمرارية الحضارية فى الماضى والمستقبل ، وهو « المعنى » العميق لتاريخنا الثقافي .

وبعد .. فهذه الخطرات لا تطمح لأن تكون نظرية نهائية فى تفسير التاريخ الثقافى لهذه المنطقة العربية ، ولكنها محاولات أولية نحو التفسير والفهم ، كي لا تبقى الأبحاث والدراسات الخليجية في مستوى الكم ، وكي ترتفع الى مستوى التركيب الفكرى الضرورى لأية نهضة .

د . محمد جابر الأنصارى



شخصيات

يوسف إدريس

ورشة القصة في نيودلهي

استغربت للدعوة ، فهى ليست قادمة من موسكو ولا جامعة هارفارد او المدرسة العليا للدراسات الشرقية بجامعة لندن ، انها قادمة من الهند وبالتحديد من المجلس القومى للثقافة هناك . استغربت لأن الدعوة كانت لما اسماه الخطاب بعقد « ورشة » للقصة القصيرة على المستوى الآسيوى الأفريقى بشكل خاص وعلى مستوى العالم الثالث والعالم بشكل عام . وتعبير « ورشة » لم يكن جديداً على فقد سبق وتلقيت دعوة لحضور « ورشة » عن الفن المسرحى تقام فى جامعة أبادان في نيجيريا ، ويبدو انها تسمية غربية يفضلون اطلاقها على الندوات أو المؤتمرات التى يكون معظم المدعوين لها من مؤلفى هذا الفن أو ذاك ، باعتبار أن كلمة مؤتمر أو ندوة يعقدها « المراقبون » و « النقـــاد » وتناقش المسائل من الخارج ، بينما تعبير ورشة يعنى أن المجتمعين سيكونون من المنتجين والمؤلفين وصناع هذا الفن أو ذاك وسيناقشونه من الداخل ، ومعه سوف يناقشون مشاكل التاليف أو الانتـــاج والعوائق التى تحول دون المبدع وعملية الابداع .

أقول استغربت لأن عقد ورشـــة لفن « القصة القصيرة » بالذات مسالة لا يمكن أن تتم الا فى بلد وصل بثقافته حد الترف الثقافى فالبلاد الاوربية رغم ثقافتهـــا المتقدمة جداً ، لم تقم بعقد ورشة لهذا الفن بالذات باعتباره أحدث أنواع الفنون المكتوبة ، اذ أن عمر القصة القصيرة المكتوبة بشكلها الموجودة به الآن فى العالم لا يتعدى ـ عند الغرب على وجه التحديد ـ أكثر من أربعمائة عام أو ربما أقل،اذ هو مرتبط الى حد كبير بظهور الصحافة وبداية نشرها للقصص القصيرة .

ولهذا فان تقوم بلد مثل الهند ـ نعرف ونسمع جميعاً عن ظروف الحياة الصعبة فيها-بعقد مؤتمر للقصة القصيرة ، ترسل فيه دعوات وتتحمل مصاريف السفر والاقامة لمدة خمسة عشر يوماً لما لا يقل عن أربعين كاتباً من مختلف أنحاء العالم مسالة لابد أن يرتفع لها الحاجب دهشة مقرونة باعجاب شديد ، فها هى ذى واحدة من أفقر دول العالم الثالث تقوم بعقد مؤتمر مكلف لنوع من أرقى أنواع الفنون المكتوبة لابـــد اذن أنها دولة وان كانت مادياً فقيرة إلا أنها لابد أن تكون غنية جداً بالفكر والفن والثقافة .

ولهذا لم أتردد ، أرسلت بموافقتى فى نفس اليوم .

كان محدداً لعقد الندوة أو « الورشة » الفترة من ٨ ـ ٢١ مارس الماضى . وكنت قد أعددت العدة تماماً للسفر ، ولكن وقع لى على المستوى الشخصى وبالتحديد يوم ٦ مارس حادث جلل ، فقد كان ابنى (١٧ سنة) ضحية حادث سيارة انفجرت له عينه اليمنى . ولن اتحدث هنا عن هول الصدمة والألم ، لن اتحدث عن أبشع ما يمكن أن يحدث للرجل ، أبشع شىء فى

الدنيا ، أن يحدث لابنه أو لابنته حادث يهدده ويهددها بعاهة . انها لتجربة فى حد ذاتها جديرة بأن تكتب وحتما ستكتب ، فقط حين يندمل الجرح الذى لا يزال "مغوراً" فى نفسى رغم أن الله سبحانه قدر ولطف فقد أتيح لنا أن نسعف (بهاء) بالعلاج ، وقدر المولى له طبيب عيون مصرى عبقرى امكنه أن ينقذ العين ويخيط الجرح الشارخ لكرة العين بطول أربعة عشر ملليمتراً مع ضياع لعدسة العين وتهتك بالحدقة . بأنامله الدقيقة لملم جراح العيون مكونات العين المبعثرة ، أو هكذا قالوا لى ، إذ أنى لم احتمل أبداً مشهد الطبيب أن يخرج من غرفة العمليات ليقول لى : أنا آسف ولكن كان لابد من استئصالها ، ولهذا ، ولكى لا أصاب بنوبة قلبية أدخلونى غرفة العناية المركزة بمستشفى مجـــــاور واستعملوا كل ما لديهم من مهدئات وعقاقير تخدير ليجبرونى أن أفقد الوعى خلال الفترة الحرجة ، وفعلا لم أفتح عينى إلا على هزة من طبيب العيون يوقظنى ويقول : مبروك لقد بدأت العين تمتلىء بسائلها او بالأصح (تعبى) وهو ما يعنى أنها انقذت ولم تصفى . وكان الخوف الأكبر التالى أن يصاب الجرح بتلوث ويحدث فيها التهاب أو (ايريتس) وهو كارثة أخرى لابد لاشفائها من استئصال العين .

وما كاد بهاء يقف على شاطىء الامان ويخلف وراءه كل المراحل الحرجة حتى أمرنى طبيبى بأن أركب الطائرة فوراً وأذهب إلى مؤتمرى فى الهند اذ أن خوفه الأكبر كان أن ابقى بجوار بهاء ويهدد قلبى تماماً ذلك التوتر الذى يعيشه الآباء والأمهات والقلق المرعب الذى يجتاحهم ، وقال لى : أنا لست خائفاً عليك فقط ولكن متأكد أنك لو حدث لك شىء فستنهار مقاومة ابنك لادراكه أنه السبب فى تعبك ولأنه متعلق بك تماماً فحتما سيصاب بمضاعفات تهدد عينه ان لم يكن حياته .

ومرغماً ركبت الطائرة وقلبى وعقلى وكل ما أملك من قدرة على الأمل والرجاء تركتها بجوار فراش (بهاء) .

مرغماً لهذا السبب الخاص ، ولسبب آخر نقلوه لى وهو أن المؤتمر قرر – بعد ما سمع أعضاؤه بالخبر – أن يؤجلوا افتتاحه ثلاثة أيام لكى يتاح لى فرصة حضوره . كيف لا أكون كريماً مع هؤلاء الأوفياء . متقدماً خمس ساعات فى اتجاه الشمس والشرق . وصلت نيودلهى وأنا مضعضع تماماً فقد طلع على صبح لم يسبقه ليل إذ أكل نصفه اتجاه الطائرة الى شرق أكثر .

ومضعضعاً حضرت الجلسة الأولى . وكانت عين بهاء موضوع أول استفسار عام من أعضاء الورشة ، وحين وزعوا البرنامج والدوسيهات اكتشفت كارثة مضحكة تماماً فقد اكتشفت انى فى ارتباكى المهول ، نسيت نظارة القراءة فى الطائرة اليابانية ، وهكذا قدر على أن أمضى كل أيام المؤتمر الأولى « سماعى » .

● ●

ولكن ..

أحداث الحياة دائماً قادرة على انتزاع المرء من أسوأ حالاته .

وبعد ساعة كنت قد اندمجت تماماً فى أعمال « الورشة » وقد أجبرت مشاكلى الخاصة أن تغوص بعيداً فى أعماقى ، إلى حين على الأقل .

كانت المواضيع التى ستتناولها الندوة هى : القصة القصيرة كشكل أدبى خالص ، والتاريخ والقصة القصيرة ، والقصة القصيرة والتليفزيون والسينما ، والقصة القصيرة والحرب والجنس والعنف ، والقصة القصيرة والصحافة الجديدة ، والقصة القصيرة والتغيرات الاجتماعية .

كانت المواضيع قد أرسلت لى فى القاهرة لأختار منها ما أشاء من موضوعات كى أحضر ورقة عن أيها لمناقشها المؤتمر ، ولكن كعادتنا نحن العرب ، حين القيت عليها نظرة فاحصة وجدت انها كلها ليست غريبة على وأنه ستكفينى رحلة الطائرة لكى أدون وجهة نظرى عنها جميعاً وبالتحديد عن موضوع : القصة القصيرة كفن أدبى خالص ، ذلك أنه موضوع لم تتضح أبعاده تماماً ولى فيه رأى كنت شديد الشغف لأطرحه على أناس جمعتهم هنا فى نيودلهى وحدانية ذلك الفن ، أناقش معهم وقد أصل إلى يقين وقد أتعلم الجديد وقد أخرج وإياهم بمفهوم مختلف لم يطرأ لأينا على بال .

كانت الورشة منعقدة فى مبنى رائع فى تصميمه يسمى « بيت الهند العالمى » ، وهو هدية من اليونسكو للهند ، فيه فندق لاقامة المنتدين والأدباء والفنانين ، وفيه مكتبة ضخمة وقاعة للاجتماعات ، وحديقة باهرة الروعة تتخلل مبانيه وتحيطه من كل جانب .

وكانت منضدة الاجتماع تتحلقها وجوه جاءت لتمثل جنوب شرقى آسيا والصين وأفريقيا والمشرق العربى كله الذى كنت أتشرف بتمثيله، وكان هناك مراقبون من أوربا ومدعوون جاءوا على نفقتهم من تايلاند والفلبين ، وتونس ، ونيجيريا ، وكينيا ، وماليزيا ، وباكستان ، وبنجلادش ، وسرى لانكا ، وغينيا ، وغانا ، وبـــــلاد لا أذكرها على وجه التحديد الآن . اذ كان المجلس الثقافى الهندى قد أرسل دعوات إلى شخصيات بعينها لتحضر وتكون ضيفة عليه ولكنه أيضاً أرسل دعوات إلى ٦٢ دولة كثير منها لبى الدعوة وحضر على نفقته أو نفقة دولته إدراكاً لأهمية الاجتماع وحتمية حضوره مثلما فعل الدكتور محمد بلعيد من تونس وهو كاتب من أروع كتاب القصة القصيرة التونسية وزميلة كاتبة تونسية شابة تعمل بوزارة الثقافة والسياحة هناك .

الحق انى فى أول جلسة ، تلك التى اتخذت فيها الاجراءات التقليدية لبداية أى مؤتمر أو (SEMINAR) لم أر فى القاعة كلها رغم ازدحام الوجوه وتنوعها وكثرتها إلا من أسميتها بينى وبين نفسى « قارة أفريقيا » . سيدة أفريقية فارعة الطول ، ولطولها يصنع نصفها الأعلى مع ساقيها السامقين زاوية حتى لتكاد تشبه خريطة أفريقيا ، وجهها يلمع بالسمرة وكأنما بالعنبر مدهون ومضمخ ، شعرها هالة تاجية سوداء مجعدة ذلك النوع المنمنم من التجعيدات ، عيناها فعلا عيون مها ، واسعتان ، عميقتان تقدحان جمالا وحشياً . زرافة أفريقية تتوه العيون فى تضاريسها ويكاد العقل يطير لها شعاعاً . امرأة لا تملك إلا أن تظل تحدق فيها وتضيع وكأنما تبتلعك أحراش أفريقيا وغاباتها . وتخاف . أجل تخاف . ذلك الخوف الذى طالما حاول الغربيون بأفلامهم وقصصهم عن أفريقيا أن يشعروا ويشعروننا به تجاه هذه القارة السوداء كما يسمونها ، وانسانها الذى يدق بطبول الحرب ويرقص حول الضحايا البيض رقصات الموت .

وكم خدعتنا تلك القصص والأساطير عن أفريقيا ، خدعت حتى نحن الأفريقيين في الشمال ، فحين بدأت السيدة جريس

أوكيني أوجوت تتكلم وأثناء الاستراحات بدأنا نتعارف ونتحادث أحسست أنى أمام واحدة من أرق وأطيب وأنصع نساء العالم قاطبة . جريس وهي الرشاقة والاناقة والقلب الكبير العظيم الأبيض ، بالضبط افريقيا السوداء فقط من الخارج، الناصعة القلب الأبيض من الداخل . انها أكبر كاتبات كينيا والجيل ، إنها جاءت بصحبة ابنها وهو ليضا كاتب ،هي في الأربعين وهو في العشرين وقد صدرت له ثلاث روايات . ما كان أروعها وهى تحدثنا وتعرفنا بكينيا ولغات كينيا ومشاكل القصة في كينيا . لقد حسدتها على ذلك الكم من الحب الذى تكنه ليس فقط لبلدها كينيا وانما للمنطقة التى ولدت وتعيش فيها . حسدتها لاننا في بلادنا العربية يبدو اننا ليس فقط لا نحبها ولكن أزعم اننا في قرارة أنفسنا نكرهها ، طبيعة وبشراً . هذا اللقاء في نيودلهى علمني كيف يعشق الناس بلادهم إلى حد الوله ، هؤلاء الطيبو القلب الموهوبون من آسيا وافريقيا كم يبدون بسيطين غير معقدين طيبين ، انهم فطريو الموهبة وايضاً عميقو الاخلاص . لا ينظرون إلى هيمنجواي لكي يصبحوه ولا يزعم كل منهم أو منهن أنه شكسبير زمانه أو برونتي عصرها ، إذ هم يتمتعون بما هو أروع حقا ، حبهم المدله لبلادهم وطقوسهم وشعوبهم ورغبتهم العارمة في التعبير عن آمال شعوبهم وآلامهم . كم كان عظيماً ذلك الكاتب الصيني الطويل جداً ، الطيب جداً ، الرفيق ليجيا من الصين وهو يبدأ محاضرته عن الأدب في الصين بقوله عن علاقة القصة القصيرة بالصحافة : في الصين ينقسم الأدب إلى شعر ونثر ، وتقع القصة القصيرة في فنون النثر ، ونحن نعتبر أن الريبورتاج الصحفي من فنون النثر . وقد يضحك بعضنا نحن الكتاب العرب أو الهنود على حكاية أن الأدب ينقسم إلى شعر ونثر ، إذ كيف في مؤتمر عالمي كهذا نقول زرع ... حصد ... ضرب .. ولكني أعتقد اننا لو أدركنا حقيقة عمق أن الأدب ينقسم إلى شعر ونثر ، أدركناها بعمق وزاولناها فعلا ، لوفرنا على أدبنا العربي كثيراً من (العك) الذي لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ولا هو أي شيء بالمرة وانما هو محاولات صبيانية لاثبات الذات الأدبية دون أدنى احساس أو محاولة للتعبير عن الذات الجماعية الكبرى وهو ما ابتكر الانسان الأدب بشعره ونثره من أجله .

●●

لن أحدثكم بالتفصيل عن كل المواضيع التي طرحت في ورشة القصة إذ ربما يكون هذا في حلقات قادمة ، ولكن ساحدثكم بالتفصيل هنا عن آفة الآفات في أية اجتماعات أو لقاءات أو مؤتمرات يكون على الكاتب فيها أن يمثل بلده أو مجموعة بلدان وعلى وجه التدقيق تلك المؤتمرات التي تقام بناء على التقسيم السياسي للبلاد . ففي مؤتمرات الطب مثلا حين تقام ندوات لجراحة القلب أو التقدم الجديد في علاج السرطان ، هنا ينسى الكل هويتهم ويتفرغون تماماً لبحث (الموضوع) والخروج بنتائج علمية واقرار طرق علاج ، مؤتمرات ولقاءات تخدم البشرية فعلا ، وتحقق التقدم . تعال إلى مؤتمراتنا التي نعقدها ككتاب أو كأدباء ، حينئذ ستجد أن آخر ما سيناقشه المؤتمر هو الموضوع الذي عقد من أجله . فكل عضو فيه يخلع عنه هويته الشخصية ويرتدي عباءة المذهب الذي يمثله أو يؤمن به أو على وجه التحديد ما يؤمن به الحزب الحاكم في بلده أو النظام الذي تتبعه دولته .

وكنت أعتقد أننا في هذه الندوة عن القصة القصيرة سنتفرغ تماماً وقد قطعنا تلك المسافات الطويلة لنلتقي ، سنتفرغ لبحث (فن) القصة القصيرة كأحدث فنون الكتابة ، وستتحول الندوة حقيقة إلى (ورشة) يدلي كل منا فيها بدلوه وبرأيه وبوجهات نظره الخاصة حيال فن عظيم كفن القصة القصيرة ، ولكن ما حدث هو أننا أمضينا ثلاثة أرباع الوقت وكل قادم يقرأ تقريراً مكتوباً عن الأدب في بلده ويثبت فيه أن الأدب عندهم قد ظهر قبل الميلاد بآلاف السنين ، حتى أن أحدهم ذكر أن فن القصة القصيرة المكتوبة قد ظهر في بلاده منذ أكثر من ثلاثمائة عام في حين أنى أراهن أن أحداً في بلاده لم يكن قد قرأ بل أن يكون قد كتب قصة قصيرة منذ خمسين عاماً فقط . وحتماً في أمثال تلك المؤتمرات لابد أن ينشأ الصراع الذي لا معنى له بالمرة ، وهل الفن للفن أم الفن للجماهير ، وهل الكاتب يعبر عن نفسه أم هو لابد أن يعبر عن قصة بلاده ، وهنا أبدأ لا يدور نقاش ، انما يكتفي كل منهم بقراءة المانيفستو الذي يتأبطه ويخرج من المؤتمر أو القاعة كما دخل سعيداً تماماً وكأنما أرضى ضميره حتى ولو لم يكن قد استفاد من اللقاء حرفاً أو أخطأت كلمة أو فكرة وتسربت إلى سامعه .

وظللت أستمع ثلاثة أيام وأنا أستعين بصبر أيوب على قضاء هذا الوقت التعس في الاستماع الى جداول محفوظة كم صادفتها عشرات المرات من مؤتمرات الأدباء العرب والمؤتمرات الأفريقية الآسيوية ثم كان علي أن أرأس المؤتمر وهو يناقش قضية القصة القصيرة والحرب والعنف والجنس . وكان أن تنازلت عن الرئاسة ، وقلت لهم لقد امتلأت أذاني بآراء كثيرة عما (يجب) أن تكون عليه القصة وعما (يجب) أن يكون عليه مضمون القصة ، وما (يجب) أن يفعله الكاتب ليختار أبطاله . وإنى لأتساءل : لمن نوجه هذه (اليجبات) كلها ، الأنفسنا ، أم لأنفسنا ولغيرنا من مواطنينا الكتاب المعروفين والجدد . اذا كان هذا هو ما نريد أن نفعله فأؤكد لكم أن أحداً لن يأخذ (بـ ... يجب) واحدة مما ذكرنا ، فالكتاب لا يكتبون باليجبات ، وهم أبداً ليسوا كتبة وحتى هذا العنوان التفصيلى لعلاقة القصة القصيرة بالعنف والحرب والجنس تخصيص مصطنع ، فما هذه كلها إلا ظروف من بعض ما يحدث للانسان فى عالم اليوم ولا يمكن مناقشتها بشكل منفصل ، انما القصة (كل) ، وموضوع القصة دائما (كل) وأبدا لا يتجزأ ، وألا ترون معى أن نغير الطريقة ونحيل الورشة إلى ورشة تطبيقية فعلا ، استأذنكم اذن أن أقول رأيى على هيئة قصة .

ورحبوا بالفكرة وقرأت لهم قصة من مجموعة صدرت بالانجليزية . ولاننى كنت أعرف أن معظمهم على الأقل فنانون يقولون ما (يجب) عليهم أن يقولوه ، فقد تحولت الجلسة إلى ورشة قصة فعلا ورحنا نناقش فن القصة فى العالم الثالث ، من أين بدا وما علاقته بالقصة المحلية ، وما ملامح قصص العالم الثالث ودرجة الأصالة فيها ، وهل القصة فن قومى أم أن لها شكلا عالميا لا علاقة له بكنه المجتمع الصادرة عنه والموجهة إليه .

وهكذا بدأت المتعة . والى العدد القادم إن شاء الله .

د . يوسف ادريس

الأديب والشاعر العربى السعودى الكبير الدكتور غازى عبد الرحمن القصيبى أصدر هذا الأسبوع ديوانه الشعرى الجديد « الحمى » هذه هى القصيدة الأولى فى الديوان :

الحُمَّى

شعر الدكتور
غازي عبدالرحمن القصيبي



أحسُّ بالرِّعشَةِ تَعْتريني
والموْتُ يسترْسِلُ فى وَتيني
وموجَةُ الإغْماءِ تَحْتَويني
فَقَرِّبي مِنِّي وَلا مِسيني
مُرِّي بِكفَّيْكِ عَلَى جَبيني
وَقَبْلَ أنْ أَرْقُدَ حَدِّثيني

●●

قُصِّي عَلَيَّ قِصَّةَ السِّنينِ
حِكَايَةَ الْمُشَرَّدِ المِسْكينِ
طَوَّفَ عَبْرَ قَفْرِهِ الضَّنينِ
يَشْرَبُ مِنْ سَرابِهِ الخَؤُونِ
وَيشْتَكي النُّجُودَ لِلْحُزُونِ
وَجَرَّبَ الغُرْبَةَ في السَّفينِ
وَهَامَ في مَرافِىءِ الجُنُونِ
كَسِنْدِبادٍ أَحْمَقٍ مَأْفُونِ
وَعَادَ بالحُمَّى وبالشُّجُونِ
مُحَمَّلاً بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ

●●

هَاتِي كِتَابَ الشِّعْرِ أَنْشِدِيني
قصيدةً رائِعَةَ الرَّنينِ
كَتَبْتُهَا في زَمَنِ الفُتُونِ
أَيَّامَ كُنْتُ سَاذَجَ العُيُونِ
قَبْلَ انْتِحَارِ الوَهْمِ في الْيَقِينِ
وَغَضْبَةِ الْكَهْلِ عَلَى الْجَنينِ
وَصَحْوَتي في الوَاقِعِ الحَزِينِ
هَلْ تَذْكُرِينَ الآنَ ؟ .. ذَكِّرِيني
بَرَاءَتِي في سَالِفِ القُرُونِ
قَبْلَ قُدُومِ الزَّمَنِ الْمَلْعُونِ
يَبِيعُنِي حِينًا .. وَيَشْتَرِيني
يَمْنَحُنِي الْمَالَ .. وَلا يُغْنِيني
يَسْكُبُ لِي الْمَاءَ . وَلا يُرْوِينِي
وَيَجْعَلُ الأَغْلالَ فِي يَمِيني
وَيَزْدَرِي شِعْرِي . وَيَزْدَرِيني
يَا لَشَقَاءِ الْبُلْبُلِ السَّجِينِ
في الْقَفَصِ الْمُذَهَّبِ الثَّمِينِ
يُنْشِدُ مَا يُنْشِدُ مِنْ لُحُونِ
خَافِتَةٍ .. دَافِئَةِ الشُّؤُونِ
مِثْلِ دَمٍ يَسِيلُ مِنْ طَعِينِ

●●

تَعِبْتُ مِنْ جَدِّي ومِن مُجُونِي
مِنْ كُلِّ مَا فِي عَالَمِي المَشْحُونِ
مِنْ مَسْرَحٍ مُحَنَّطِ الفُنُونِ
مَشَاهِدُهُ بَاهِتَةُ التَّلْوِينِ
أُغْنِيَةٌ رَدِيئَةُ التَّلْحِينِ
إِمْرَأَةٌ شَابَتْ فَمَا تُغْرِينِي
بَرِمْتُ بِالْمَسْرَحِ .. أَخْرِجِينِي
مُرِّي بِكَفَّيْكِ عَلَى جَبِينِي
وَقَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ .. وَدِّعِينِي

قابيل..
أين أخوك؟!

بقلم : خالد محمد خالد

لقد قص القرآن الكريم علينا نبأ ابنى آدم « إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك .. قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بأثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار . وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » ..

وتتابع بعض المأثورات الدينية بقية النبأ فتقول : عندما قضى قابيل أيامه على الأرض ومات . ثم وقف بين يدى ربه كان أول سؤال وجهه الله إليه .. بل كان السؤال الوحيد الذى وجه إليه هو : قابيل .. أين أخوك » . ؟!

كان قابيل هو القاتل . أما الأخ القتيل فكان هابيل ..

والسؤال هنا ، وبالصيغة التى وجه بها ناصع الدلالة قوى الأدانة حاسم التقريع :

قابيل .. أين أخوك . ؟!

أين أخوك الذى شددت به أزرك واردت أن يكون كل منكما عونا لأخيه .

أين أخوك الذى جئت وإياه من نفس واحدة ، وتفيأتما معاً ظلال الحياة ، ليكون أحدكما للآخر عينه التى يبصر بها وسمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها . ؟!

أين أخوك الذى لم تفرط فى حق الحفاظ عليه وحسب . بل انبعثت وراء رغبتك الشريرة المحمومة المجرمة فسفكت دمه بغير حق وبغير سلطان .. !! ترى بماذا أجاب قابيل .. ؟ ألا إنه لم يحر جواباً وكفت شفتاه المرتجفتان عن الحركة وخرس لسانه عن الكلام ، واستحق أن يمحقه الله فيمن محق من الخاسرين .

بيد أن الله سبحانه أعطانا الـــــدرس المستفاد من الجريمة حين قال تعقيباً على النبأ الفاجع الأليم : « من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » ..

أجل .. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .. فالحياة إذن كما أرادها الله هى عقد وثيق بين الأحياء جميعاً يحمل كل إنسان مسئوليته الجادة تجاهه ، ثم لا تزر وازرة وزر أخرى ..

●●

ترى هل أسدلت الستارة بعد قابيل على جحود حق الحياة وإهدار قيمتها الثمينة الغالية .؟ .

كلا ، فقد امتلأت الأرض على سعتها بالقوابيل فى كل عصر وجيل أولئك الذين جعل الله على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا ، ووضع على أفئدتهم حجاباً مستوراً . فلم يروا جمال الحياة ولا رعوا حرمتها ولا اعترفوا بحق أبنائها فيها !!

ودع عنك قوابيل العالم ، فمعنا من الهموم ما يكفينا ولدينا من القوابيل مالا نجد زماناً يكفى لحسابهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فى إهاب كل منـــا « قابيل » ..نجتر المرارة ، ونلعق الهوان ، ويسلم بعضنا بعضاً للجزارين ، ونتهاوى صرعى الأحقاد والطغيان دون أن ينتفض فينا بأس الرجال ليحمى وجودنا ، وينقذ حاضرنا ويؤمن لنا المصير .

خذ مثلا ذلك الشعب الحزين ـ شعب فلسطين ـ الذى يرزح داخل بلاده وخارجها تحت نير طائفة من البغاة الذين فاقوا التتار فى نذالتهم وإجرامهم وحقدهم على الحياة ..

●●

إن الحديث عن شعب فلسطين ليكتسى بغلاف كثيف من الخزى ومن العار لطول ما نُحّنا كالنائحة المستأجرة ، ولكثرة ما نثرنا من الورود الذابلة على جثمان هذا الشعب الشهيد .

إن هذا الشعب شيوخاً وشباباً وأطفالا ونساء وبنات يعانى أمام العالم المتفرج من جرائم خصمه وعدوه ما تتمزق له الجبال ، وتدك من هوله دكا .

ماذا فعل « قابيل » العربى والمسلم لهذا الشعب المطحون المهان .؟! أصحيح أننا بلغنا من العجز ومن الهوان ومن الضعف ما لم نعد معه بقادرين على دفع النكبة ووقف العدوان .؟!

أصحيح أننا أصبحنا أرضنا وأعراضنا كلأً مباحاً لأكثر خلق الله إيغالا فى الجريمة وانتهاكاً للحرمات حتى أصبح أى شاب اسرائيلى قادراً على أن يقتحم حمى المسجد الأقصى فى خطوات جريئة ومستهترة فيطلق النار على المصلين حيث يقتل من يشاء ثم يدمر قبة الصخرة فى مجون وقح دون أن يخشى ولو من صفعة هزيلة تصيبه ، أو تصيب دولته .؟! .

لماذا أسلمنا ـ نحن القوابيل ـ هذا الشعب وخاصة الذين يخضعون لسلطان إسرائيل ـ لماذا أسلمناهم ، وإلى متى ندير ظهورنا لهم . ونظن بأنفسنا ظن السوء حين نراها عاجزة عجزاً مطلقاً عن أن تصنع للمظلوم شيئاً ، وترد الظالم إلى الوراء .. ؟!

لقد وجه « بسام الشكعة » نداء عبر مجلة « المجلة » فى عددها رقم ١١٢ فقال : « نحن تحت النار والحديد . وعلى العالم أن يعرف هذا .. نحن رافضون ولكننا نعيش تحت سلطة السلاح .. نحن مذلولون مذبوحون ، ونستنجد بأخواننا العرب » .

مذلولون مذبحون !! ياحسرة علينا نحن العرب !

إن « بسام الشكعة » هذا واحد من الأبطال الذين تصب الحكومة الاسرائيلية عليهم كل الهول وكل الهوان .

وهو إذا كان يصرخ بأن قومه فى الأرض المحتلة مذلولون مهانون ، فهى ليست صرخة يائس مهان .. فاحدث مواقفه الباهرة تعطى صورة رجل وثيق . فخلال المؤتمر الشعبى الذى دعت إليه بلدية « نابلس » أخيراً ، والذى تصـــــدى له الاسرائيليون البغاة بالرصاص وقنابل الغاز ، اقترب بعض الجنود من بسام الشكعة وطرحوه أرضاً ، فما كان منه إلا أن نهض واقفاً وحل أزرار قميصه وفتح صدره للنار ، وصاح فى الجنود الاسرائيليين : « اضربوا يا جبناء .. يافاشيست ، إذا كان يرضيكم أن تسفكوا دماءنا .. أنتم غرباء . وستبقون غرباء .. وهـــــذه أرضنـــا ومنازلنا » .. !!

ألا من مغيث يا سادة العرب .؟ ألا من معين .. !!

●●

وخذ مثلا ما يحدث فى أفغانستان حيث يسحق شعب برىء وعريق ، وحيث تداس أقداره بالأحذية الثقيلة لجيش غاز دخيل .

أفتعجز ستوثلاثون دولة مسلمة عن أن يكون لها موقف منقذ .؟! لقد استصرخ السيد هارون المجددى ممثل الثوار الأفغان فى مصر وفى جامعة الشعوب العربية والاسلامية على صفحات مجلة « النور » التى تصدر بالقاهرة .. استصرخ بالمسلمين جميعاً .. ذاكراً أن معظم المساعدات التى يقدمها المسلمون وحكوماتهم لا تعدو أن تكون كلاماً تلوكه الألسن وتتلمظ به الشفاه .. !!

فأين هو « قابيل » المسلمين الذى وإن لم يكن قد بسط يده لأخيه ليقتله ، فقد أسلمه لجلاديه ووقف يتفرج فى خذلان .. !!

●●

قابيل.. أين أخوك؟!

• •

وخذ مثلا آخر قد يختلف عن الامثلة السالفة فى أن ضحاياه لا يسقطون صرعى القتل والقتال ـ بل صرعى الجوع حينا ، والواقع المعيشى السيىء والمتخلف أحيانا .. وأين يحدث هذا .. ؟ يحدث فى عالم عربى وإسلامى متخم إلى غير حد بكل امكانيات الحياة الوارفة الرافهة الهنيئة

وهنا نلتقى بالسؤال الخالد « قابيل .. اين أخوك » مكتوبا بحروف كبار ومحفورا على ملايين الجباه العليلة الذليلة فى شعوب الاسلام وبلاد الاسلام ..

نحن المسلمين نمثل قوة بشرية هائلة قد لا تقل عن ثمانمائة مليون .. وهذه القوة تشكل ستا وثلاثين دولة .. وتحتل من الكرة الأرضية مساحة قدرها ثلاثون مليونا من الكيلومترات . أى انها ستة اضعاف الولايات المتحدة الامريكية ، مدخلين فى هذه المساحة ست جمهوريات سوفياتية وإقليم صينى كبير هو إقليم « سيكيانج » .

وَيَنبَثّ هذا العالم الاسلامى خلال عدة مناطق رئيسية ، تشكل كل منها كتلة إقليمية متقاربة .

وأولى هذه المناطق ـ منطقة العالم العربى الغنى جدا ، والثرى جدا ، والذى لا يزخر جوف ارضه بالذهب الأسود فحسب . بل وتتوفر لديه جميع المعادن والخامات التى خلقها الله ما عدا « البوكسيت » الذى يستخرج منه الألمونيوم والمطاط .

والمنطقة الثانية جنوب شرقى آسيا ، والثالثة مجموعة آسيا المركزية ، والرابعة مجموعة افريقيا الغربية ، وتستطيع هذه القوى والمجموعات إذا نجت من تفكير « قابيل » واستهتاره أن تقيم فيما بينها تكاملا اقتصاديا وتمتثل لتوجيه الرسول الكريم حين يقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أليس أمرا مفجعا ومفزعا أن يسقط مئات المسلمين فى « بنجلادش » صرعى الجوع .. أقول : الجوع حقيقة لا مجازا . ويبلغ دخل الفرد فيها تسعين دولارا فى العام .. ؟!

هذا ، بينما أقطار أخرى تَخُبّ فى النعيم وترتع

لماذا لا تتجه حكومات العالم الاسلامى إلى إقامة سوق مشتركة ، تجمع الشمل وتنقذ المعوز والمعدم من الأمم التى تعيش على الكفاف ..

إن المبررات التى انشأت السوق الأوربية المشتركة ، والظروف التى مكنت من إقامة هذه السوق لاقل بكثير من المبررات والظروف التى تدعو وتتيح إقامة سوق اسلامية مشتركة إن لم يكن على مستوى الدول الاسلامية كلها ، فلتكن بادىء ذى بدء على مستوى مجموعاته الاقليمية .

إننا نملك القوة البشرية ، والاتساع الجغرافى ، والتنوع الكبير فى الموارد الاقتصادية مما يمكننا من إحراز خير انماط التنمية التى لا ينتابها الافراط فى التخصص ولا الاختلال فى التوازن على حد تعبير بعض الاقتصاديين .

وإذا كنا عاجزين عن تحقيق الوحدة السياسية اليوم ، فالوحدة الاقتصادية او التكامل الاقتصادى قريب المنال إذا كرسنا له جهودا مخلصة ونوايا صادقة .

إن تطورنا فى جميع مجالات التقدم سيظل حابيا وبطيئا مادام نمونا الاقتصادى بطيئا .

وستظل معظم الدول الاسلامية ترزح تحت أعباء التركة المرهقة . التى خلفها لها الاستعمار .

والأيدى العاملة فى معظم هذه الدول تعمل فى الزراعة المتخلفة لانها لا تجد رأس المال الذى يصنع بلادها ، ويتيح لها الصناعات التى تعمل فيها وتكد

ويكفينا مثل واحد لضرورة التكامل الاقتصادى بين دول العالم الاسلامي وشعوبه .

فبلد كالسودان تنبسط فى أرجائه مائتان وخمسون مليونا من الأفدنة ـ أرضا خصبة معطية بينما يقع على حدودها شعب يتكون من اثنين واربعين مليونا يعيشون على اقل من سبعة ملايين من الافدنة .. ؟! أولئك هم المصريون .

أليس فقدان التكامل الاقتصادى خطيئة لا يجوز أن يقترفها أحد فى العالم العربى والاسلامى .

هنا يجلجل فى أسماع الذين فى آذانهم وقر سؤال الحق : « قابيل .. اين أخوك » فان تعيش دول إسلامية فى قمة الرخاء والرفاهية . بينما تلهث شعوب أخرى مسلمة وراء الكفاف امر ليس من الاسلام ولا من مروءة الرجال فى شىء .

لقد قرأت مرة لأستاذ فاضل مهتم بالاقتصاد الاسلامى يقترح أن تخرج الدول القادرة زكاة ثروتها بوصفها « ركازا » يجب فيه إخراج خمس دخله ، ويسوق رأى الامام أحمد بن حنبل بأن زكاة الركاز واجبة جامدا كان أم سائلا . فلماذا لا تكون هذه القضية موضع تفكيرنا .؟؟

أو لماذا لا يبدأ أولو العزم من الرجال ببحث قضية السوق الاسلامية المشتركة التى يمكن أن تفيض وتفيء على المسلمين من المتعة والقوة والرخاء ومالا يخطر ببال .

ألسنا أتباع الرسول الذى قال : « المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ولا يسلمه . ومن كان فى حاجة أخيه ، كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . والله فى عون العبد ، مادام العبد فى عون أخيه » .

إن هذا التوجيه المضيء ليس قاصرا على مسلك الفرد المسلم تجاه الفرد المسلم بل هو ينادى أيضا وقبلا الدولة المسلمة والمجتمع المسلم لتتعاضد وتتناصر .. وتصبح كل دولة مسلمة فى حاجة أختها . وأخواتها من بقية الدول المسلمة .

• •

إن سوقنا المشتركة وتكاملنا الاقتصادى لن يكونا تقديرا لضرورات اقتصادية ومعيشية فحسب . بل سيكونان أيضا استجابة لروح الاسلام وتحقيقا لهذا الروح ..

سيكونان تحقيقا لعظمة الاسلام المتجسدة فى قول الرسول عليه السلام : « كونوا عباد الله إخوانا ، كما أمركم الله تعالى » .

وسيكونان حجر الاساس فى مستقبل وضيىء للاسلام كله .. مستقبل لا يعرف الضعف ، ولا الفاقة ، ولا الخذلان .

مستقبل لا يكون فيه قاتل وقتيل .

ولا تتكرر فيه مأساة قابيل وهابيل !!

خالد محمد خالد

المسافة بين.. الخيال والحقيقة

بقلم : عبد الله الجفري

ما مقدار المسافة بين الخيال ، والحقيقة ؟؟ .

ما هو مدى ـ القدرة التطبيقية ـ عند الانسان ، وهو مريض بالاصطراع ذاتياً .. يود أن يرسو ولو عند شاطىء مهجور ، ويطمح أن ينشر قلوعه ويطارد نجمة موصوصة باغراء ؟ !

ما أبعاد الأحلام في رؤى الانسان ، وأبعاد اليقظة الفجائية فى عقله .. تلك التى تشبه رنين جرس البيت يقرع فى ساعات الليل الأخيرة ؟

هو وحده كان المسكين الذى يتراءى لنفسه !!

هو وحده ـ فى يقظة فجائية ـ ارتطمت باديم واقعه !

كان يعدو ـ وهو ملتصق فى مقعده ـ كان يقول بحشرجة :

ـ ما دوافع المرء حينما يسمح لتفكيره أن يوغل فى التحديق لحظة البعثرة الجوانية بحثاً عن الخيال النـدى .. هـروباً من حقائقه ؟!

هو وحده كان يخاطب الافصاح ، والصمم :

ـ ملعونة هذه الصورة التى اختلطت ألوانها ..

واهم .. ذلك الشاعر الذى بنى بالخيال صرحاً روحياً فى وجدانه ، فكان يترنم قائلا : « وعدونا فسبقنا ظلنا » ! .. ثم قوض فى النهاية ذلك الصرح وهو يئن مردداً .. يصف الصبح بالحريق !؟ .

إنسلاخ « عفوى » من الحقيقة ، وفى ذات الوقت نتيجة حتمية مؤهلة للاستقبال .. لترتطم جمجمة الانسان بكل ما فيها !!

وما هى هذه الجمجمة التى يتمتع المرء باحايين هيولية مرتفعة بمحتواها .. ذلك الذى تبلوره . وتصنفه قياسات من الذكاء أو الغباء .. من المعرفة أو من الجهل ؟!

ما هى ؟! .. سؤال يكون ، أو صيغة مخاطبة ! .. لكن السؤال ، أو الصيغة لا يؤكدان استنتاجاً بدهياً دائماً .. فالانسان صياغة كاملة لا تتجزأ من الخيال ، والحقيقة .. من العقل ، والحلم .. أو العاطفة !!

مثلما جرى « اديسون » يوم بدأ يفكر فى اختراعه ـ فى مراحله الأولية ـ كان جريه الى فتاته التى تسكن شارعاً مجاوراً للشارع الذى يقع فيه منزله ، فاشاحت بوجهها عنه غضبى نفوراً .. لأنه وعدها بالمجيء فى موعد قبل ساعة من حضوره ، فوقف مبهوتا .. كانت فى دماغه حقيقة العلم ، وكانت فى جوانحه أحلام من خيال المحب الذى يشيد ـ وهو وحده ـ قصوراً وأمانى يهديها لها على البعد .. فانثنى على عقبيه الى البيت واجماً وحاول أن يواصل عمله ، ويصغى إلى تفكيره .. فلم يعثر على شيء فى جمجمته تلك اللحظة .. كان انتصار الحلم ، أو الخيال ، أو الامانى قوياً طاغيا على كل محتوى رأسه !!

من يتوقع ـ حينـذاك ـ ان يلتقط « اديسون » قلماً ، وقرطاساً ، ويحاول ان يكتب لفتاته رسالة يضمنها سؤالا يكون ، أو صيغة مخاطبة ، أو يحاول تذكر قصيدة شعر تذكره باحلامه ، أو يضع اسطوانة .. يتذكر خلف نغمتها لحظات من الحلم السعيد ؟ !

صراع العقل مع بدهيات الانسان ، ومع افتراضاته !!

الافتراض هو خيال .. والعقل يتصبب إرهاقاً !!

هل يمكن لاديسون ـ الآن ـ أن يكف عن التفكير ، أم أنه يقدر على التأمل .. بحلم عريض ينضج توقعاً متفائلا يؤكد له أن فتاته ستأتى ، وتطرق بابه ، وتقول له :

المسافة بين.. الخيال والحقيقة

ـ الانتظار مرهق يا « إد » فسامحنى ، وسأسامحك !!

إنه يصطرع ـ إذن ـ ويغالب فجيعة الخيال ، وصحوة الحقيقة ذات الدوار !!

الخيال ، والحقيقة .. هما فى وصل الانسان وجفائه .. كالذى اتى قبل مقدمه ، وكالذى ذهب قبل ان ياتى !!

بعض الافتراضات داخل الانسان كسراب الصحراء ، وبعضها كمغامرة « على بابا » ، وبعضها كما الغابة التى اتجه اليها «جلجامش» ليصرع الوحش ، ويبقى حيا بالمهادنة مع الفارس الباهر الآخر الذى برز له .. حيا بالدمعة التى سفحتها من اجله « عشتروت » !!

ويلذ لافكارنا ، ولاغراقنا أن يفصلا احيانا بين الحقيقة ، والخيال .. وفى الواقع يبدو أن الحقيقة كانت خيالا ، ثم تمخضت بما أردنا ، أو بما تصرفنا ، أو بكيفية ما سلكنا . ويبدو أن الخيال سينعكس فى صورة من الصور الحقيقية تاتى استطراداً ، أو فجاة .. سعدنا بها . أو شقينا بها !!

إن الحقيقة والخيال قد يتضمنان احساساً ، أو رؤية ـ ليس بواقع ، أو تفكير فلسفي ـ وإنما الحاحاً يحكيه الامتنان ، أو

يدعو له « الرضا » والقبول بما كان ، أو تلجمه ، وتدفعه الرغبة الماسة .. من أجل غنم واحد فيه انتعاش النبض !

ذلك يطلق عليه فى عناوين الكتب الراوية « خطة للحياة » ..

وفى رواية ـ زوربا اليونانى ـ هناك عبارة لبطلها « كازنتزاكى » .. تصرخ بالالحاح الذى يمثل مطلب الحقيقة ، ومتعة الخيال .. فيقول :

ـ « لقد كففت عن التفكير فيما جرى بالأمس ، وكففت عن التساؤل عما سيجرى غداً .. ان ما يهمنى فقط : ما يجرى اليوم .. ماذا تفعل فى هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. إننى انام .. إذن نم جيداً . ماذا تفعل فى هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. إننى اشتغل ، إذن اعمل جيداً .. ماذا تفعل فى هذه اللحظة يا زوربا ؟ .. اعانق فتاتى ، اذن عانقها جيداً ، وانس كل الباقى يا زوربا ، فليس في العالم شيء الا هى وانت » !

ماذا بقى ـ هنا ـ من اصطراع الحقيقة والخيال فى ذات الانسان ؟!

لم يتبق شيء مطلقاً .. لم تبق حقيقة ، ولم يبق خيال .. وانما نوع من الشعور الذى يطغى فيمحو ما عداه .. يمحوه رغم شدة غموضه .. رغم وضوح ملامح الصورة لاثنين شعرا أن هذه هى الحياة ، او « خطة الحياة » !

إن انتعاش الحقيقة ، وتضخم الخيال يكتنفان الانسان لحظة أن يكون وحده .. لا يقدر أن يفرق من أي مصدر ياتى القرع الداخلى .. من راسه .. من بين أضلعه ؟!

ماذا .. ما هى .. من يكون .. متى ؟!!

لكن «الامتلاء» كما اسماه ـ فيكتور هيجو ـ فى رواية البؤساء ، هو أروع اجابة تغنى الانسان دائماً ، وتمنحه الصمود أكثر ، وتمحق فيه طفيليات قذرة ، فلم يكن « جان فالجان » إنسان الخيال أبداً ، وهو أيضاً لم يهتد الى حقيقة مجتمعه الذى حاربه ، ودفعه لسلوك شائن فى عرفه ساعات بحثه عن الأود !!

المجتمعات تنادى بالحقائق ، والانسان ترهقه كثير من تلك الحقائق التى تبدو مشوهة بالاعتساف ومن الصعوبة أن يتم الفصل بين المجتمع وفرده ، ومن المؤلم أن يحمل الفرد أحلامه ، وخيالاته ، ويضطر ـ غالباً ـ أن يخلعها مع حذائه الذى يخلعه حينما وضع خطواته الأولى على باب مجتمعه :

- الحياء : فى طبيعة الانسان هو اكسدة أحلام !
- الطيبة : فى أعماق الانسان هى رئة يتنفس بها ، ويستعين على الاختناق ببعض الحقائق !
- المعرفة : فى خلق الانسان هى تهذيب لحقائق مجتمعه !

ومع هذا ، فان المرء الحيي الخجل .. يطالبه الناس أن يكون وقحاً ، أو سفيهاً ، أو متمرداً بلا قاعدة .. لأن هذا هو الصوت المرتفع !

والمرء الطيب النزعة .. الدافىء الشعور تقتاده كراهية البعض ، واحقادهم الى التخلى عن كثير من أحلامه ، وتأملاته ، وخيالاته !

والمعرفة ـ بعد هذا ـ لا تجادل اصطراع الحقيقة والخيال .. ان دورها ـ هنا ـ أن توائم بينهما .. أن تزاوج .. أن تجعل الحقيقة والخيال مثل زوجين احتفلا بعيد زواجهما الخامس والعشرين (!!) .

●●

إن « أحمد فتحى » قضى نحبه بداء اسمه : اصطراع الحقيقة والخيال ، ورغم ما كان يمتاز به من معرفة وثقافة فقد طغى فى وجدانه خيال الشاعر واحلامه ، وبقي الناس بعده يرددون تفاؤله الذى لم ينعم به .. فى هذين البيتين :

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى فى خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر
يصل الماضى بيمن الحاضر

وقبل « أحمد فتحى » كان هناك شاعر تحدث عن الحقيقة والخيال فى دنيا الانسان فقال :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت .. ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا
كاسفاً باله .. قليل الرجاء !

و« الرجاء » هنا ـ بمعنى الخيال او الحلم ـ وتغليبه يحتاج الى شجاعة صمود « درامى » .. يبكى الآخرين ، وهو يفكر ـ بالاستغراق ـ متى يقدر أن يوقف دموع الآخرين من اجله !!

●●

وحياء التخاطب عند المرء ... يتولد من الخوف أن يقول الانسان ما يريده ، أو ما يحسه ، أو ما يرغب فى إتيانه .. يتعثر بحواجز منيعة من التقاليد العريقة التى « تفرض » عليه اقتناعاً معيناً ، ولا تعطى بديلا له .. مما يتطلب كتائير تربوى ، أو مسلكى بين جماعات المجتمع !

وذلك « الفرض » هو ما يخضع للحقيقة المجترة ، أو بعوامل ضعف الخيال والاحلام التى ترقرق وتهذب كثيراً من عشوائية وبدائية الآدمى !

إن بعض النقاش فى حقائق «فسيلوجية» مثلا يرتطم باشياء مفروضة .. تدعوك أن تحاور نفسك عن تلك الحقائق ، ولا تعرضها المعرفة

ورؤية الآخرين ! .. وبذلك فانت تتحول كما يقول « كولن ولسون » : الى انسان بلا ظل .. تماماً كتحول بطل هذه الرواية « انسان بلا ظل » واسمه « سوم جيرود » الى شيء يرضى بالتجربة الخافتة والمعتمة والمتلحفة ، ويخاف أن يعلن رغبته فى مزيد من الاستمتاع بما جرب !

لقد تحطم « كيننجام » أحد أبطال الرواية ، باتجاهه الى الشعوذة والسحر ، والنذالة ، والجريمة ، فأصبح هلاماً أكل نفسه ، وطمس صفاءه ، وارتطمت جمجمته !

و « ديانا » : الأنثى التى التقطها «سوم» من اصطراع الحقيقة والخيال فى نفس رجلها « كيرستن » .. كادت أن تضيع ، وتدق عنقها بما يشبه : (إنما الميت .. ميت الاحياء) .. فالتقطها أخيراً ، بعد أن زاوج بين الحقيقة والخيال فى داخله ، وعبر محيط نفسه !

و « كولن ولسون » يخضع ذلك لمدى تقبل الانسان للقدرة التطبيقية .. فى لحظة الاصطراع ذاتياً !!

وتنتهى من الرواية ـ كقارىء ـ فتكون حصيلتك بكل صدق .. أن تبحث عن بعض الحقائق ، وعن لحظات من الخيال ، وتجرب مقدرتك فى المزج بينهما .

والمجتمعات التى استطردت مع حضارتها وتقدمها .. أثقلها كثير من الحقائق .. إن بحثها الآن هو عودة خلفية لالتقاط ذوائب أحلام ، وخيالات !!

والمجتمعات التى تعدو لتنال أكبر حظ من وجه الحضارة ولا زالت تسحب معها بقايا تخلفها .. هى التى تعيش الاصطراع وفى هذه الرحلة لا ينعدم الأمل فى الحصول على المواءمة !

إن الاختلاف هذا .. قد لا يكون قضية العصر ، بل سمة له !!

تماماً كما يتضح فى هذا القيـــــاس التقريبي المنفتح ـ كمثل ـ والمضطرب كحالة !

فقد أصدرت كاتبـــــة فرنسية اسمها « مودساكوار دى بيلروش » كتاباً قديماً جعلت عنوانه : « ذكريات امرأة فى الأربعين » .. قصت فيه تجاربها الخاصة فى الحياة بصراحة ، وبوضع النقاط على الحروف .. مما يعتبر برأى النقاد فى الوسطالادبى .. أدباً يدعو للقشعريرة !!

« كانت » الكاتبة حلوة الملامح ، وتمتاز برائحة أنثوية ملحوظة حتى للدرجة الفكرية أيضاً (!) ، قالت : انها استطاعت أن تفصل الحقيقة عن الاحلام ، وان تعطى القارىء تلك الاحلام التى سعدت بها وعاشتها وتحولت ـ فيما بعد ـ الى حقائق .. لكنها حقائق جاءت من رحم الحلم والخيالات !

ويعقب كاتب ناقد .. فيذكر اســـم « جنفييف تابوى » المرأة التى قدر أنها كانت أقبح وجه أنثى ، أو أوحش امرأة فى التاريخ .. تلك المرأة ـ بكل هذه الحقائق المرعبة فيها ـ استطاعت أن تغزل أحلاماً وخيالات عجيبة ورائعة ، وأن توهم نفسها بمقدار ما أعطت نفسها ـ بيلروش ـ من عملية مزج الحقيقة بالخيال !!

فالقدرة التطبيقية عند الانسان .. هى حوافز « الجيوكندة » ، وتخمة « أنثوية » شهر زاد ، ورقة تقاطيع وجه « فلورندا » الاسبانية ، لكن ... هل هذه الميزات فيهن كانت السبب المباشر فى مقدرتهن على مواءمة الحقيقة والخيال فى ذواتهن ؟ !!

لم تكن هذه الميزات سبباً رئيسياً وفعالا .. وانما كانت القدرة التطبيقية عند كل واحدة منهن .. هى عامل الاستمرارية المنتعشة بكل أشياء ورغد الحياة !

● فالجيوكندة : كان زوجها هو حقيقتها ، وكان فنانها ، وراسم ملامحها « دافنشى » هو أحلامها وخيالها !

● وشهر زاد : كانت دماء بنات جنسها التى أهدرها « شهريار » هى حقيقتها ، وكانت رغبة تطويعها ، ومعالجة ذلك الرجل الذى رضيت بتحديه والحياة معه ، وانقاذ بقية الفتيات هى أحلامها وخيالاتها !

● وفلورندا الاسبانية : كانت بلادها التى عبث فيها حاكمها انذاك ، وحاول أن يعتدى حتى عليها هى .. كانت حقيقتها ، وكان «طارق بن زياد» الذى قدم فاتحاً ، وناشراً ديناً جديداً ينصف البشر من الظلم ، والموت بالحياة .. كان طارق هو حلمها ، وخيالها !!

واجتمعن كلهن عند القدرة التطبيقية .. وتعنى واقع الالحاح الذى يحكيه الامتنان أو يدعو له « الرضا » والقبول بما كان ، أو تلجمه الرغبة الماسة من أجل غنم واحد فيه انتعاش النبض ، وواقع الالحاح هذا انصاع له « سوم جيرود » فى رواية « انسان بلا ظل » ،وأخذته كله وبشراهة « جنفييف تابوى » أقبح امرأة ، وعاشته « بيلروش » الكاتبة الفرنسية !!

●●

وبعد ...

لقد رفع رأسه ذلك الذى كان وحده .. يتراءى لنفسه !!

تحسس جمجمته من جديد ... سفح نظراته على الأرض ، وعلقها فى الهواء .. ولملم كل التساؤلات المطروحة تلك ، وقام يخطو ..

مشى إلى شاطىء البحر ، وأحس بغبطة .. فالشاطىء خال من الناس ، والبحر صامت ... صامت ، والغروب يلوح بيد مودعة ، والصورة التى اختلطت ألوانها مدعاة تأمل ..

لقد كان لحظتها وحده .. يخاطب الافصاح والصمم !!



عبد الله الجفرى

مسافر على الرصيف



بقلم : محمود السعدني

أنور المعداوي ومحنة العصر

يبدو أن المعارك العنيفة التى خاضها جمال عبد الناصر فى بداية حكمه ضد الأعداء فى الداخل وفى الخارج ، لم تدع مجالا للقائد لرعاية الكتاب والأدباء !

بالطبع كان هناك أدباء وكتاب يحتلون موقع الصدارة ، ولكن هؤلاء كانوا فى موقع الصدارة دائما . فهم الأدباء والكتاب الرسميون فى كل عهد ، وهم كانوا يتمتعون بنفس الحظوة أيام الملك فاروق ، وظلوا يتمتعون بها أيام جمال عبد الناصر . ولكن غيرهؤلاء الأدباء الرسميين لم يستطع أحد آخر أن ينفذ من الحصار المضروب إلا فى النصف الثانى من الستينات . ولكن قبل هذا التغيير النّوعى كان معظم الأدباء غير الرسميين قد خلوا ضيوفا على السجون الحربية والمدنية ، وبعضهم ذاق التشرد والفصل من الوظيفة ، وكان أنور المعداوى واحداً من هذا الصنف الأخير ! ولكن مأساة أنور المعداوى ستظل فريدة فى تاريخ المآسى لأن أنور المعداوى لم يكن ضد الثورة ، ولم يكن ضد جمال عبد الناصر ، ولكنه كان ضد نوع من الأدباء احتلوا القمة فى الساحة

أنور المعداوى



يوسف السباعى



الأدبية ، وهم فى الأصل كانوا ضباطاً فى القوات المسلحة ، ثم اعتزلوا السلك العسكرى واحترفوا العمل الأدبى ، وأصبحوا هم مندوبى القيادة .. فى الشعر والأدب والفن ! وكان يوسف السباعى هو عميد هؤلاء الأدباء ، فهو لواء بالجيش ، وقائد بسلاح الفرسان ، وهو كان يمارس كتابة القصة قبل الثورة ، وهو كان يمارسها من باب الهواية ولشغل أوقات الفراغ !

ولكن بعد الثورة اندفع فجأة إلى الصدارة ، وصار واحداً من الكتاب الرسميين ، وأصبح رئيساً لنادى القصة ، وسكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للآداب والفنون ، وسكرتيراً لنادى الأدباء !

ولقد تحمل أنور المعداوى واتسع صدره لكل هذا الذى حدث . وكان من الممكن أن يتحمل إلى النهاية ، لولا أن يوسف السباعى أصبح فجأة وبقدرة قادر رئيساً لتحرير مجلة « الرسالة » ! ولأنور المعداوى علاقات وثيقة وتاريخية وعاطفية بمجلة « الرسالة » القديمة . فقد كان واحداً من أبرز كتابها ، وكان هو أول من سلط الضوء

فيها على أشعار نزار قبانى ، وكان أول من بشر على صفحاتها بأدب نجيب محفوظ !

وكانت مجلة « الرسالة » القديمة التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات هى أعظم وأرقى المجلات الأدبية فى الوطن العربى . وكان لا ينشر فيها غير إنتاج كبار الكتاب والأدباء والشعراء ، وأصبحت بمرور الزمن مدرسة تربى فيها جيل كامل من الأدباء من طنجة إلى حلب . ثم اضطرت المجلة إلى الاحتجاب فترة من الزمن .

وعندما عادت « الرسالة » إلى الصدور فى بداية الخمسينات ، كان شكلها وانتاجها يعبر عن التغيير الذى طرأ على الحركة الأدبية فى مصر . كانت من حيث الشكل تنافس مجلة « الكواكب » ، ومن حيث المضمون كانت نسخة مكررة من مجلة « آخر ساعة » ، مع فارق بسيط هو أن مجلة « آخر ساعة » يحررها صحفيون محترفون ، بينما مجلة « الرسالة » يتولاها هـــواة لا خبرة لهم ولا حيلة . كان يوسف السباعى الضابط السابق يرأس تحريرهـــــا . وعبد العزيز صادق الضابط المتقاعد يشرف على إدارة التحرير ، بينما يتولى تحريرها نفر من أشباه الكتاب الذين حاولت الأجهزة فرضهم على الحركة الأدبية ! وكانت هذه أكبر ضربة وجهت إلى أنور المعداوى . هب كالاعصار يهاجم مجلة « الرسالة » . وبالطبع هاجم يوسف السباعى وبطانته . هاجمه كأديب ، ولكن يوسف السباعى اعتبر الحملة موجهة ضده كمندوب للقيادة ولما كانت المعركة غير متكافئة بين أنور المعداوى وسلاح المدرعات ، فقد آثرت أن تتدخل فى الموضوع لاصلاح ما يمكن إصلاحه . وبالفعل رتبت موعداً بين يوسف السباعى وأنور المعداوى ، وكان «جروبى» عدلى باشا مكان اللقاء ، وأبدى يوسف السباعى رغبته فى أن يتولى أنور المعداوى إدارة تحرير « الرسالة » بدلا من عبد العزيز صادق . وقبل أنور المعداوى ولكن بشروط . ولم يفصح عن هذه الشروط ولكنه وعد بالكشف عنها عند لقائه بيوسف السباعى .

كان اللقاء فى الخامسة بعد الظهر فى « جروبى » عدلى باشا كما قلت وذهبت أنا فى الخامسة إلا ربعاً وجلست أنتظر . وفى الخامسة تماماً وصلت سيارة حربية ترفع

أحمد حسن الزيات .. صاحب مجلة الرســـالة (القديمة) التى كانت بمثابة جامعة ثقافية



علم القيادة ، ونزل منها الأديب يوسف السباعى فى ملابس جنرال . ورحنا نتجاذب الحديث لمدة ساعة ولم يظهر أى أثر لأنور المعداوى . وفى السادسة والربع أهل علينا بقامته السامقة وكبريائه المعهود واعتذر عن التأخير لارتباطه بموعد سابق مع « فلاح من بلدنا » . ورمقنى يوسف السباعى بنظرة حادة وكأنه يقول « عذر أقبح من ذنب » . وبلع يوسف السباعى الاهانة وواصل الحديث بهدوء مع أنور المعداوى . وعرض عليه إدارة تحرير مجلة « الرسالة » . ووافق أنور بشروط . ولكن الشروط كانت أكثر مما يحتمل يوسف السباعى . كان أول شرط هو فصل جميع المحررين الذين يعملون بها . وكان آخر شرط هو عدم نشر الكلام الفارغ الذى ينشره يوسف السباعى . وانتهت الجلسة إلى لا شىء .

وافترقنا . يوسف إلى مجلة « الرسالة » وأنور المعداوى وأنا إلى قهوة عبد الله . وفى الطريق سألنى أنور المعداوى عن رأيى فى الحديث الذى دار ، وقلت له بصوت خفيض : لا بأس بالحديث ، ولكنى أعتقد أنه سيكون بداية المتاعب . وقال أنور وهو يهز رأسه الكبير : مرحباً بالمتاعب ! ولكن الذى حدث بعد ذلك لم يكن من نوع المتاعب . بل كان من نوع المصائب . أطيح بأنور المعداوى ففصل من وظيفته بطريقة خبيثة ، وانقطع صرف مرتبه ، وضيقوا الخناق عليه فلم يعد يستطيع أن ينشر حرفاً من إنتاجه ومع ذلك لم يهدأ أنور المعداوى ، ولم يستسلم ، ولم يهادن . استعان على مواجهة مطالب الحياة بمعونة مالية من صديقه الأديب الطيب محمود شعبان ـ وهى قصة سنتعرض لها بالتفصيل فيما بعد ـ وقد لجأ إلى القضاء عارضاً القضية بكل أبعادها أمام المحاكم . ولكنه بالرغم من المحنة والصدمة ، لم يتخلف يوماً واحداً عن مكانه فى قهوة عبد الله . ولم يقطع صلته بالندوة بالرغم من وجود عدد من مندوبى السلطة والمخبرين كل ليلة . ولم يتوقف عن إبداء رأيه فى الحال السيىء الذى انتهى إليه الأدب فى مصر . وطال الزمن بالقضية أمام المحاكم ، ثم صدر الحكم بانصاف أنور المعداوى وإعادته إلى وظيفته . ولكن الجهاز البيروقراطى المدرب نفذ حكم القاضى ، وضاعف من غيظ أنور المعداوى . فقد كان أنور يعمل مستشاراً بالمكتب الثقافى بوزارة التربية والتعليم ، ولكنهم أعادوه بوظيفة مدرس بمدرسة ابتدائية مغمورة فى حى من أحياء القاهرة المعزية . وكانت الضربة شديدة هذه المرة . ولم يحتمل أنور القوى .. فقد أدركه ضعف الانسان الفرد أمام جبروت الحكومة . وأنه لا مناص أمام الانسان الفرد من الركوب فى عربة النظام ، أو مرور العربة على جثته . فاستقال أنور من الوظيفة ، وبدأ صراعه مع المرض الرهيب الذى قضى عليه !

ولم تكن هذه قصة حياة أنور المعداوى ، ولكنها قصة نهايته أردت أن أبدأ بها ليعلم القراء كيف مات ناقد لم تنجب مصر من طرازه إلا عدداً أقل من أصابع اليد الواحدة . ؟! وكيف انتهت حياة مفكر عظيم لو أتيحت له الظروف المناسبة لترك فى مصر أثراً ربما فاق الأثر الذى تركه العقاد . ؟! ولكنها الظروف السياسية التعيسة حين تعرس على السلطة أن تؤثر أولياء الأعمى على النصيحة الخالصة . وأن تقبل بالذيول وترفض الأنداد . وأن تطرد أهل الخبرة لتحل محلهم أهل الثقة ! وأن تحجب عن القراء قلم أنور المعداوى ، بينما تطلق العنان لأقلام استخدمت أغلبية الوقت فى كتابة تقارير كاذبة !

إنها ليست محنة أنور المعداوى ، ولكنها محنة العصر . وهى مأساة تتكرر كثيراً ولكن أحداً لا يستفيد منها ، ولا أحد يتعظ بها . لأنه هكذا الحياة ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له !!

... وللحديث بقية ...



النائبة جيئولا كوهين .. صاحبة قانون القدس ، الذى قضى بضم القدس إلى الكيان الصهيونى واعتبارها عاصمته الأبدية !

جيئولا كوهين.. النائبة الإرهابية التى تنادي بإبادة الجنس العربي !

بقلم : عصام شريح

إن أحد أهم النتائج التى أسفرت عنها التجربة الصهيونية على أرض فلسطين العربية المحتلة . هى دون شك تشويه القيم وبالتالى خلق جيل من اليهود (الصابرا) مشحون بقيم العدوانية والهوس بالسلاح والغرور الشديد .

وفى ظل الايديولوجية الصهيونية خيم على الاسرائيليين مناخ هستيري للتعصب الديني والتوتر الدائم ، والهلوسة بالشعارات النابعة من أساطير بائدة : كشعب الله المختار – وارض الميعاد – ووفاء « يهوه » بوعده لشعبه .. الخ ، ثم الشعور الدائم بأن الحرب والعنف هما الوسيلة الوحيدة والمثلى لتحقيق الحلم الصهيوني فى اقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ، واخيراً .. وليس آخراً .. التحول الى نظام فاشى يستخدم « سياسة اليد القوية » والاستغلال الاقتصادى ، ليس ضد العرب فحسب ، وانما ضد اليهود الشرقيين – السفارديين – أنفسهم .

نموذج واضح

فى نطاق الحديث عن تشويه القيم لدى أجيال الاسرائيليين الذى تربوا فى ظل الايديولوجية الصهيونية ، يمكن تقديم نموذج مثالى على ذلك ، بالحديث عن « جيئولا كوهين » – النائبة فى الكنيست الصهيوني ، والتى تعبر بشخصيتها العادية ، وببساطة تفكيرها ، أصدق تعبير عن جوهر الصهيونية وحقيقتها دون طلاء أو مساحيق ، ولذلك فان الحديث عن جيئولا كوهين ، هو فى الواقع ، حديث عن الصهيونية عارية ، وخارج إطار السياسة وتعقيداتها الاستراتيجية او التكتيكية ، وخارج إطار الدبلوماسية وكياستها المظهرية ، بل ان الحديث عن هذه المرأة ، هو فى بعض جوانبه حديث عن الاستراتيجية الصهيونية ، التى لم يطرأ عليها أى تغيير ، منذ تحديد خطوطها الاساسية ، ومبادئها الرئيسية فى مؤتمر بال فى عام ١٨٩٧ .

ولا ننسى هنا ان جيئولا كوهين هى صاحبة ما يسمي « بقانون القدس » الذى قضى بضم القدس الى الكيان الصهيونى

واعتبارها عاصمته الأبدية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٠ ، كما هى صاحبة ما يسمى « بقانون الجولان » الذى قضى بضم الجولان السورية المحتلة الى الكيان الصهيونى فى ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩٨١ .

سيرة ارهابية

تقول جيئولا كوهين عن نفسها ، أنها بدأت حياتها السياسية (الارهابية) عملياً فى عام ١٩٤٥ ، عندما قامت بوضع ملصقات صهيونية على الجدران ، ثم أخفت بعض المتهمين من الارهابيين الصهاينة الذين كانت سلطات الاحتلال الانكليزى فى فلسطين تتعقبهم .

وكانت كوهين انذاك تعمل ضمن عصابة « الأرغون تسفاي لئومي » التى كانت تعرف اختصاراً باسم « منظمة الأتسل » ، والتى كان يتزعمها مناحيم بيجن رئيس وزراء العدو الحالى ، لكنها فى أعقاب الانشقاق الذى وقع فى صفوف « الأتسل » فى عام ١٩٤٠ ، والذى أسفر عن تأسيس منظمة عسكرية ارهابية منافسة بزعامة ابراهام شتيرن ، انضمت جيئولا كوهين إلى المنظمة الجديدة ، كما أصبحت تعرف باسم «ليمى» ـ (أى المحاربون من أجل حرية اسرائيل) ، كما كانت تعرف أحياناً باسم مؤسسها « شتيرن » .

والتحقت كوهين التى ولدت فى عام ١٩٢٥ لأب يهودى من أصل يمني ، بالجامعة العبرية ، وانضمت الى حزب حيروت ـ أو حركة حيروت (أى الحرية) ، عند تأسيسه فى تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، ثم عملت صحفية بصحيفة « معاريف » فى عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٧٣ ، حيث رشحت نفسها لعضوية الكنيست على قائمة « حزب حيروت » وفازت بدخول الكنيست ، ومنذ عام ١٩٧٣ أصبحت جيئولا كوهين داعية متحمسة جداً للاستيطان فى الضفة الغربية ، وقد انضمت مع أرييل شارون فى عام ١٩٧٤ الى حركة « جوش إيمونيم » ، وشاركت فى احتلال بلدة « سبسطيه » العربية ومصادرة لراضيها والاستيطان فيها . وقد حاولت فى عام ١٩٧٧ ، الحصول على منصب وكيلة وزير المعارف ، لكنها أخفقت فى ذلك فعملت رئيسة للجنة استيعاب المستوطنين اليهود الجدد ، وهى لجنة تابعة للكنيست . ومنذ عام ١٩٧٩ ، وهى تحرض دون هواده ضد اتفاقية كامب ديفيد ، لأنها على حد زعمها « فرطت »بسيناء للمصريين ، وقد أعلنت فى الكنيست عن معارضتها لتلك الاتفاقية بكل صراحة ، ولذلك انتقلت فى عام ١٩٧٩ إلى العمل خارج حزب حيروت ، وحزب ليكود الحاكم .

حزب جديد

فى ٣١ أغسطس ١٩٧٩ ، أعلن البروفسور « يوفال نئمان » عن تأسيس حزب يميني صغير يتميز بتطرفه وشوفينيته على صعيد السياسة الخارجية والأمنية ، هو حزب « هتحياه » (اى البعث أو النهضة) ، وذلك بعد انسحاب عدد من الشخصيات اليمينية المتطرفة من « الليكود » الحاكم .

وقد عقد الأعضاء المؤسسون لحزب « هتحياه » مؤتمراً صحفياً فى تل ابيب فى أوائل شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ ، حضرته جيئولا كوهين الى جانب موشيه شامير والأستاذ يوفال نئمان وتسفى شلواح وافرايم بن حاييم ، وحنان بوراث ، وغرشون شفاط ، وأعلن هؤلاء عن قيام حركتهم التى تعارض اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع مصر ، وتدعو بالمقابل الى تطبيق السيادة الاسرائيلية على المناطق العربية المحتلة .

وفى ذلك المؤتمر ، تحدثت جيئولا كوهين فقالت : ان زعامة الليكود قد أعياها التعب ، ويجب أن تذهب ، ووصفت الداعين الى استمرار « مفاوضات السلام » مع مصر بأنهم « مصابون بجنون التطبيع ، ومتصوفو سلام الآن » .

كما تحدثت كوهين عن مؤسسي الحزب ، وعن أهدافهم ، فقالت : إنهم تركوا إطارات حزبية سابقة ، لكى يناضلوا من أجل « مبادىء الوفاء لأرض اسرائيل » والاستيطان فى كل أرجائها ، واضافت أن هناك استجابة واسعة للحركة الجديدة بين الجمهور الاسرائيلى ، وأعربت عن ثقتها فى أن يحصل حزب « هتحياه » على عشرين مقعداً فى الانتخابات القادمة . (نال الحزب ثلاثة مقاعد فقط فى انتخابات عام ١٩٨١ ، وتفسير جيئولا كوهين ذلك ، بانه يعود الى القرار الجماعى للحزب والذى اتخذ فى آخر لحظة ، ويقضى بتوجيه النقد الى حزبى ليكود والمعراخ ، وبذلك فان الانتخابات فى نظر كوهين لم تجر حول القضايا الحقيقة (اى المناطق المحتلة ـ السلم ـ الانسحاب) وتقول إن الاسرائيليين تعرضوا للخداع والغش) .

وهكذا فان جيئولا كوهين ، انسحبت من حزب « حيروت » المتطرف بحجة أنه حزب معتدل ، وأن رئيسه مناحم بيجن «يتساهل اكثر من اللازم » .

وكان المتطرفون فى حزب حيروت ، الذين يقفون على يمين مناحم بيجن قد بدأوا بالتحرك ضد اتفاقية كامب ديفيد ، التى وقعتها كل من مصر واسرائيل فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ، وتصاعد هذا التحرك بصورة خاصة بعد إقرار اللجنة المركزية لحزب حيروت فى جلستها التى عقدتها بتاريخ ١٨ مارس ١٩٧٩ ، « معاهدة السلام» بين اسرائيل ومصر ، باغلبية كبيرة ، وقد لعبت جيئولا كوهين دوراً بارزاً فى هذا التحرك .

النائبة الإسرائيلية التى تنادي بإبادة الجنس العربي !



النائبة الاسرائيلية اثناء حديثها عن مشروعها لضم القدس فى الكنيست

وفى اطار معارضتها لاتفاقية كامب ديفيد ثم لاتفاقية الصلح مع مصر ، حاولت أولا ان تقلب المائدة على رأس مناحم بيجن وانصاره عن طريق تجميع شمل المعارضين للاتفاقيتين داخل « حيروت » ، فدعت جيئولا كوهين هؤلاء المعارضين الذين كانوا يطلقون على أنفسهم تسمية « المخلصون فى حزب حيروت » ، الى عقد اجتماع بمقر الحزب بتل ابيب فى ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٩ ولكن الاجتماع لم يقتصر على أعضاء مجموعة « المخلصين » هؤلاء ، بل حضره أيضاً عدد من السياسيين من أعضاء « الليكود » الذين يعارضون سياسة حكومة بيجن ، من أمثال النائب يئغال كوهين ، و أورغاد ويد يديا بعيري من حزب الأحرار . وقد حمل المجتمعون على قرار بيجن واللجنة المركزية لحزب حيروت بالموافقة على اتفاقية كامب ديفيد ، وكان بين المتكلمين أورغاد كوهين ، و يوسف شيلوح ، وشموئيل كاتز ، وقد وصف هؤلاء « بيجن » « بخيانة » « مبادىء حيروت » .

أما جيئولا كوهين ، فقد قالت فى كلمتها ، انها كانت تزمع الاستقالة من « حيروت » بعد الاقتراع على اتفاقية كامب ديفيد ، لكنها غيرت رأيها بعد تلقيها عشرات المكالمات الهاتفية من اعضاء اللجنة المركزية للحزب ، حاولوا فيها اقناعها بأن هناك أغلبية فى « حيروت » تقف ضد بيجن وضد اتفاقية كامب ديفيد . وأضافت جيئولا كوهين قائلة : إن المجتمعين لا يعتبرون أنفسهم منشقين عن « حيروت » ، بل إنهم يمثلون فى الواقع حزب « حيروت الحقيقى » أما البقية فقد أصبحوا حلقة من المخلصين لمناحم بيجن وليسوا أكثر من ذلك .

ووصفت بيجن بانه ضعيف وخائف .

ولكن موقف جيئولا كوهين ورفاقها فى حيروت والليكود تبدل جذرياً بعد ثلاثة اشهر عندما صادق الكنيست الاسرائيلى على اتفاقية كامب ديفيد . وكان لا مفر أمامها من الخروج من حزب « حيروت » والعمل على تأسيس حزب يميني جديد ، عرف فيما بعد باسم حزب « هتحياه » .

أفكار مشوهه

بالرغم من أن جيئولا كوهين لا تمتلك مواهب غير عادية ، وبالرغم من محدودية قدرتها على الاقناع ، وبالتالى افتقارها للشخصية القيادية ، فان هذه المرأة « المسترجلة » ، تلجأ إلى الانفعال الدائم ، والى استخدام عبارات متطرفه ، بقصد التأثير فى انصارها وجمهورها . لكن كوهين تمتلك فى الواقع افكاراً سياسية روتينية ، مقتبسة من « قاموس الصهيونية » ، وهى لم تبرهن خلال الفترة التى أمضتها فى العمل فى « الحقل السياسي عن قدرة على تخطي الأفكار الحزبية الضيقة ، الى عالم السياسة الواسع ، أو عالم الدبلوماسية المرنة .

اما قبضة الأفكار المشوهة التى تحملها جيئولا كوهين فى رأسها فيمكن اختصارها بالنقاط التالية :

● « الصهيونية تعنى النضال الأبدى ، وإلا فهى لا شيء » ، وقد فقد الاسرائيليون ثقتهم بالذات ، كما فقدوا ثباتهم على الهدف وتتهم جيئولا كوهين قادة الأحزاب الاسرائيلية جميعاً ، بفقدان الشهية على النضال ، وتفضيل السلام على ذلك .

● السياسة فى نظرها ليست أكثر من قانون غاب يرتدى قناعاً زائفاً اسمه العلاقات الدولية ، والأمم تنقسم إما إلى ذئاب أو الى نعاج ، اما الحروب بين الدول ، فهى عملية مستمرة ، والأمم تخرج منها عادة إما قوية منتصرة ، أو ميتة مهزومة .

● عزلة اسرائيل سببها « التنازلات » ، « وكلما استطعنا التغلب على الجبناء فى صفوفنا ، فاننا نستطيع التغلب على الضغوط الخارجية ، وعندما رضخنا لتلك الضغوط ، اضطررنا لدفع ثمن باهظ » .

وتقول كوهين : ان العالم يسخر من الاسرائيليين ، لأنهم يعيشون حالة من الرضوخ الدائم ، وهم يعانون فى هذا الصدد من صفة اكتسبها اليهود فى « المهجر » ، ألا وهى صفة الخوف والاستسلام ، وتتهم جيئولا بعض أعضاء الكنيست بالجبن والاستعداد التلقائى للرضوخ امام الضغوط الخارجية .

● السلام مع مصر مجرد خدعة ، وهو بالتالى عار يصيب اسرائيل !! وتتساءل كوهين : هل يتوجب على اسرائيل الانتظار إلى أن توقف مصر مسيرة السلام بعد حصولها على مبتغاها ؟ (الانسحاب من سيناء) . لذلك طالبت جيئولا بوقف عملية الانسحاب من سيناء ، بل هى نادت بالعودة إلى احتلال الأرض التى انسحبت منها اسرائيل فى سيناء ، بما فيها آبار البترول فى أبو رديس .

وتعود الى الأساطير البالية ، لتستشهد بها على ان « منطقة ياميت » فى سيناء « كانت على جميع الخرائط التاريخية » جزءاً من « مملكة داوود وسليمان » ، وحذرت كوهين من أن « التنازل » عن سيناء ، سوف يعتبر سابقة ، وأن التخلى عن « ياميت » ، سوف يقود فى النهاية الى التخلى عن الضفة الغربية !! .

ولذلك فهى تطرح الشعار التالى : « إن المعاناة من أجل أرض السلام ، أفضل من السلام الآن » ، لأن السلام سوف يلد حروباً فى المستقبل . ولذلك أيضاً تقول جيئولا إنها رفضت دعوتين من الرئيس المصرى الراحل أنور السادات لزيارة القاهرة وتعلل رفضها هذا بالقول إن الرئيس المصرى السابق اعترف فقط بحقيقة قيام اسرائيل ووجودها فى منطقة الشرق الأوسط ، ولكنه لم يعترف بما تسميه « حق اسرائيل التاريخى فى الوجود » !! وتضيف كوهين ان الفرق بين هذين الأمرين هام جداً !! ثم تمضى قائلة أن زيارتها للقاهرة رسمياً لن تكون ذات هدف ، والأفضل ان تقضى الوقت فى القدس ، تكافح لابقاء المدينة عاصمة موحدة لاسرائيل !!

وعن ضم مدينة القدس المحتلة للكيان الصهيوني ، تقول جيئولا كوهين إن « قانون

القدس » الذى تقدمت به الى الكنيست وصادق عليه فيما بعد ، قد « برهن عن أن الانسان يجب ان ينجح اذا أمن بعدالة موقفه » !

وتضيف أنها اقترحت على مناحيم بيجن إصدار هذا القانون قبل انسحابها من حزب « حيروت » ، لكنه لم يوافق . (بعد موافقة الكنيسة على قانون القدس صافحها بيجن بحرارة ، وقام بشغال هوروفتش بتقبيلها ، وقال لها اريئيل شارون : عودي الينا (الى الليكود) فنحن بانتظارك .

تجاهل الوجود العربى

أما العرب وحقوقهم واراضيهم المصادرة والاضطهاد المنظم الذى يلاقونه يومياً على يد السلطات الصهيونية ، فهو لا يثير جيئولا كوهين لا من قريب ولا من بعيد ، بل إن هذا الأمر لا يعنيها ، وفى المصادر التى قرأت فيها عن هذه المرأة ، على ندرتها ، لم أعثر على كلمة واحدة عن العرب ، وكأن هؤلاء غير موجودين أصلا بالنسبة اليها ، أو أن وجودهم «الطارىء» فيما يسميه الصهاينة « بارض اسرائيل » لا يستدعى منها التفكير فيهم ، لأن كل اهتمامها منصب على العمل لتهويد الأرض العربية المحتلة ، وتحقيق الحلم الصهيونى فى اقامة امبراطورية كبرى من الفرات إلى النيل .

أين كوستلر ؟!

فى أواخر الخمسينيات نشر الكاتب والأديب اليهودى « آرثر كوستلر » روايته الشهيرة « ظلام فى النهار » أو « ظلام فى وقت الظهيرة » ، عبر فيها كوستلر عن كفره بالشيوعية كايديولوجية كان يعتنقها فى وقت من الأوقات ، وبالتالى عن شعور بالمرارة لما وصل اليه الانسان ، ووصلت اليه القيم الانسانية فى العصر الحديث ، وقد ثارت تلك الرواية فى حينه ضجة كبيرة ، لما تضمنته من تصوير مدهش للاحباط النفسي الذى يعاني منه أشخاص الرواية ، وكان أهم الجوانب التى رمت اليها رواية كوستلر



مناحيم بيجن .. وصفته النائبة جيئولا كوهين بانه ضعيف وخائف

– فى نظري – هو ذلك التشويه للقيم الذى تسببه العقائد التوتاليتارية ومنها الشيوعية ، بما فى ذلك مسخ العواطف الانسانية النبيلة لدى اتباع هذه العقائد ، بحيث تعبر هذه عن نفسها فى قوالب لفظية جامدة ، بل خالية من أى شعور أو إحساس بالحق والخير والجمال .

لقد تذكرت « رواية ظلام فى النهار » وأنا اكتب عن جيئولا كوهين التى تمثل نموذجاً مثالياً للمسخ البشرى الفاقد لأي إحساس بالحق والخير والجمال فى ظل التربية والتثقيف اللذين تفرضهما العقيدة الصهيونية ، وبدلا من القيم الجمالية يتقمص المسخ الصهيونى من أمثال جيئولا كوهين ، « قيم » الشر المتمثلة فى العدوانية والهوس بالسلاح والانتقام ، ومصادرة حياة الآخرين .

وقد تساءلت – وأنا اكتب عن جيئولا هذه – لماذا لم يكتب كوستلر الذى اختار « الاندماج » فى الغرب على « الاندماج » فى المجتمع الصهيونى ، عن التشويه فى القيم الذى اسفرت عنه العقيدة الصهيونية فى التطبيق والممارسة العملية ؟؟ علماً بأن كوستلر رأى هذا التشويه وعاينه عن قرب عندما عاش لسنوات طويلة فى فلسطين المحتلة ، قبل أن يغادرها « للاندماج » فى المجتمع الأميركى !!

إن تقصير كوستلر فى كتابة رواية عن الصهيونية كعقيدة تمسخ شخصية الانسان ، كما فعل فى روايته « ظلام فى



شارون ... قال لها عودي الينا ، فنحن فى انتظارك !

النهار » ينتقص من تلك الرواية بل من كل الآثار الأدبية التى حفلت به حياته ، وأكثر من ذلك فان هذا التقصير يثير شبهات حول المرامي الحقيقية لرواية « ظلام فى النهار » ؟! وفى الواقع فان هذا التساؤل ورد فى خاطرى وانا أكتب عن جيئولا كوهين – المسخ الصهيونى لسببين :

الأول : أن قلة قليلة تصل إلى حد الندرة ، تنبهت لهذا التشويه فى القيم الذى ولدته الصهيونية فى الانسان اليهودى .

والثانى : أن هذا التشويه يمثل فى حد ذاته ظاهرة هى الأخطر من نوعها فى عصرنا لأن أثرها التدميرى لا يقتصر على الانسان اليهودى فحسب ، بل هو يصيب العرب أولا والعالم ثانياً حيث للايديولوجيا الصهيونية أبعاد عالمية أيضاً ، تتمثل فى الانتقام من العالم الذى « اضطهد » اليهود ، « وحبسهم » فى « الغيتو » فى المجتمعات الغربية المسيحية ، بل وفى الانتقام من المسيحية عينها بالدرجة الأولى ، لأنها المسؤولة عن « ماساة اليهودية » ! ويبقى ان نقول أخيراً ، أن جيئولا كوهين ، على سذاجة الأفكار الصهيونية التى تحملها ، بل وعفوية هذه الأفكار ، إنما تقدم للأجيال العربية ، نموذجاً للشخصية الصهيونية العدوانية والمتغطرسة ، التى تقاتلهم على أرضهم وتستبيح دماءهم وأراضيهم ، وتتحدى فيهم غريزة بقاء النوع .

عصام شريح



فصول أبي البهاء في التحدي والرهان

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

فرغنا ، انا وابو البهاء ، من الغداء على مائدة صديقنا الاستاذ مصطفى واخذنا نشرب القهوة .

قلت لصاحبي بحضور مضيفنا وزوجته :

ـ لك ايام ثلاثة وانت تدعوني بالحاح إلى غداء بضيافتك ... واذا بالغداء في بيت الأستاذ مصطفى ، وعلى حسابه !

قال أبو البهاء : بل انك تغديت على حسابي . لا تحسب اخانا هذا اطعمنا كرماً منه ، وانما هو حق لي عليه ... دين سدده لي .

قلت : اي دين ؟ أصحيح يامصطفى ما يقوله هذا الرجـل- ؟

فاجاب مضيفنا في تسليم : نعم ، صحيح . لابد من الاقرار بان من يتحدى ابا البهاء خاسر دوماً .

قلت مستفهماً : ما هي الحكاية - ؟ وهل تعرفينها ياسيدتي- ؟

فابتسمت زوجة صديقنا وقالت : الأصلح ان ابتعد عنكم لئلا يجد زوجي حرجاً في رواية خسارته ... او لئلا يلقي اللوم علي في تلك الخسارة . خذ حريتك بالكلام .

قالت هذا لزوجها بلهجة ساخرة وتركتنا لوحدنا . عندها قال مصطفى :

ـ كاد هذا الرجل ان يخرب بيتي ...

فقاطعه ابو البهاء قائلا : الذنب ذنبك !

فسالت انا : يخرب بيتك ؟ كيف - ؟

قال مصطفى : الحكاية بدات في المقهى . كنا شلة من الأصدقاء نتحدث في فصول ابى البهاء وكيف وقع ضحيتها عدد من منكودي الحظ ، فقلت انا إن مقالبه تجوز على السذج من معارفه ، أو على من يلقونه لأول مرة فيخدعهم بمظهره الوقور وبذلاقة لسانه . أما نحن الذين نعرفه حق المعرفة فاني اتحداه بان يجر واحداً منا الى موقف لا يحبه ...

ردد هنا ابو البهاء جملته السابقة قائلا : إذن فالذنب ذنبك !

قال مصطفى : هذا ما جرى . إذا أردت الصحيح ، لم اخسر انا في التحدي ... فالدور الذي لعبه ابو البهاء لم يجز علي انا وانما خدعت به زوجتي ، وهي لم تكن تعرف هذا الرجل قبل لقائنا به عند مدخل حي الأسواق منذ خمسة أيام . الواقع انه لم يفز ...

فقاطعه ابو البهاء قائلا بلهجة الواثق من ان الحق بجانبه : لم أفز- ؟ ... وهذا الغداء الدسم الذي لم نغسل ايدينا من أطايبه ، أهو كرم منك ؟

قال صاحب الدار : اعترف اني دعوتكم مرغماً ماحيلتي إذا كان فصلك الذي دبرته احال بيتي جحيماً في الأيام الخمسة الفائته !

قلت انا وقد عيل صبري : انتما تتكلمان بالألغاز . الا استطيع ان أعرف ما جرى بينكما على الضبط- ؟

قال الأستاذ مصطفى : ساختصر لك الحكاية . ما انقضى يومان على جلسة التحدي التي ذكرتها لك حتى التقيت بابى البهاء وجهاً لوجه في السوق ، وكنت فيه مع زوجتي نتنقل من مخزن إلى مخزن . عرفت زوجتي به مضيفاً عليه من الألقاب الحسنة ما كان يتناسب وسمته الوقور ومظهر الوجاهة الذي يتخذه أمام من لا يعرفه . وكما توجب اللياقة علي التفت اليه قائلا : وهذه سميرة ، قرينتي . فما كان من هذا الظالم إلا ان ادار وجهه الي وقال في شبه عتب ، وبلهجته التي يعرف كيف يبعد عنها كل اثر للسخرية والمزاح : الي انا تقول هذا - ؟ كانك لم تعرفني بزوجتك الحقيقية ، السيدة الشقراء ، حين كنتما تتعشيان في مطعم المطار منذ ثلاثة أيام !

وسكت محدثي عند هذا . لم أدرك حتى الآن خفايا هذا التصرف من ابى البهاء فسالت مضيفنا مستفسراً :

ـ وبعد ذلك ؟ فتنهد الرجل وقال : بعد ذلك ... بعد أن القى هذا الظالم قنبلته ، حيانا مسرعاً ، وابتعد عنا . وتعال أقنع أم البنين بأني ما تعشيت ، منذ ثلاثة أيام ، في مطعم المطار مع سيدة شقراء قدمتها لمن رانا معاً على انها زوجتي الصحيح انى كنت منذ أيام ثلاثة اتناول عشائي في ذلك المطعم ، وإنما في رفقة مجموعة من الرجال كان بينهم ابو البهاء هذا . ولكنها حقيقة ما كانت زوجتي لتصدق اقوالي عنها بعد ان سمعت باذنيها من هذا الصديق ، الذي وصفته لها بكل وصف جميل ، أني اصاحب امرأة اخرى وأدعي انها زوجتي . ولا أصف لك اياماً بلياليها قضيتها تحت سقف هذا المنزل أعاني من عقابيل فعلة ابي البهاء . لم اجد في النهاية سبيلا إلا

الاقرار له بانكساري وخسران التحدي ، بشرط أن يتولى ترقيع ما فتقه في حياتي العائلية . وكان ثمن قبوله غداء اليوم الذي شرفتني انت بحضوره مع هذا المجرم ...

لم املك انا إلا الضحك من هذا الفصل الجديد من فصول ابي البهاء ، وسالت الاستاذ مصطفى :

– وعسى أن تكون السيدة رضيت عليك في النهاية ...

فهز راسه وهو ينظر إلى ابي البهاء وقال : من حسنات صاحبنا هذا انه مثلما يجرح يعرف كيف يداوي . لو رايته حين زارنا ، بعد إقراري له بالهزيمة ، وكيف كان لسانه يقطر عسلا وهو يكيل لي الثناء أمام زوجتي ويقسم لها الأيمان بزور ما تقوله علي وبهتانه . على كل فصوله التي نعرفها لابد لنا من القول بان باع ابي البهاء في الشر قصير ، وان اذيته ، مهما المت ، تظل طريفة ومضحكة ...

●●

ولولا أن ابا البهاء يعرف كيف يداوي بعد أن يجرح ، كما وصفه الاستاذ مصطفى ، لقلت إن إيلام بعض فصوله يفوق طرافتها وإضحاكها . اضرب لذلك مثلا حكاية الصفعات الثلاث التي نزلت في ذات يوم على قفا احد الأبرياء الغافلين ، والتي رواها لي صديق طفولته يحيى آغا و ابو محمد .

قال يحيى آغا : كان ذلك في مطلع شبابنا ، حين كانت صدورنا مملوءة بالرغبات ، وجيوبنا خالية خاوية ، واكثرها خلوا وخواء جيب ابي البهاء . دعوته انذاك مرة لحضور فيلم في سينما « ديانا » التي اصبح لها اليوم اسم اخر ، واتخذنا مجلسنا في الطابق العلوي ، طابق البلكون . كان الحضور حولنا قليلين ، وامامنا على مقعد في صف ادنى من مجلسنا بصفين مشاهد واحد ما كنا نرى منه غير ظهره . كان رجلا عريض القفا يلمع بياض نقرته بين شعره الاسود وسترته الداكنة تحت انوار الصالة المضاءة ، إذ لم يكن العرض قد بدا بعد . ملت على ابي البهاء بجانبي وهمست في اذنه : ما قولك في ليرتين تاخذهما حلالا زلالا ؟ اجابني متلهفا : اين هما- ؟ اشرت إلى صاحب القفا العريض امامنا وقلت : هما لك مني إذا صفعت هذا القفا من دون أن تدخلنا في معركة ! كان الرهان خطراً ، إلا ان الطعم كان مغرياً . فما تردد ابو البهاء ، بل قام لتوه وانحدر الدرجات الثلاث على رؤوس اصابعه حتى اصبح وراء الرجل وهوى على عنقه بصفعة داوية وهو يهتف احمد ... يا ملعون .... ننتظرك امام الباب وانت هنا- ؟ ورأيت الرجل يهب قافزاً من مقعده وملتفتاً إلى صاحبي الذي بادره بقوله : أخ ! العفو ياسيد ... ما اشبهك برفيقنا احمد ! ... لنا نصف ساعة ننتظره امام الباب ، انا وصاحبي . ظننتك هو فاردت أن اداعبه ... لا تؤاخذني ... ارجوك !

وتابع ابو محمد حكايته قائلا : مرت تلك الصفعة بسلام وعاد ابو البهاء إلى جانبي فدسست في جيبه الليرتين بصمت . اما المصفوع الذي احس بتركيز انظار الحاضرين عليه فقد ترك مقعده وخرج إلى الممشى المجاور فلم يعد إلى البلكون إلا بعد ان بدا العرض واطفئت الانوار . لم يجلس في كرسيه الاول بل انحدر صفين اخرين مبتعداً باكثر مما كان عليه عنا . مرة اخرى ملت على ابى البهاء وقلت له : لك خمس ليرات إذا فعلتها مرة ثانية ! فتطلع الي فيما يشبه التخوف من العودة إلى هذه المغامرة ، ولكني احسبه كان يريد ان يستوثق من كوني جاداً في عرضي ، فخمس ليرات مبلغ غير هين بالنسبة إلينا معاً . وحين تيقن من اني اعني ما اقول قفز بخفة إلى ان اصبح وراء الرجل وفاجاه باللطمة الثانية مرفقاً إياها بقوله : واخيراً جئت يا احمد ... كدنا نقع في مشكلة حين غلطنا برجل يشبهك ! وسمعت الرجل ، في الظلمة ، يصرخ : يا اخي انا لست رفيقك الملعون .... انا لست احمد ... ما هذا البلاء يارب - ؟! وارتفعت حينذاك موسيقى الفيلم المعروض فغطت على صراخه وعلى اعتذارات ابي البهاء ، مثلما غطت على ضحكتي التي انفجرت بها حنجرتي بعد ان طال حبسي لها ...

قال ابو محمد : في هذه المرة ترك ذلك المسكين البلكون وانحدر إلى الطابق الأرضي . ظننناه تنازل عن سهرته وفارق الدار كلها . إلا اننا في فترة الاستراحة بين جزئي العرض اطللنا من ردهة الطابق العلوي فلمحناه مستنداً إلى أحد الأعمدة في استراحة الصالة الأرضية ، وسيكارته بين شفتيه . بدا لنا انه شاهد الجزء الأول من العرض في مقاعد الطابق الأرضي . قلت لأبي البهاء : لراهن على انك لا تستطيع أن تعيد الكرة ... ان تصفعه الثالثة ! قال : بكم تراهن ؟ قلت بعشرليرات . قال : تدفع سلفاً . فهززت له راسي بالايجاب . قال : هاتها . كانت تلك الليرات العشر كل ما بقي في جيبي من نقد ، فاعطيته إياها وانا اتوقع ان لا يمضي الأمر بسلام في هذه المخاطرة الثالثة . ولهذا ظللت في مكاني من الردهة العليا أطل من فوق سياجها علي ممشى الطابق الأرضي ، بينما انحدر ابو البهاء إلى ذلك الممشى ، وتقدم بهدوء نحو صاحبنا ، حتى إذا اصبح خلفه رفع كفه وهوى بها على القفا العريض . التفت الرجل بعصبية إلى الوراء ، وارتفعت يده بحركة المقاتل المستميت . غير ان ابا البهاء كان اسرع مناورة ، فقبض على اليد المرفوعة وقربها من وجهه . حسبته ينوي ان يخوض المعركة مع ضحيته المسكينة ، ولكني تبينت انه قرب تلك اليد اليه ليضع على ظاهر كفها شفتيه ... ليطبع عليها قبلة خاطفة ، كانت مقدمة لسيل من الكلمات المعسولة ، لم يبلغ سمعي مؤداها في موقفي من الردهة العليا ، إلا اني عرفت اثرها في ملامح وجه الضحية . فقد بدا لي ان الرجل هدأ بعد فرط احتداد ، وفارقه غيظه ، وانتهي الأمر بان ارتسمت على شفتيه ابتسامة راضية . لاشك في انه اقتنع اوفى اقتناع بما اوهمه به ابو البهاء من ان اللطمات الثلاث نالته خطا ، فما كانت موجهة اليه البتة ، وانما إلى ذلك الرفيق المزعوم الذي اسمه احمد ... احمد الذي لم يكن له في الواقع أي وجود .

وانهى ابو محمد ، يحيى آغا ، حكايته كما انهاها الاستاذ مصطفى ، بقوله إنه خاض رهانا مع ابي البهاء فخسره ، وانه تالم بعض الشيء لخسارته ، ولكن التعامل مع هذا الرجل وان ادى إلى الخسارة او إلى التالم تظل مرغوباً بها لما في مقاله من طرافة واضحاك .

●●

نعم ، قد يشتط صديقي ابو البهاء احياناً في إيلام ضحاياه كما في الحكاية السابقة . وهو إذا فعل ، فانما يضطر إلى ذلك استجابة لدوافع معينة ، منها الافلاس ، ومنها الاستثارة ، ومنها في بعض الحالات الحب . ولعل الفرصة تتاح لي لاتحدث في مقال قادم عن فصول له الفها ، او دبرها ، بتاثير الدافع الاخير ، واعني به دافع العشق والغرام .

د . عبد السلام العجيلي

الساعة التي تسبق الفجر

قصة بقلم : سعد مكاوي

« إن الشخصيات المتوهجة التى تتطلبها منعطفات الزمان الحرجة تولد عند الحاجة إليها ، تفرزها الضرورة » .

س.م.

فى ليلة من ليالى البرارى السحيقة ، حيث يتسيد الضباب ويتمدد العفن ، وتنطمس الحقيقة وحيث تتناسل الجموع الكثيفة المنضغطة وهى تحشو بطونها بالفتات المتساقط من موائد القرصان ، منسحقة الارادة تحت نعال المواكب الصخابة لعتاة المرتزقة وجحافل المزيفين ، كان المستنقع الكبير ينمو ويترامى ويستفحل أمام بصيرة الكهل الذى دفعته الضرورة إلى شراع خفقاته تعوذات ، فى زورق يطقطق خشبه إحساساً بالاغتراب .

خلال العفن جال الكهل ببصره فلم ير غير حركة الدود النهمة ، كبيرها يأكل صغيرها ، والكل أكل ما فى بطن المستنقع وظهره من طحالب .. وعندما رأى دودة صغيرة تلتهم مضغة من عشب القاع الغض فى نفس الوقت الذى تلتهمها هى فيه دودة كبيرة ، ابتعد زورقه بمجدافين فى تقزز وتشاؤم .

فى الظل والعزلة يشعر الكهل انه الأقوى ... يعزف على قيثارته القديمة الطيبة الوانا ، وعطوراً ، وطعوماً ، وتجليات .. يغنى ويبشر وينادى الكلمات الصادقة من أركان الأرض : وقوفا أيتها الكلمات !

لكن القيثارة كثيراً ما تسكت ، إذ تدخل عليه الضرورة لتخرجه إلى الأسن العطن مما حول كهفه .. عندها تأخذ الظلمة زخرفها على النواصى ، وتتنادى من حوله إشارات المسوخ كشفرة اللصوص .. تسكت القيثارة ، وتتحكم الضرورة ، فيغوص الكهل حتى عنقه فى ليل المستنقع البهيم ، وتشحب الالوان ، وتذوى العطور ، وتسخف الطعوم ، وتنطفىء الاشراقات .. حتى كلماته تستشعر هى الأخرى ذلك البرد الجليدى الذى يرصها امامه فى توابيتها ، محنطة .

هو الذى يكمن كل شىء عنده فى الكلمة ماذا هو فاعل بكلماته فى قلب المستنقع الذى لم تعد بينه وبينه لغة مشتركة ، وأين يبشر بايمانه بان الكلمات الشريفة هى بشير الغد الجميل الذى يراه ببصيرته ويصر على انه هو الحقيقة ؟ .

وفى قلب الضباب العطن سمع ضربة مجداف غير مجدافه ، دون ان يعرف اى انواع السلاح يحمل هذا الزورق الآخر الذى بدأت مقدمته تتضح ، وإن كان يعرف انه هو فى هذا المكان وهذا الزمان بغير سلاح غير الكلمة .. وعندما صارت مقدمة الزورق المجهول عند طرف مجدافه سمع صوتا :

ـ من هناك ؟ ماذا يقول له ؟!

ينقبض القلب وينبض الحذر ، فان الوهلة الأولى عند سماع ضربة مجداف آخر هى للتوجس ، إذ الميدان مفتوح للخطاف والمرشد قبل أن يكون هناك رجاء فى ظهور قلب نظيف أو إرادة طيبة أو بارقة أمل .

ـ ومن تكون أنت ؟

الآن يلتحم الزورقان وتستبين ملامح الوجه الآخر مبهمة بعض الشىء فى ضبابية الأشياء :

ـ انا قلب يغامر وعقل يئن .

فى الصوت نبرة صدق عرفت طريقها إلى الأعماق الملهوفة من وجود الكهل المتمرس بمعادن النفوس .. ومع مسافة المجازفة المحسوبة فانه ينبغى ان نطرد من انفسنا الخوف احدنا من الآخر إذا كنا نريد حقاً أن نقهر كل هذا العفن ونطلع فى ليل المستنقع الطويل فجراً اى فجر .

بعد لحظة اليأس المرة احس ان نبرة الصدق فى صوت إنسانى واحد تكفيه لكى يتعالى على التشاؤم واليأس ، فسأل فى فرحة بلقاء الرجل الآخر اشيب الفودين مقرون الحاجبين الذى كان يرنو إليه بنظرة واضحة صديقة :

ـ تئن ؟

ـ أنين من طاردته زوارق المرتزقة .

ـ تغامر ؟

ـ بالباقى من العمر ، وما أقله .

ـ زوارق المرتزقة ؟

ـ لماذا أجازف بالكلام معك وقد تكون واحداً منهم ؟!

ـ هل فقدنا الثقة أحدنا فى الآخر إلى الأبد ؟

ـ المرتزقة يا أخى كما تعرف يملأون المستنقع ،مشوهى الوجدان، زوارقهم ملء الضباب

ـ أجل يا أخى ... إنهم يصنعون الضباب ... يستثمرون الضباب ... على جسد الحياة وروحها يثقل دهنهم ، منذ استعبدهم نفاقهم لقوة الضباب ،

ـ ها أنت ترى أن كلامنا لم يكن مجازفة بل مكاشفة !

ـ ما أسرع ما تفاهمنا .

ـ ما أسرع ما يجب أن نتفاهم .

ابتسم الكهل ابتسامة طفل سعيد .

ـ كلمات .. كلمات .. أليست لك أنت الآخر صناعة غير الكلمات ؟!

ـ من تكون أنت ؟

ـ رجل صناعته كلمات تبشر بالبعد البعيد وراء الأفق .. بنور الفجر المتنائى



يشق الضباب .. انت من تكون ؟
ـ محارب قديم من جيش الحقيقة .
ـ متمرس ؟
ـ بالفعل الصادق ، الأخ الشرعى للكلمة المضيئة .
ـ أهلا بك .. تعال نوثق هذا اللقاء .
ـ كيف ؟
ـ كما نريد ... مجال الحركة مفتوح امامنا ... وما أسهل الميثاق بين المتوهجين بصدقهم ... نوثق لقاءنا بان نقول مثلا بيتا من الشعر ، نشترك فى صياغة شطريه ونحن نشم معا رائحة النتن الفائحة .. الا تقوى حتى على هذا ؟ .. إننى الآن اشعر ان المستنقع لن يبتلعنا نحن الآخرين ، بل اننا سنثب فوقه لنعانق الآتى ونغنى لنبض المستقبل .

قال الرجل الآخر بصـــوت يقطـــر استبشارا :

ـ يا زورق يا مغترب .. منافذ الآفاق يسدها علينا تكالب الديدان التى تفوح نتنا وصراع الحيتان التى تنز زيتـــا ، ولكن لا عليك يا زورق ، فهناك وراء الأفق لابد ان تكون لهذا النتن نهاية ولشىء آخر بداية ، فلنتقدم ولنقتحم .

فى كل لحظة يضرب الماء حولهما مجداف مجهول .

وبكاء طفلة حزينة فى زورق بعيـــد يغشيه الضباب يتناهى إليهما واهنا متقطعا حتى تقتله الأصوات الغليظة ، إذ يتنادى سعداء اللصوص بشفرة المرتزقة ، وفوق العطن يتساندون .

هل المجاديف اللصة والمتلصصة كثيرة حقا إلى هذا الحد الميئس ، أم أن ضربة قوية على دف الحياة الصادق تستطيع أن تطرد شياطينها وتخرس صوتها وتمحق سرطانها ؟

عرف كل منهما كل شىء عن صاحبه ... لا تحزن إن الحقيقة معنا ... وما اجمل ان تجدنى وان اجدك ... ان يكون لنا وجود نحن الذين لسنا من المسوخ ولا من المرتزقة ... أن تكون لنا لغة مشتركة ... ان يكون لنا ولو بيت واحد من الشعر ، به نغنى وبه نبشر ... تعال نغنه للطفلة الحزينـــة الموءودة الصوت حتى نضيء لها الدرب ونجعله بشرى بين يديها ... ما اســـم ابنتك ؟ ... هل تلف ذراعها الغض حول عنقك ؟ ... وما اسم ابنتيك انت ؟ ... وترى ما اسم هذه التى بكت منذ قليل تنادى من يؤنس وحشتها ؟ تعال نغن معا وما أرى إلا أن صوتنا لا يلبث ان تؤنسه أصوات مجهولة لنا كما نحن مجهولون لها ... لا تحزن ان خصوبة الحقيقة معنا ... الا ترى أن لزوجة الضباب قد خفت بعض الشىء يا صديق ؟ ... تعال نغن بصوت يبغت المرتزقة فعل القارعة ويشق الضباب فعل السكين .

من قلب الضباب ظهر زورق ثالث صاحب المجداف فيه ملهوف ، دنا وتكلـــم غير هياب :

يا ناس ! ... ملعون هذا الزمن .. وملعون لنا إن عشت فيه بعد اليوم شيطانا أخرس ... أما بعد هذا فالسلام عليكم ورحمة الله

ـ عليكم السلام ، ارنا وجهك .
عليك مسحة رضى ، من تكون ؟
ـ رجل حدثه قلبه انه يستطيع أن يامن لكما .
ـ أنت صادق القلب فتكلم .
ـ إن كنتما تتطلعان نحو الآفاق فانـــا مثلكما ، ولكن نظرتى إلى الاعالى ... الدنيا عندى جسر نحو الكمال ، ولهذا فان الكمال هو هدفى ... أما بعد هذا فملعونون انتم ايضا ان كنتم فى حقيقتكم من الشياطين الخرس او من هيئة المرتزقة .
ـ بل كنا نتاهب لكى نغنى للفجر اغنية فتعال إذن وغن معنا .
ـ وماذا تقول أغنيتكم ؟
ـ نحن ننشد الفجر .
ـ مؤمنين ؟
ـ مؤمنين بان هذا ممكن .
ـ ما ابعدكم عن الفجـــــر إن كنتم تنشدون شيئا خارج انفسكم .
ـ تعال نبحث عما وراء اللعنـــات .. ليقترب مجدافك من مجاديفنا .

التحم بهما ملاح الزورق الثالث متوقد النظرة ، خفيف الروح على بدانته الظاهرة ... لكان يده تلوح للمصير براية علوية ، وكانه يقبس كلماته من نار داخلية لا تخبو ... وما لبثوا ان تبينوا ان تعدد منابعهم لا يعدد الهدف .

عطاشا إلى الفجر الجديد تكلم كل واحد منهم من منبعه ، واتفقوا فى اشياء كثيرة ، واختلفوا فى اشياء قليلة ، ولكن ظهر لهم ان الهدف فى النهاية واحد .

إن هو إلا فجر واحد .

إذا كان الأول قد دفع ثمن الكلمة والثانى ثمن الفعل فان الثالث قد ضحى دائما بالدنيا وما فيها من اجل القيم العلوية التى مشى عمره تحت لوائها .

عطاشا إلى الفجر تكلموا ... الا إن اشد ساعات الليل ظلمة لهى الساعة التى تسبق الفجر !

الساعة التي تسبق الفجر

كل منهم يستطيع أن يقول إنه لم تمسه يد القرصان التى صاغت المرتزقة ونشرتهم فى طول المستنقع وعرضه .. لقد عاشوا إلى آخر الشباب أو آخر الكهولة وصاروا لزواجاً وآباء دون أن تتمكن أية قوة ان تنال من إصرارهم على أن لا تتلوث طهارة زوارقهم الصغيرة ، فتعانقت أرواحهم وتلامست أفكارهم وتبوتقت إرادتهم .. الا يا فجر فاسطع بنورك .. الا ياريح الطهارة هبى !

تطلعوا حولهم فى لهفة .. لابد ان هناك سفناً أخرى من نوع زوارقهم تسعى خلال هذا العفن باحثة عن الفجر .. ولابد أن كثيراً من هذه السفن يقودها ملاحون من أصحاب الهمة والفتوة .. وفى البداية ارتدت إليهم نظراتهم حسيرة .. لم يروا فى أرجاء المستنقع المترامية إلا زيفاً يائتلف بزيف ، وتكتلات نكراء ادهى من دعوات الفساد على النواصى ، تتواصى وتتساند .. بل دهمت لقاءهم المتوارى سفينة ترفع راية سوداء غير مستخفية ، مسطورة الشعار على مقدمتها بوضوح سافر : « اخطف قبل غيرك واجر » .. وانقض عليهم منها جمع من أقوياء الحنجرة والعضل .. لقد جاء القرصان .. فى مثل لمح الطرف فتشوا الزوارق الثلاثة ونهبوا القليل الذى وجدوه فيها ثم اختفوا آمنين .. لقـــد ذهب القرصان .

ـ هذا النوع الذى هاجمنا هو اقل سفن المستنقع خطراً .. إن هؤلاء من صغار اللصوص .. هناك سفن اكبر واذكى ، لا ترفع مثل هذه الراية الصريحـــة .. قراصنتها المتواصون بصمت، المتامرون فى مسوح أخرى، يتقدمـــون ، وينتشرون ، ويسمنون ..

فى مقدمة زورق تعس ظهرت لهم امراة يصك صوتها الأسماع وهى تلعن مستثمرى الضباب :

ـ يا ناس ! .. قرصان يقود سفينة فخمة تحمل اسم « المنجد » سلبنى وجردنى وانتم فى الاركان تتسامرون .. هل كسرتم رقاب كبيركم وصغيركم وضعيفكم وقويكم ؟ .. بأى جلود صفيقة وقلوب ميتة تعيشون هذه الحياة ؟ .

رشقت نظراتها فى عيون الرجال تسائلهم .. الم يعد يجوس خلال العفن غير هذا النوع من السفن المسموح لها بالحركة وغيرها هذا النوع من البشر الذى يستطعم النتن ولا يجد ما يشهره فى وجه الحياة غير خناجره ومخالبه ؟

هدأت ثائرتها لما سمعت كلماتهم ، وتكلم الأربعة وقد تعانقت مجاديفهم حتى بدا لهم أن الضـــباب يخف من حـــولهم وهم يتحاورون ، وقالت المراة الشابة إنها تعلم أن زوارق أخرى كثيرة تجوب المستنقع باحثة عن دروب الفجر المضيئة ..

وجاءت من قريب صيحة يبثها صوت ثاقب :

ـ وقوفاً أيها الأموات ! .. وقوفاً ! .. وعلى دف الحياة الصادق اعزفوا معاً أشعار المخاض الكبير ، فتاتيكم سفائن أخرى تحمل أولى العزم من المتطهرين والشهداء .. هذا الصنف لا يزال موجوداً .. لستم وحدكم ..

قالت المراة وقد تهلل وجهها حتى اضاء كالشمس :

ـ هذا حق .. معنى اننا نستطيع أن نتصور وجود غيرنا من المتطهرين هو أن الواقع على مرارته يستطيع أن يخلفهم من بين كل هذا الركام الرهيب من الفساد .

وقال الكهل فى هزة سرور وهو يتحسس قيثارته :

ـ نعم .. لسنا وحدنا .. الا ســـحقاً لضجيج العالم ! .. لكم يسدل الحجب الصفيقة على أولئك الذين يرون ما للنور من جمال وعزة ، ولكم يغشى الضباب اولئك الكثيرين الذين يفتدون هذا النور بحياتهم ويحمونه من الظلمة الهادرة الكذابة .. إن الشخصيات المتوهجة التى تتطلبهـــا منعطفات الزمان الحرجة تولد عند الحاجة إليها ، تفرزها الضرورة .

تاملته المراة وهى تساله :

ـ من أنت فى الحقيقة ومن هؤلاء ؟

ـ أنا رجل صناعته الكلمة ورايته الصدق .. وهذا محارب قديم من أهل الحقيقة دفع الثمن مطمئن القلب راضي النفس .. وهذا مفكر يبلور المعنى الحقيقى لكلمة الجهاد ويؤمن بضرورة ربط المعتقد بالحياة لمواجهة الخطر الماثل فى سيادة الزيف .. أما بعد اسئلتك كلها فقولى لنا من تكونين أنت ؟

ـ أنا ضرورة موقف ، وشرارة حماسة .

اقتربت سفائن أخرى تتساءل مجاديفها فى لهفة :

ـ من أنتم ؟ من أنتم ؟

قبل أن تجد أسئلتهم رداً يشفى الغلة طغى على كل صوت فى أرجاء المستنقع نشيد منكر لعلع وتسلطن .

ـ يا قوة الضباب ، يا قمرنا ، يا بدرنا ، ياشمسنا ، يا كل النور ، من أعماق النتن الجميل نرفع إليك أغانينا ، فتقبل قرابين السالبين ودعاء النهابين وصلاة القلوب الضالة ، وآتنا ما وعدتنا جزاء وفاقاً على نشاط حيتانك وحصاد قرصانك ..

لكن من قلب هيمنة النشيد الطاغى برزت مع ذلك مجاديف متناثرة تحاول أن تبلغ مكان الزوارق القليلة المتساندة كانها جزيرة صغيرة فى بحر الظلمات .

وفى مقدمة بعض هذه الزوارق التى تجاهد باستبسال واضح أطفـــال يتصايحون وقد ملئوا ياساً ورعباً :

ـ متى يطلع الفجر ؟ متى يطلع الفجر ؟

وأمهات يعانقن الصغار وتتناهى نحـــو السماء صرخاتهن الملتاعة :

ـ هل هذا هو كل المستقبل الذى نورثه لأولادنا ؟ .. أمن الحق أن الشمس ستشرق يوماً بعد يوم على هذا العفن فتجده كما كان بالأمس وأسوأ ، وانه لن ينتج من هنا خير أبداً ؟ هل لابد للشىء الحقيقى هنا أن يتمزق ويتبدد ، وللشىء الجميل أن يموت ؟

لكن الزوارق التى كانت قليلة تضاعفت أعدادها ، وتداعت صواريها ، وتناغمت مجاديفها .. وكالمشاعل ومضت العيون فى الزوارق المتلاحمة ، وسرى على الماء روح كريم تعرفه تلك البرارى السحيقة من قديم الأزل ، واندلعت الأغنية من الكل دفعة واحدة ، نافورة صدق ، كما ينبثق الماء الحى من بطن الصخور الصلدة .. وتوحدت الأغنية فى نشيد تصاعد فى شموخ حتى لطم نشيد المرتزقة والقرصان فارتطمت الموجتان على المستنقع فى لطمة زلزلته حتى أعماقه .

وفى مقدمة الزورق الذى لم يعد مغترباً تناول الكهل السعيد قيثارته الطيبة وداعب أوتارها حتى استقامت على النغمـــة الكبرى .

سعد مكاوى

قصائد مجهولة

هذه مجموعة من القصائد القصيرة المجهولة لشاعر موهوب « سيء الحظ » عاش فى ريف مصر فى الثلاثينات والأربعينات ، ونال بعض الشهرة عندما كتب عنه « انطون الجميل » رئيس تحرير الأهرام آنذاك ، ولكن شهرة الشاعر سرعان ما انطفأت ، وضاع الرجل وشعره فى ظلام النسيان ، والشاعر اسمه « محمد السيد علي شحاته » وكان يسمى نفسه باسم مستعار هو « شاعر البرارى » .. وأرجو أن أعود إلى شعره وحياته ومأساته بشيء من التفصيل فى عدد قادم .

رئيس التحرير

فى التحية وردها

ولقد أمر ولم أحيِّهمو
ما لم أجدْ لتحيتى أهلاَ
تَرْك التحيةِ بعدُ أليقُ بى
من أن أحيِّى الكبرَ والجهلاَ
حيِّ الجمادَ ، ولا تحيِّى فتىً
ردَّ السلامِ يعدُّهُ فضْلاَ
إن رَدَّ كان الردُّ مقتضَباً
أو قد يردُّ ممدداً رِجْلاَ
إن التحيةَ كالعَروسِ . إذا
أعددْتَها ، فاخترْ لها بعْلاَ

يصلى كثيراً ...

عجيب يصلى الخمسَ فى أوقاتِها
ولا ذمةً فى القوم يرعَى ولا إلاَّ
فيؤْذى سواهُ تحتَ ظِلِّ صَلاَتِهِ
ويحسبُها ترْضِى إلهَ الوَرَى . ؟ كَلاَّ
إذا لم تُنَهْنِهْنَا صَلاةٌ عن الأذَى
فلا سَلَّمَ المَوْلَى عَلَيْنا ولا صلىَّ

حلو جداً

أحلَى من الماءِ الفراتِ على الظَّمَا
وألذُّ من رَشْفِ الرَّحِيقِ من اللَّمَى
رفعُ الظلامَةِ عن فتىً مُتَظَلِّمٍ
أو منعُك الظَّلاَّمَ عَنْ أن يُظْلَمَا

مر جداً

وأمَرُّ من ظِلِّ القريبِ
ومن مُفَارَقَةِ الحبيبْ
أن يهتف ابنُ الفضْلِ يوْمًا
بالخَسِيسِ فَلاَ يُجِيبْ

الحارس

أيا حارِسَ الروضَةِ ارقُدْ فإنَّ
أقل اللصوصِ لصُوصُ الزهورْ
ويا حارس الجيفة اسْهَرْ عليها
طويلاً ، فان الكلابَ كثيرْ

الحظ

يارُبَّ ذى مالٍ كثيرٍ فى الوَرَى
لولا تَبسُّمُ حظِّهِ لتَسَوَّلاَ
ما الإجتهادُ هو الموصِّلُ وحْدَهُ
كلا ولا العقْلُ الكبيرُ ، وَلاَ وَلاَ
لم يبلغ الانسانُ أيَّةَ غَايَةٍ
إلاَّ وَكَانَ الحظُّ فيهَا أوَّلاَ

طغيان الخداع

زرعت فى بعضِهِمْ وُدِّى وقلْتُ لَهُ
أثْمِرْ ، فقال وأينَ الخِصْبُ والماءُ
طغى الخداعُ فكَمْ عينٍ علانيةً
تبْدِى لك الود ، والاحشاء صحراءُ

أشد أنواع العذاب

كل العذابِ يهونُ حتى لَوْ
يحكَّمُ فيكَ دونكْ
إلا عذابُكَ بالاقامَةِ
بين مَنْ لا يفهمُونكْ

لا تنخدع

رُدَّ الفتى لأصْلِهِ
لا تنخدعْ بطيبَتِهْ
واحكم عليه وليه
من جدِّه وجدَّتِهْ
فكل شيءٍ فى البرايَا
فيهِ طعْمُ منبتِهْ

ماذا تبغى ؟

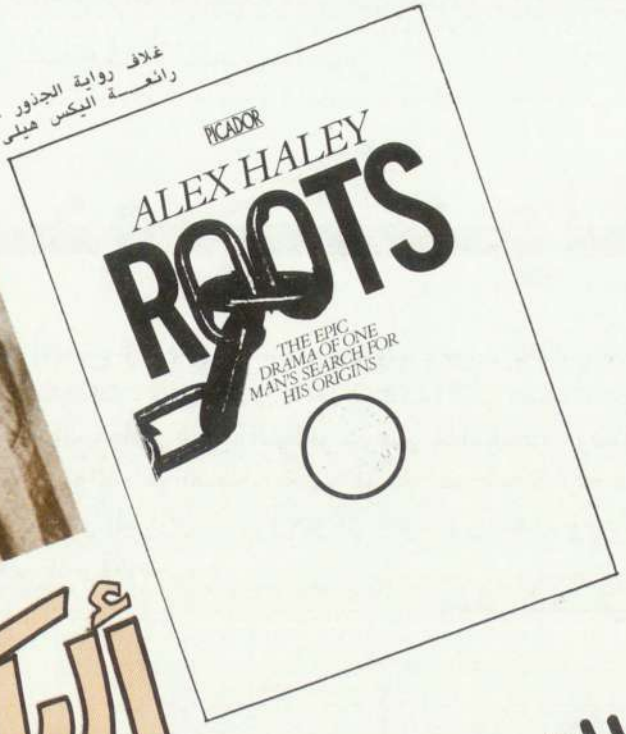
تبغى خُلُوَّ البالِ
طلبْتَ نيْلَ المحَالِ
لم يجتمع أىَّ يومٍ
عقلٌ وبالٌ خالِ

تقبل كلبها

ما قبلت كلبَهَا وجدَّاولا ولهًا
بل قبلت كلبَهَا عطفاً وشكرانَا
هو الوفىُّ لها ـ لا المغرمون بها
والكلبُ أوفَى من الانسانِ مُذكانَا



اليكس هيلى .. أعطت روايته للرجل الأبيض درسا فى الانسانية



غلاف رواية الجذور .. رائعة اليكس هيلى

أليكس هيلي

الفنان الذي كسب الملايين وأحدث هزّة في العالم بعد رواية واحدة

بقلم : فوزي تادرس

كطفل صغير فى عمر الزغب .. وفى مساء صيف طويل تكسرت فيه كل ثانية على أوتار قلبه المرهف الرقيق .. راح اليكس هيلى ينصت بامعان الى أحاديث جدته عندما كانت تتسامر فى امسيات الليالى السوداء من عمر الزمن القاسى الذى كابده زنوج امريكا .. لقد كانت مسامراتها مع اترابها عندما كن يلتقين فى الفناء الخلفى لمنزلهم البسيط فى حى « هننج » بمقاطعة « تينسى » . لقد كانت نبرات أحاديثهن تعتريها نغمات الحزن الدفين وتسودها الكآبة القاتمة .. ويروح كل منهن يهمس بشفتيه بكلمات واسماء لاشخاص عاشوا ماضيهم الأسود فى لون بشرتهم ، وأماكن لم يفهمها الطفل البريء أن الرجال البيض قد اساءوا وعذبوا اجداده السود واضطهدوهم .. ولم يستطع الطفل الصغير فى ذلك الوقت أن يفسر لماذا كل هذا الاضطهاد .. لماذا يقع كل هذا التعذيب على اجداده .. ولماذا كان هذا الهوان . ؟!!

كل ما كان يعيه الطفل اليكس هيلى فى ذلك الوقت انه عندما يذكر اسم « الافريقى » يجد أن الجميع يذكرونه باحترام بالغ .. بحب .. بشفقه .. بدموع تعبر عن مشاعر مكبوته .. وعرف الطفل فى ذلك الوقت ان الماسا « تاجر الرقيق » وكان اسمه « جون والتر » قد أحضر « الافريقى » على ظهر سفينة نقل العبيد إلى ميناء « سبوتسلفانيا » بولاية « فرجينيا » ليقابل مصيره المجهول وعبوديته المقدرة التى فرضها عليه أخوه « الانسان الابيض » .

ويروح الطفل اليكس هيلى يرهف السمع باذنيه .. ويقشعر بدن الطفل ، ويرتجف قلبه ويغوص بين قدميه عندما سمع أن « الافريقى » قد حاول الهروب اربع مرات .. لكن قدره « الاسود » يشاء له أن يفشل فى محاولته .. ولما بلغ به الضيق مداه .. وانفجر الغيظ المكبوت بين ضلوعه ، إذ « بالافريقى » يثور ويحاول أن ينتقم من الرجال البيض الذين يقيدونه عقب كل محاولة للهرب .. واخيراً قرر « البيض » أن يقضوا على محاولات الهرب نهائياً ، باحدى طريقتين : إما بان يخصوه .. أو ان يبتروا قدمه بفاس كبيرة . وكرجل .. يرضى « الافريقى » بـ « الطريقة » الثانية ! .

طلاسم مقدسة

ويعرف اليكس هيلى من خلال ما حدث لن « الافريقى » بعد أن قطعت ساقه .. وشلت محاولاته .. اخذ يعمل فى منزل « تاجر الرقيق » حيث قابل الطباخة « بل » وحدث بينهما لقاء روحى وعاطفى . ويبدو انه كلل ذلك الحب بالزواج .. فقد انجب منها ابنته « كيزى » . ويخبر « الافريقى » ابنته « كيزى » باسمه الحقيقى وهو « كونتا كنتى » وليس « توبى » . وراح يحكى لها ماساته الدرامية عندما اختطفه تجار الرقيق حين كان يقطع الأشجار فى الغابة ليصنع منها طبلة يرفه بها عن نفسه فى موطنه الأصلى مهد طفولته ومرتع صباه ..

ويعرف الطفل اليكس هيلى من خلال ما سمعه من أحاديث جدته العجوز أن « كونتا كنتى » كان يردد بعض الكلمات أمام ابنته « كيزى » ، وانه كان يشير دائما إلى آلة موسيقية ويذكر كلمة « كو » ويشير باصبعه فى احاديثه إلى نهر هناك فى افريقيا،ويقول « كامبى بولونج » ،وعرفت « كيزى » كثيراً عن والدها .. وانها قد بيعت الى تاجر الرقيق « توم ليا » والذى اعتدى عليها ، وانجبت منه اول مولود لها اسمته « جورج » والذى أصبح معروفاً فيما بعد بـ « تشيكن جورج » .

وتمضى السنون .. وتمر الأجيال .. ويتوارث أحفاد هيلى هذه الكلمات الغامضة وكأنها طلاسم مقدسة لأسطورة تنتظر التفسير .. وأن يكون تفسيرها على عاتق هيلى نفسه .

يستمع هيلى الى هذه الطلاسم وغيرها .. ويحفظها عن ظهر قلب فى طفولته .. وينمو الطفل ويشتد ساعده .. وتنمو معه رغبته فى الوقوف على سر هذه الطلاسم .. فذكريات أمسيات « الطلاسم » تقلقه .. إنها باقية فى وجدان ضميره .. ويقع هيلى فريسة التفكير والتساؤلات ما هى هذه الطلاسم .. وما جدواها .. ماذا كان وراءها .. علاقتها بماضيه ، وبأيام أجداده السالفة ؟! لقد عاشت معه هذه الطلاسم تلح عليه كى يجد لها حلا .. عاشت معه ولازمته حتى بلغ سن الخامسة والاربعين ..

عشر سنوات فى البحث عن الجذور

وأخيراً .. وبعد معاناة طويلة .. وفى امسية يوم سبت من عام ١٩٦٥ كان « هيلى » يسير أمام دار المحفوظات الوطنية فى واشنطن .. وإذ به يتخيل صوت جدته العجوز يحثه على الدخول الى الدار ليفتش بين مستنداتها عن أصوله العائلية وعن « جذوره » .. وهناك فى قاعة المطالعة الرئيسية يقابل أمين المحفوظات ويحدثه « هيلى » بما يعتلج فى صدره .. وعما سمعه من أحاديث جدته .. وطلب من أمين القاعة مساعدته .. وبعد بحث طويل بين محتويات الدار وأرشيفها وجد أن عليه أن يسافر إلى « الامانس كونتى » فى ولاية « كارولينا الشمالية » ليطلع على تعداد سنة ١٨٧٠ . ويطير « هيلى » إلى « نورث كارولينا » ويجلس أمام جهاز الميكروفيلم فى صمت رهيب .. ويروح يقرأ وثيقة تلو الاخرى ، ويداه ترتعشان وهو يدير جهاز الميكروفيلم .. إنه يسترجع سنوات وسنوات مضت من تاريخ أسرته واذا بعينه تقرأ أسماء « توم موري » و « ايرين موري » وعشرات غيرهما وفى « نورث كارولينا » استطاع أن يعرف بعض المعلومات التى أضاءت له بحثه ..

ويعود هيلى إلى جدته لتطلب منه أن يبحث عن أصوله ويقف عليها ، ولو كلفه ذلك النفس والنفيس ..

ومنذ تلك اللحظة قضى « هيلى » عشر سنوات من البحث الجاد المضنى تحت وطأة الرغبة الأكيدة للوقوف على ماضيه وأسراره ، وللتعرف على عذابات أهله ، ومعاناتهم منذ لحظة « اغترابهم » فى الولايات المتحدة ، وافتراقهم عن الاهل والعشيرة فى موطنهم الأصلى افريقيا .

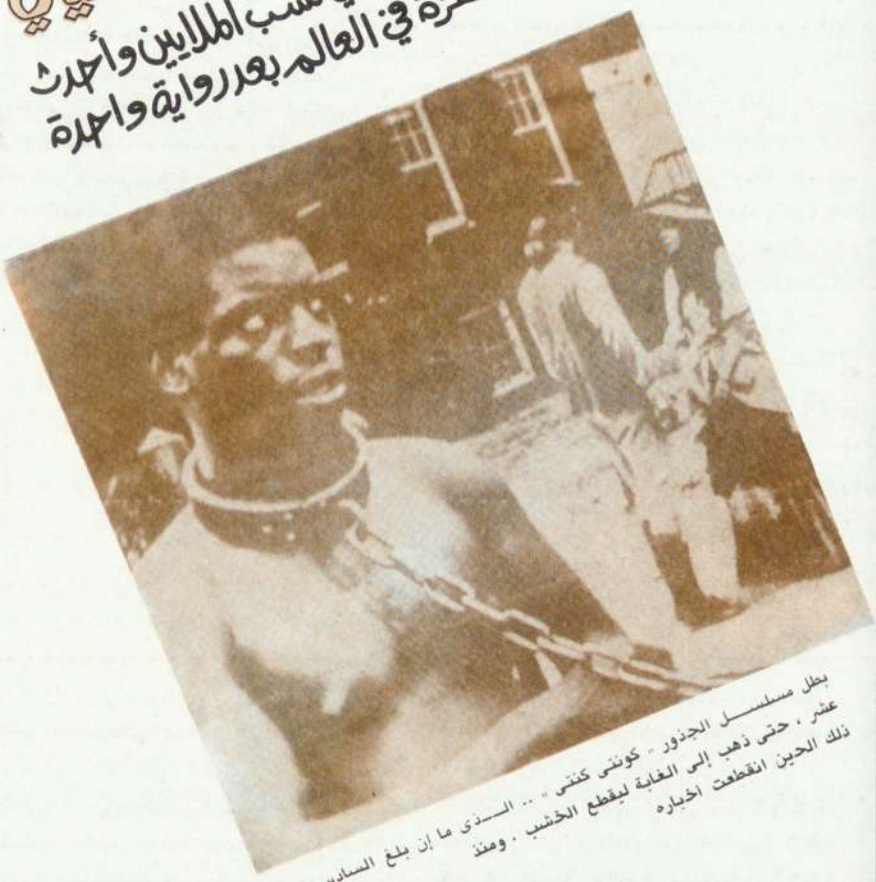
ويروح « هيلى » يتفق مع دور النشر الكبرى لكى تتولى مساعدته فى مشروع بحثه عن « جذوره » فامدوه بالاف الدولارات التى ساعدته ليواجه نفقات عمله .. فقد اطلع « هيلى » على مستندات نقل العبيد فى تلك الفترة ، وعلى حركة نقل السفن التى أقلتهم من أرضهم الغالية وعرف مواعيد وموانى قيامها من افريقيا .. ومواعيد وموانى وصولها بالولايات المتحدة .. وعرف اسماء ركابها وعدد « رؤوسهم » .. واخيراً قرر « هيلى » أن يسافر إلى موطن « الافريقى » الاصلى . وقبل سفره قابل « هيلى » أحد الاساتذة المتخصصين فى الدراسات واللهجات الافريقية .. وعندما ذكر له « الطلاسم » التى كان يسمعها من جدته العجوز .. عرف منه أن أجداده كانوا يتكلمون بلهجة « المانديكا » وهى اللهجة التى تستعمل الآن فى الجزء الغربى من « جامبيا » فكلمة « كامبى بولونج » تعنى « نهر جامبيا » . ويعرفه الأستاذ المتخصص أيضاً أن كلمة « كو » هى لفظه اخرى لكلمة « كور » وهى تعنى آلة موسيقية ..

ولقد كان « هيلى » حتى ذلك الوقت قد استلم ٨٠ر٠٠٠ دولار من الناشرين انفقها كلها فى البحث والسفر والمقابلات الكثيرة التى اضطر اليها ليقابل اقاربه العبيد المنتشرين فى كل الولايات المتحدة ..

اخذ « هيلى » يعد نفسه ، ويتاهب للسفر الى افريقيا « السوداء » .. فقد حجز للسفر على ظهر سفينة نقل اسمها « افريكان ستار » وعلى ظهر السفينة أخذ « هيلى » يسرح بمخيلته . وتتجاوز أفكاره حدود الأفق المترامى البعيد .. تماماً مثل الحقيقة التى يبحث عنها الفلاسفة فى رحلة شكهم . ويقف « هيلى » لينظر الى نجوم السماء التى ترشد ربان السفينة فى رحلته .. ويقارن « هيلى » بين السفينة التى تقله الآن والسفينة التى اقلت أجداد أجداده .. ويطوف بخاطره احساس بالشفقه والرثاء عندما يتيقن الفارق الكبير بين السفينتين . فهذه سفينة تحمل ما يقدر بالملايين من البضائع ، أما سفينة العبيد التى اقلت أجداده فقد كانت

أليكس هيلي

الفنان الذي كسب الملايين وأحدث هزة في العالم بعد رواية واحدة



بطل مسلسل الجذور « كونتى كنتى » .. الذى ما إن بلغ السادسة عشر ، حتى ذهب إلى الغابة ليقطع الخشب . ومنذ ذلك الحين انقطعت اخباره

نقل « رؤوسا » مشتراه من اسواق النخاسة بابخس الاثمان !!

عندما فكر فى الانتحار

وتمضى السفينة به تشق عباب البحر .. ويقف صاحبنا على سطحها يصلى للسماء لن تكشف له الطلاسم .. وإذ بعينيه تمتلآن بالكآبة الواسعة فى اتساع الأفق المترامى الأطراف امامه .. ونفسه تهدر مثل الموج .. واذ بفكرة الانتحار تلمع فى خاطره وتلح عليه بان يلقى بنفسه فى البحر ليرتاح من العذاب النفسى ، والمعاناة اللامتناهية .. وحتى يتخلص من الديون التى اقترضها وانفقها عليه الناشرون حتى يستطيع أن ينشر ملحمته .. خواطر عجيبة بالانتحار لقد طالت مدة البحث وكثرت عليه الديون ، ومضت عشر سنوات من عمره فى بحث دائب ، عاشها بين آمال كبار وبين خيبة رجاء . وبين هذه وتلك عانى إحساس الامتهان أمام الحاح الناشرين ومطالبتهم لأن يرد إليهم اموالهم .

ولقد كان مجرد تفكيره فى الانتحار يعطيه شعور الارتياح ويبعث فى نفسه روح الطمانينة . كانت اصداء فكرة الانتحار والخلاص من العبودية هى نفسها تلك الأفكار التى كانت تراود اجداده فى الانتحار عندما انتزعهم تجار الرقيق من بين ابنائهم واكبادهم وساقوهم نحو البحر لتنقلهم السفن فى رحلة عذاب طويل انعدمت فيها الانسانية ، وأهدرت معها الشعور بالآدمية .. لقد كان يهيأ له أن أصوات « كونتا كنتى » وزوجته ، وبل ، وتشيكن جورج ، كلهم يصرخون يمدون اليه ايديهم التى انهكتها سلاسل القيد الثقيلة . خيل إليه أن عيونهم تذرف الدموع تحت قدميـــــه كى يبقى .. أن لا ينتحر .. أن يعيش حتى يصـــــل إلى « جذوره » . وبين هدير الموج .. وصراع النفس يحس « هيلى » بمسئوليته العظمى نحو اتمام عمله لكى يخرج إلى النور . والغريب فى الأمر ان الصراع الذى وقع فى قونه ، لم يكن صراعاً نفسياً فحسب ، لكنه كان أيضاً صراعاً جسدياً . فكم من مرة أراد « هيلى » أن يبتعد عن سور السفينة الذى يستند ويقبض عليه بيديه . كم من مرة يشد نفسه فى مقاومة بالغة يريد أن يبتعد عن الســـــور دون أن يتخطاه .. دون أن « يعبره » ويلقى بنفسه فى اليم الواسع .. لقد كان كل هذا الصراع النفسى والجسدى يجرى وأذنه تسمع كورس صوت أجداده يجلجل فى أذنه مع هدير الموج ، كى يكمل سيمفونيته الحزينة فى معركة ضارية . لقد كان إيمانه العظيم بالعمل الملقى على عاتقه .. بتفسير الاسطورة التى يعيشها وعاشها من قبل أجداده حتى يكشف عن أصل الآدمية المهدره .. وأن يصل الى أصل « اليد السوداء » متمثلة فى العمل العبودى الذى ينتهجه الرجل الأبيض مع أخيه الأسود .

وفى صراعه بين أن يلقى بنفسه ، وبين أن يعيش .. إذا بجسده يهوى على أرض السفينة ولم يستطع بعدها الحراك .. واذا بنور الفجر ينسج طريقه فى عتمة الظلام الأسود ليبدده ..

ومما لاشك فيه أن فكرة الانتحار كما راودت « هيلى » قد راودت من قبله « كونتا كنتى » . ولكن السلاسل كانت تمنعه من أن يرتكبها وتجبره على أن يعيش فى عبودية مقدره ، نعم فلم يكن « الأفريقى » حراً حتى فى اختيار الموت كحل لعذاب مرير .. كان قدره أن يعيش وأن يعيش فى عبودية .. وشتان بين « كونتا كنتى » الذى أرغم على العيش فى عبودية ، وبين « هيلى » الذى يعيش ليكتب فى حرية عن العبودية .. وشتان بين حرية الارادة ، وقســـــوة العبودية .

هيلى يصل إلى القرية

وأخيراً يصل « هيلى » إلى « جوفور » ويجد نفسه محاطا بكل سكانها والذى يبلغ

عددهم حوالى سبعين نسمه .. يجمع بينهم مظهر خارجى واحد هو اللون الاسود الداكن ، والقلب الابيض من الداخل .. لقد كان هؤلاء ابناء عمومته وخؤولته لاجيال سبعة مضت .. وينظر « هيلى » إلى لون بشرته ويقارن بينه وبين لون بشرتهم . ويتملكه شعور غريب بالجرم .. لقد شعر « هيلى » انه غريب عنهم .. وكانه هجين او مولد . فقد كان لونه خمرياً .

خفف من غلواء شعوره الغامض الغريب ترحيب ابناء عمومته وحـــلاوة ابتسامتهم وبراءة عيونهم . وفرحتهم بمجيئه إليهم من العالم الآخر .. ولقد ادى ذلك الفرح والحفاوة به إلى زوال تلك الكابة النفسية التى ظللته على سطح السفينة .. وردت إليه روحه ..

كان لزاماً على « هيلى » من أجل أن يحصل على أية معلومات خاصة بنسبه وسلالته وجذوره ، كان عليه أن يقابل « الراوى » وهو أكبر شخص فى القرية يحتفظ بذاكرة قوية ، درب منذ صغره على أن يحفظ تاريخ العائلات .. فهو بالنسبة لهم ـ بلغة العصر ـ بنك معلومات .. ومن أجل أن يقابله كان لزاماً عليه أن يركب مركباً كبيراً ياخذه الى نهر جامبيا .. ومعه سيارتان وأربعة عشر رجلا من بينهم مترجمان وأربعة موسيقيين لأن « الراوى » لا يمكنه أن يقص حكاياته التاريخية ويستعرض السلالات العائلية بدون أن تصاحبه الموسيقى ..

يحكى الراوى مواويله واشعاره الشعبية التى تتضمن سيرة أجداد «هيلى» وعائلة « كونتا » ، ومنها يعرف « هيلى » أن أصلها الأول جاء من « مالى » وكيف أنهم هاجروا إلى « موريتانيا » واستقروا أخيراً فى « جامبيا » .. وكان الرجال منهم يعملون فى مهنة الحدادة ، وهى .. المهن المحترمة ـ حسب الاعتقاد الشعبى القائل إن الحداد يهزم النار ويطوع الحديد .

وكان النساء يعملن فى صناعة الفخار .. وكان « كونتا كنتى » مسلماً تقياً رحل إلى « جامبيا » . عاش أولا فى قرية « بكالن دنج » ومنها إنتقل إلى « جفور » . وفى « جوفور » تزوج امراته الاولى الماندیكية وكان اسمها « سيرنج » ، وانجب منها طفلين أحدهما « جانه » والآخر « سالوم » . ثم تزوج مرة ثانية من امراة اسمها « بيسا » وانجب منها « أمورو » .. ثم تزوج « أمورو » من « بنتا » وانجب منها أربعة ابناء هم « كونتا » ، « لامين » ، « سوادو » ، و«مارى»

وعندما بلغ « كونتا » السادسة عشر ذهب إلى الغابة ليقطع الخشب . ومنذ ذلك الوقت انقطعت اخباره .

ويتعجب « هيلى » من قدرة «الراوى» على إعادة أحداث التاريخ الطويل لأجيال مضت باحداث وحياة أفرادها .. ودقائق أعمالهم ..

أعظم الروايات العالمية

إن رواية « جذور » تعتبر من أعظم الروايات العالمية التى كتبت .. ليس بسبب الدراما التى تضمها والآلام التى تشرحها والمعاناة التى عاشها أفرادها .. ولكن بسبب انها فتحت جزءاً من التاريخ ظل مغلقاً لمئات السنين .. وكشفت النقاب عن الاسطورة الكاذبة التى سيطرت على معظم الأمريكيين البيض الذين اشتروا اكذوبة ان الأفريقيين الذين وصلوا إلى أمريكا سرعان ما اغتسلوا من كل الذكريات القبلية التى جاءوا منها أصلا .. وانهم قد فقدوا اسماءهم وشخصيتهم .. وانهم لم يكونوا يملكون ثقافة ولا تاريخاً ، ولم يعرفوا القراءة والكتابة .. ونسوا أن « كنتا كنتى » كان يعرف العربية ، وأنه ذهب إلى المدرسة ليتعلمها ..

لقد فتحت «جذور» الآفاق أمام الباحثين والانثربولوجيين والفولكلوريين واللغويين والأدباء وغيرهم لدراسة الأدب والثقافة الأفرو ـ أمريكية .. ولقد وضعت «جذور» حداً ونهاية لما كان يكتب عن افريقيا من صور مشوهة .. لقد كان معظم الذين يكتبون عن أفريقيا ليسوا أفريقيين .. حقيقة كان هناك البعض منهم موضوعياً ومتعاطفاً مع التجربة الافريقية .. لكن البعض الآخر استغل افريقيا كستارة خلفية عندما كان يصورها تعيش فى همجية وذات انمـاط بدائية ليبرر بطريقة رمزية اغتصاب الاستعمار الأوروبى والأمريكى الذى سارت فيه القارة السوداء .

لقد بينت «جذور» أنه ليس من السهل على الأديب الأوروبى أو الأمريكى أن يكتب عن افريقيا من أجل افريقيا نفسها . وبقى ذلك حتى ظهر الكاتب الافريقى نفسه على مسرح الآداب .. فنحن الآن نرى الروايات المكتوبة بواسطة كتاب من كينيا مثل «جيمس نجاجى» فى روايته «لا تبك أيها الطفل» والتى تصف وطنه أثناء ثورة ماو ماو من خلال رؤية طالب صغير فى المدرسة . وكما ظهر من نيجيريا على يد كاتبها «إ.سى.سى أوزودينما» فى عمله الرائع «نباحنا الميت» وكما ظهر فى غانا على يد كاتبها المعروف «أى كوى أرماه» فى عمله «الجميلون لم يولدوا بعد» ، والتى تضع روايته الى جانب «جيمس جويس» وروايته «صورة الفنان فى شبابه» .

وبظهور هؤلاء الكتاب الافريقيين يكون عصر تشويه صورة افريقية قد انتهى مما كان يكتب عنها بواسطة كتاب غير افريقيين .

ومن ناحية أخرى ، إن رواية «جذور» حطمت الأكذوبة التى تقوم على التفرقة العنصرية بان السود يستمدون ثقافتهم وقوتهم المعنوية من الرجل الأبيض ..

ولقد أعطت «جذور» الرجل الأبيض درساً فى العلاقات الانسانية التى ذبحتها جريمة التفرقة العنصرية التى يرتكبها الانسان الأبيض «المتحضر» .

إن الجاحظ ـ الكاتب العربى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى تنبه الى ثقافة الرجل الافريقى الأسود .. فراح يحلل الشخصية الافريقية وانماط سلوكها ومزايا لونها .. ومزاجها .. وحبها للموسيقى وللغناء وللرقص .. لقد فهم الجاحظ الشـــخصية الأفريقية ووظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية وقيمها الخلقية ، وترابطها القبلى والعائلى فكتب لنا رسالته «فضايل السودان على البيضان» التى سبقت الانثربولوجيين المحدثين بعشرة قرون من الزمن ، دحض فيها نظرية تفوق الرجل الأبيض عن الرجل الأسود واتهامه له بالعجز الذهنى وحب الجريمة والشر .

وهكذا التقى «هيلى» باقاربه الذين تجمعوا حوله .. وكانوا جميعهم نصف عراة .. وراحوا يصلون الى الله فى ضراعة وباللغة العربية «حمداً لك يا الله الذى أعدت الينا الرجل المفقود منا» .

وهكذا أيضاً قضى «هيلى» الأيام فى سعادة بالغة مع «جذوره» وعندما حان يوم العودة .. وقف «هيلى» مع أبناء عمومته وخؤولته ليودعهم الى أرض اغترابه .. وعندما هم «هيلى» بدخول السفينة .. أخذت الدموع تترقرق من عيونهم البريئة وسمعهم يقولون له بصوت حزين متهدج «وداعاً يا مستر كونتا كنتى» «وداعاً يا مستر كونتا كنتى» .

وبعد .. فان « أليكس هيلى » الذى علم نفسه الكتابة أثناء عمله كموظف مغمور بـ « خفر السواحل الامريكى » لمدة عشرين عاماً ، استطاع فى عام ١٩٥٩ أن يصبح كاتباً ومحققاً صحفياً . وكتب مؤلفه الأول بعنوان « قصة حياة مالكولم إكس » . لكن العالم القارىء والمشاهد عرف « أليكس هيلى » بعد أن قدم روايته « الجذور » ، وانتشرت عبر ملايين النسخ من الكتب وحلقات التليفزيون .. مثلما منحته الشهرة والملايين .

فوزى تادرس
جامعة قطر

الدراما التليفزيونية والالتزام الفني

بقلم : مـــرزوق بشـــير

تمثل المسلسلات الدرامية الجزء الاكبر على مساحة الخارطة اليوميـــة لبرامج تليفزيونات المنطقة ، ونســـبة هـــذه المسلسلات تفوق نسبة البرامج الاخرى وخاصة البرامج الثقافية .

وتمثل هذه المسلسلات بايجابياتهـــا وسلبياتها زاداً ثقافياً يومياً تواجهه العائلة الخليجية باختلاف مستوياتها الثقافيـة والاجتماعية ، بل اصبحت هذه المسلسلات بديلا رئيسياً للكتاب ، والصحيفـــة ، والمجلة ، خاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا نسبة الامية العلمية والثقافية فى هذه المجتمعات .

وخطورة تاثير هذه المسلسلات إيجاباً وسلباً واضحة وجليـــه فى التغـير الاجتماعى والسلوك العام والخاص فى حياة الفرد او حتى العائلة ... على سبيل المثال لعبت هذه المسلسلات باطروحاتها المختلفة على تغيير المظهر الداخلى للمنزل الخليجى الذى اصبح تقليداً لما يشاهد على شاشة التليفزيون ... بل ان الامر يصل إلى اكثر من ذلك . اصبحت القصص واسلوب عرضها وطريقة السيناريو المكتوب فيه واضحة فى كتابات بعض ابناء الخليج الذين يكتبون القصة او المسلســـلات التليفزيونية .. حيث يتضح ذلك التاثير فى الميلودرامات الرخيصة ، والبناء الدرامى المرتجل . وتاثير المسلسلات التليفزيونية يذهب بعيداً أكثر من ذلك عندما اثر ويؤثر على نمط تصرفنا وسلوكنا ولغة احاديثنا اليومية .. بل على طريقة افكارنا وطريقة إتخاذ القرار،وهذا التاثير يتضح فى اى حوار يحدث بين افراد العائلة الواحدة ، او بين الزوج وزوجته ، مباشرة او من خلال التليفون .. يتصرفون تقليدياً بما شاهدوه فى مسلسلات سابقة بل يكاد الامر يذهب إلى استحضار بعض العبارات من حوار مشهد درامى تليفزيونى . وبالطبع هذا التاثير الدرامى للمسلسلات التليفزيونية يرجع لعدة اسباب سنكتفى بالحديث عن إحداهـا وهى الطريقة التى تكتب بها هذه المسلسلات .

والمشكلة تبدأ من البداية حيث أن تليفزيونات المنطقة وتحت ضغط الساعات الطويلة للارسال التليفزيونى اليومي ، ولعدم وجود متخصصين بشكل جيد على قائمة المراقبات الدرامية . ولو كان هناك متخصصون فان الخطة الدرامية غائبة .. تحت هذه المسببات وغيرها اصبحت تليفزيونات المنطقة كالوحش الجائع او الشره ، الذى يبتلع كل ما تقـع عليه يداه فاختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين . هذه الفرصة الذهبية اغتنمتها شركات إنتاج قامت اساساً بالصدفة ومن اجل الاثراء السريع على حســـاب أمة نامية بغض النظر عن قيمة الانتاج الذى يقدمونه وبعيداً عن المبادىء والمثل والقيم الانسانية بل وبعيداً عن الشعور بالوطنية وبالمسئولية نحو المساهمة فى بناء هذا المجتمع وتوجيهه التوجه السليم .

إذن ساهمت ضغوط ساعات الارسال اليومية الطويلة ، وقيام اصحاب المنافع الخاصة بالسيطرة على قطاع الانتاج الدرامى فى انتشار مسلسلات رخيصـــة ورديئة جداً من ناحية الموضوع الذى تطرحه ، او من ناحية البناء الدرامى ، او طريقة طرح ذلك الموضوع . واصبح تقييم هذه الأعمال فى تليفزيونات المنطقة على حساب الساعة الواحدة بغض النظر عن محتوى هذه الساعة ونوعية العمل المقدم من خلالها .. بمعنى آخر اصبح الحســـاب هو الكم على حساب النوع .. ولقد اثر هذا التقييم الزمنى على طريقة وبناء وطرح الموضوعات الدرامية وعملية اختيار هذه الموضوعات .. فما دام التقييم مرهوناً بزمن ومدة العرض فهذا لا يمنع من وجهة نظر المنتجين من حشو هذه الساعة بمحاورات ساذجة وايقاع بطيء للعمل ، وتعبئة الموقف الواحد بمواقف فرعية لا تخدم الموقف الاصلى .. وتحريك بطيء للكاميرا ، وتحريك ابطأ لتطور الاحداث او الفعل الدرامى ، واختيار مقدمات طويلة لاسماء الممثلين والفنيين ، مع خلفية لمقدمة غنائية طويلة جداً ، وفى هذا المناخ من الفبركة والافتعال الدرامى يضيع الموضوع الاصلى إذا كان هناك موضوع اصلا ، وتحت ضغط حشو هذه الساعة الدرامية يضطر المؤلف ـ إذا كان هناك مؤلف اصلا ـ إلى اختيار الفاظ ومحاورات ساذجة ، ومواقف ساذجة ورخيصـــة ، تؤثر بالتـــالى على سلوك وتصرف وتفكير المشاهد الخليجى الذى يتصور وبشكل مقدس ونهائى بان كل ما يعرض وما يقال على شاشة التليفزيون هو الحق بعينه .. وتؤثر هذه الطريقة الابداعية الجديدة على اسلوب الكتابة للجيل الجديد من شباب الخليج الطامح فى الكتابة للتليفزيون ، وبهذا تتكرر المأساة التى سوف تمتد إلى المستقبل إذا لم نوقفها ونواجهها .

إذن المطلوب اولا التزام فنى من قبل هؤلاء المنتجين ... ولا اقول التزام اخلاقى او التزام سياسى .. الالتزام الفنى هو المقدمة الأولى لبقية الالتزامات . فاذا عجزنا عن تحقيق ابسط الالتزامات وهو الالتزام الفنى فانه من المستحيل تحقيق بقية الالتزامات الأخرى .

وحتى نصل إلى تحقيق ما يســـمى بالالتزام الفنى فاننى ارى من القائمين على مسئولية الاقسام الدرامية فى تليفزيونات الخليج اتباع التالى :

- إلغاء نظام التقييم بالســـاعات

ومحاولة ايجاد نظام آخر للتقييم يقوم على فرز ما هو جيد ، وما هو مضر ، وذلك باستقطاب ابناء المنطقة والمختصين فى مجالات الدراما القادرين على التمييز بين السيىء والحسن من المسلسلات الدرامية .

● أن تقوم اجهزة اعلامية خليجية كالانتاج البرامجي المشترك وتليفزيون الخليج بتحمل عبء الانتاج الدرامي وتحت اشرافها المباشر .

● أن نقوم من الآن وبواسطة المؤسسات العلمية كالجامعات مثلا أو مراكز التدريب بطرح مواد علمية لتدريب وتاهيل كتاب دراما خليجيين على اساس علمى وموضوعى وإرسالهم فى دورات خارجية إلى الدول التى سبقتنا فى هذا المجال .

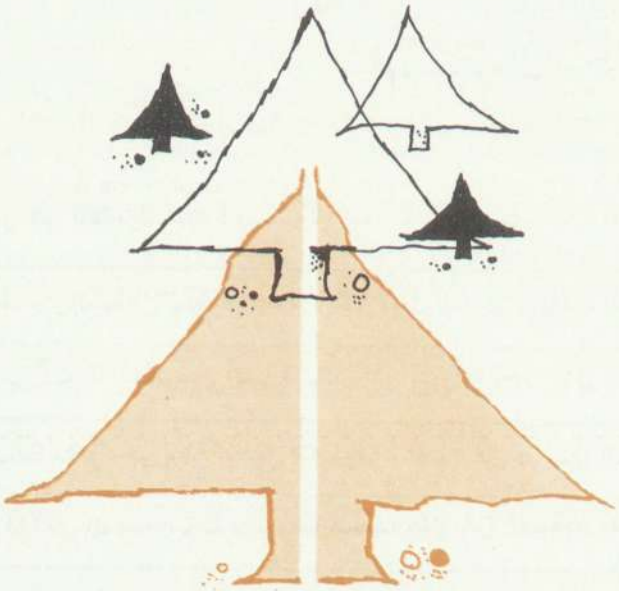
● أن يقوم نوع من التنسيق بين تليفزيونات المنطقة مشتركة فى مواجهة الشركات الانتاجية الغير ملتزمة ووضع قوائم مقاطعة لها يلتزم بها الجميع مع تشجيع الشركات الانتاجية الملتزمة فنياً واجتماعياً ووضع قوائم شرف لها وتشجيعها معنوياً ومادياً .

● أن تقوم اجهزة التليفزيون نفسها بانتاج مسلسلات خاصة بها .. هذا الإنتاج يجب أن يكون محلياً من خلال ورشة عمل درامية داخل التليفزيون تبدأ من تاليف النص حتى يصل إلى المشاهد ، وتحت الاشراف والمتابعة المباشرة من إدارات التليفزيون .

بهذه التصورات وبغيرها تستطيع التليفزيونات فى منطقة الخليج أن تلعب دوراً ثقافياً هاماً وحقيقياً داخل المجتمع الخليجى .. دورامازالت المؤسسات العلمية الأخرى عاجزة بعض الشىء عن تحقيقه . وهذا أيضاً سوف يؤكد دور التليفزيون كجامعة شعبية مفتوحة للجميع ، ومن اولى صفات الجامعة الالتزام .. فهل سيتحقق ..؟! .

لبنان

شعر: إبراهيم العريّض



لَبْنَانُ يَا بُقْعَةً أَقَامَتْ ... للثلجِ عَهْداً مِنَ الجِنَانِ
تُطِلُّ مِنْهَا عَلَى البَوادِي ... جِبَالُهَا ، والفَضَاءُ حَانِ
لم يحتَفِزْ كابْنِهَا انْفِتَاحٌ ... حتَّى تَرَامَتْ بِهِ المَوَانِى
يَجْمَعُ شَمْلَ ذَاتِهِ ، فِى ... إطَارِ مَنْ ضَاقَ بِالْمَكَانِ
وَعَاشَهَا غُرْبَةً بِقَلْبٍ ... يَخْفِقُ لِلأَهْلِ وَالْمَغَانِى
كَانَ كإِطْلالَةٍ مِنَ الْغَرْ ... بِ تَكْشِفُ الشَّرْقَ للعَيَانِ
وَجَالَ يَسْعَى للرِّزْقِ دَهْراً ... فَعَادَ يَسْعَى للإِحْتِضَانِ
يَنْتَظِمُ الحَىَّ كَلَّهُم لِلـ ... ـنَّاقُوسِ فى الحَىِّ والأَذَانِ
مَزَّقَ أَهْلُوكِ يا صَحَارَى ... مَا عَاشَ يَبْنِيهِ مِنْ كَيَانِ

قِراءَة القُرآن ولهجة أولاد البلد

بقلم : كمال النجمي

أعيش فى القاهرة منذ خمسة وأربعين عاماً تقريباً ..

حينما قدمت إليها من صعيد مصر الأعلى قبيل الحرب العالمية الثانية

أثارت انتباهى لهجة القاهريين التى تختلف عن لهجتنا نحن أهل الصعيد

الأعلى « محافظة قنا » فى نطق بعض الحروف ، فضلا عن جرسها الصوتى

الذى يجعل لها فى السمع رنيناً موسيقياً خاصاً كان أهل الصعيد يفتتنون

بعذوبته ، ومازال لهذا الترنيم الصوتى وقع خاص فى أسماع كل من ينطق

العربية ولهجاتها العامية ، من المحيط إلى الخليج ! ..

... وخلال الحرب العالمية الثانيـــة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وفد على القاهرة مليون عامل من الصعيد والوجه البحرى ، تختلف لهجاتهم عن لهجة القاهرة ، كثيراً أو قليلا .. وحاولوا أن يتاقلموا فى القاهرة ، فتكلموا اللهجة القاهرية بلكنة صـــــعيدية ، أو « فلاحية » ـ أى من الوجه البحرى ـ وبقيت السنتهم ترتضخ لكناتهم الأصلية ، فى لهجتهم القاهرية المستعارة ... دالة عليهم بغير خفاء ! ..

وفيما يخصنى .. فانى بعد سنوات من الانغماس فى أحياء القاهرة الشعبية وغير الشعبية ، فى صحبة شداة الشعر والأدب الناشئين حينذاك ، استطعت أن أتبين الفروق بين لهجات الأحياء والطبقات القاهرية المتنوعة ، وربطت بين هذه الفروق وبين تاريخ التكوين السكانى والاجتماعى للقاهريين الذين لم يتح لهم أن يكونوا جماعة ثابتة طوال الف سنة ، منـــذ أنشأ « جوهر الصقلى » القاهرة معسكراً للخليفة الفاطمى وجنوده .. فلبث تكوينها السكانى يختلف من دولة إلى دولة ، ومن عصر إلى عصر .. يفد إليها العسكر الغالبون ، ويخرج منها المغلوبون ، ويأوى إليهـــا المهاجرون ، ويفارقها الباحثون عن حظوظهم فى أرض الله الواسعة ، ويستريح فيها الحجاج فتعجب بعضهم فلا يفارقها ، ويلم بها العلماء والتجار والمغامرون ، ويجيء اليها الناس من أقصى أرض الاسلام شرقاً وغرباً ..

فاذا قرأت تاريخ القاهرة . الفيته تاريخ مصر العربية الاسلامية ، و « من لم ير مصر لم ير عز الاسلام » ! .. هكذا قالوا قديما .. وكان المؤرخ ابن تغرى بردى موفقاً حين أطلق على تاريخه هذا الاسم المسجوع : « النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة » .. كأنما كانت القاهرة عنده هى نصف مصر ! .. وكان الناس قبله وبعده يسمونها « مصر القاهرة » .. وهم موفقون فى هذه التسمية أيضاً .. وتاريخ ملوك مصر وملوك القاهرة هو عنوان التاريخ المصرى ولكنه كل التاريخ ..

وعندما استقرت الكيانات القومية فى النظام الدولى العالمى خلال القرن التاسع عشر ، وتم تجديد المعنى القانونى الدقيق لكلمة « الوطن » و « الدولة » .. انصهرت فى القاهرة ـ منذ عهد محمد على باشا الكبير ـ جميع سلالات الهجرات المستقرة فى القاهرة من جميع انحاء بلاد الاسلام والعرب وغيرها .. فسكان القاهرة هم احفاد كل هذه السلالات ..

وخلال مائة سنة تقريباً بعد عهد محمد علي الكبير ، تلاشى من القاهرة الكلام التركى والجركسى ، وسادت اللهجات



جامع الأزهر .. يرجع إليه وإلى رجاله الفضل فى توحيد لهجات القاهرة الشعبية والقاهرة غير الشعبيـــة على مر الزمـــان

المحلية المتفرعة من اللغة العربية ، ولكن التباين بين الطبقات ، والاختلاف بين مناطق المدينة وصناعات أهلها ومعايشهم واصولهم البعيدة ، جعل لكل حى تقريباً جرساً خاصاً من النطق والكلام . وكانت اللهجة المسماة حتى الآن باللهجـــــة « البلدية » هى أبرز لهجات القاهرة ، وإن لم يكن أرقها وألطفها رنيناً ، فهذه اللهجة هى لهجة غالبية سكان القاهرة الذين يسمون « أولاد البلد » .. وهم المقابل الطبقى لمن كانوا يسمون « أولاد الناس » .. فان أولاد البلد استوطنوا القاهرة منحدرين من سلالات شعبية : فلاحين ، وعمال ، وضائعين فى أزقة المدينة ، يجرى فى عروقهم دم عربى ومصرى قديم ودماء أخرى كثيرة .. أما « أولاد الناس » فهم سلالات السلاطين والأمراء والمماليك التركمان والجركس الذين اضطرتهم الدنيا اضطراراً ـ بعد زوال سلطانهم ـ إلى الاختلاط ببقية سكان القاهرة ، ثم الاندماج فيهم ، حتى ضاعت آثارهم ..

ثم نسي الجميع معنى اصطلاح « أولاد الناس » وصاروا يطلقونه جزافاً على كل ابناء الأسر الميسورة أو المستورة الحال ، ومازال هذا المعنى قائماً إلى يومنا هذا ..

وقرأت أنه قبل أن يتم شق الشوارع الفسيحة فى القاهرة وانتظام المواصلات بين أحيائها فى عهد الخديو اسماعيل ـ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً ـ كانت اللهجات متنوعة بين الأحياء الشعبية ، ففى حى « بولاق » تعبيرات لا تقال فى حى « الجمالية » مثلا .. وفى «الحسينية » اصطلاحات لا يعرفها حى « مصر القديمة » .. وفى حى « السيدة زينب » وحى « الحســـين » تعبيرات واصطلاحات أخرى ... وهكذا ..

واعتذر إليك ـ عزيزى القارىء ـ فليس هذا بحثاً فى التاريخ ولا فى التكوينات السكانية .. ولا فى اللغة واللهجات ! ..

ثم نواصل ما كنا فيه ..

بين لهجتى ولهجاتهم

● فى أواخر الثلاثينات أخذت أنـا الفتى القادم من صعيد مصر ، المولع باللغة العربية ولهجاتها ، أقارن بين لهجتى ولهجات سكان القاهرة وقد صاروا كتلة شعبية واحدة متماسكة فى مدينتهم الجميلة الخاصة بهم وان كانت عاصمة لمصر كلها ، مفتوحة للزوار ليلا ونهاراً وهم يومئذ أقل عدداً من نزلاء فندق كبير واحد الآن ، فى المدينة الهائلة التى يسمونهـــا « القاهرة الكبرى » ..

وبدا لى أن لهجة « الســـــيدة » و « الحسين » و « الأزهر » و « الغورية » و « الجمالية » و « القلعة » و « الحسينية » و « زين العابدين » و « مصر العتيقة » ، تحمل آثاراً واضحة جداً ذات دلالة دينية وتاريخية وقومية عميقة .. فما هى تلك الآثار ؟! ..

ـ إنها آثار القراءات القرآنية السبع ، بل العشر التى كان قراء القرآن الكريم فى الأزهر يملأون بها جو هذه الأحياء منذ انشىء الجامع الأزهر قبل ألف سنة .. أو ـ على الأقل ـ منذ أعاده السلطان المجاهد الظاهر بيبرس إلى دوره الدينى الكبير ، بعد أن هزم التتار وأعاد الخلافة العباسية قائمة فى مصر ، بعد سقوطها فى بغداد ..

فهذه الأحياء نشأت وتراكمت تدريجياً حول الجامع الأزهر ، ومنه تعلم سكانها على اختلاف البلدان التى قدموا منها ، كيف ينطقون العربية ، لا باللهجات المحلية المتضاربة التى جاءوا بها من المشرق والمغرب ، ولكن بالقراءات الصحيحة للقرآن الكريم كما سمعوها وتشبعت بها أسماعهم لادمانهم سماعها من علماء الأزهر وقرائه وطلابه ومجاوريه ليلا ونهاراً ..

وإلى الأزهر ورجاله هؤلاء ، يرجـــع الفضل فى توحيد لهجات القاهرة الشعبية والقاهرة غير الشعبية على مر الزمان .. مع قيام الطابع الخاص للهجات الأحياء المحيطة بالأزهر ، اللائذة به وبما ينطلق من ألسنة شيوخه المبجلين ! ..

إن مفردات اللهجات العامية لا تختلف إلا قليلا من مكان إلى مكان فى مصر كلها .. ولكن طريقة الكلام ولهجته اختلفت بين أبناء الوطن الواحد من الاسكندرية إلى أسوان ، لأسباب متفرقة ولكنها تجتمع لتعمل عملا واحداً ، ومن أقوى هذه

قراءة القرآن ولهجة أولاد البلد

الأسباب اختلاف لهجات بطون القبائل العربية التى نزلت بأنحاء مصر شمالا وجنوبا ..

بعض هذه القبائل احتفظ بقاموس اللغة الفصيحة كاملا تقريبا ، ولم يفقد إلا « النحو » وبعض الصرف ، وان بقي من النحو أثر واضح فى طرائق تعبيرهم ، وذلك لصحة تصريف كلماتهم واشتقاقها .. فتراهم يلحنون وكأنهم لا يلحنون ، لسلامة أصول كلماتهم وتعبيراتهم ..

ولم يلبث المواطنون الذين نزلت هذه القبائل بينهم أن تكلموا بلغتها فصاروا مثلها ، بل صاروا منها وصارت منهم لا فرق بينهم وبينها ، وبخاصة بعد أن ربط الاسلام بين غالبية الناس ..

ولا أذكر أنى سمعت فى قريتى بالصعيد كلمة غير عربية ، إلا بضعة عشر لفظا فى مصطلحات الحياة اليومية ، من مخلفات العهد العثمانى ..

ومن ذكريات صباى ، أنى رأيت والدى ـ رحمه الله ـ ينظم قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، فتوقف عند كلمة « العاقول » وقال لأخيه وكان شاعرا أيضا :

ـ أتظن أن نبات « العاقول » الشائك الذى تأكله الابل على مقربة من بيوتنا ، مذكور فى المعاجم ؟!

قال عمى :

ـ لابد أنه مذكور فيها لأن جميع كلامنا عربى ، ولكن .. هل كانت العرب تسميه « العاقول » أو « العقول » كما ينطقه أهلنا الآن بدون مد العين ؟! ..

قال والدى :

ـ أرجو أن يكون اسمه « العاقول » لأن وزن قصيدتى لا يستقيم إلا بذلك ! ..

وكان ـ رحمه الله ـ ينظم قصيدته هذه من بحر « الكامل » ومطلعها :

ذكر المقام وحجر اسماعيلا
فبكى وهل يشفى البكاء غليلا ؟!

والبيت الذى فيه تلك الكلمة :

لا يعرف السلطان ممن دونه
إلا سوائم تخضم العاقولا

وقد وجد فى القاموس أن « العاقول » هو نبت شوك ترعاه الابل ، تماما كما هو فى لغة عامة أهلنا الفصحاء ، إلا أنهم ينطقون العين فى هذه الكلمة خطفا بغير مد ! ..



الشيخ سيد درويش .. التزام بأصول المقام مع نطق سليم

تراث لغوى واحد

لاشك أن اللجهات بين القاهرة والاسكندرية .. إلى أسوان ، يجمعها تراث لغوى واحد يتمتع بثبات هائل ، لا يمكن اقتلاعه من جذوره ، ولا حتى تقليمه من فروعه على النحو الذى يحلم به بعضهم ممن ينسجون على منوال غلاة المبشرين الأجانب الكارهين لأمتنا ولغتنا ..

ولكن لكل منطقة عندنا وضعا خاصا بلهجتها ، صنعته عوامل كثيرة من التاريخ الطويل ..

وفى منطقة « القاهرة » ارتبط تكوين لهجات القاهرة بالأثر الدينى العميق للأزهر وعلمائه وطلبته فى سكان الأحياء المحيطة بالأزهر ، ثم فيمن يليهم ..

وقد تأملت طويلا الاسطوانات القديمة للمغنين والمنشدين القاهريين ، وأكثرهم تعلموا فى الأزهر وحفظوا القرآن ، فوجدتهم ينطقون الحروف كما ينطقها قراء القرآن الكريم .. ومخارجهم اللفظية تختلف قليلا عند الغناء عن مخارج الألفاظ عند القراء ، وحتى الحروف التى تغيرت فى اللهجة العامية كحرف الجيم وحرف القاف احتفظت فى اللهجة القاهرية بجرسها الأصلى تقريبا ..

وكنت مرة أتحدث مع الموسيقار محمد عبد الوهاب عن قصيدة شوقى « يا جارة الوادى » التى غناها عبد الوهاب قبل خمسين عاما ، فسألنى عما لفت نظرى فيها فأجبته إن أهم ما لفتنى بعد جمال الصوت والتلحين والشعر ، طريقة نطقه ، وبخاصة نطقه لحرف « الراء » فانه ينطقه كالقراء الحريصين على القراءة بطريقة « ورش » .. وكان ورش ـ رحمه الله ـ من أصل مصرى معروف ، وهو من أشهر أصحاب القراءات السبع أو العشر ..

فحين غنى عبد الوهاب قصيدة « يا جارة الوادى » فى آخر العشرينات كان نطقه هو « ابن البلد » المصرى .. وكانت لهجته هى لهجة « باب الشعرية » التى ولد فيها ونشأ وتعلم الغناء .. لهذا كان نطقه لحرف « الراء » فى هذه القصيدة نطقا سليما كأنه نطق « المقرئين » مع أنه فى غنائه ملتزم بأصول المقام الذى يغنى فيه كل الالتزام ، وقد لعب بالراء فى قول شوقى : « ولقد مررت على الرياض بربوة » ولكن هذا اللعب الغنائى لم يفسد نطقه لحرف الراء على أصله الذى انتقل إليه من شيوخه الأزهريين ! ..

كذلك كان يفعل فى الغناء جميع معاصرى عبد الوهاب ومن كان قبله أمثال سيد درويش ، وسلامة حجازى ، ومحمد العجوز ، ويوسف المنيلاوى ، وعبده الحمولى وغيرهم .. دعك ممن كانوا مشايخ كأبى العلا محمد ، واسماعيل سكر ، وعلي محمود مثلا ..

بل كانت منيرة المهدية وطبقتها من المغنيات ينطقن كذلك ، وهن من أشباه الأميات ، وإنما أتيح لهن ذلك لأنه من لهجتهن التى طبعن عليها ..

هؤلاء المغنون والمغنيات نماذج قليلة جدا ذكرناها لشهرتها ، ولكنا نقصد عموم القاهريين فى تلك الأيام ، وهم كل سكان

الأحياء الشعبية ومن تحدروا من أصلاب أهلها ..

فهؤلاء كان الأزهر ملهمهم فى النطق ـ نقصد نطقهم لهجتهم العامية لا الفصيحة فقط ـ ولكن هذا النطق لم يكن وحده النطق الصحيح ، وإنما أفضنا فى الحديث عنه ، للمعنى التاريخى المتعدد الجوانب فيه ، ولبيان أثر الأزهر فى شعب القاهرة .. حتى فى نطق الحروف ..

إن أم كلثوم المشهود لها من الجميع بالفصاحة التامة فى العربية والعامية لم تكن من مدرسة الأزهر فى النطق ، لأنها لم تكن قاهرية ، وانما هى من « الدقهلية » البعيدة عن الأزهر ..

وكانت أم كلثوم ـ لهذا السبب ولأسباب أخرى تتعلق بعبقريتها التى لا تتكرر ـ أول من خرج فى الغناء المصرى المعاصر بالقاهرة عن لهجة الأحياء الشعبية القاهرية الأزهرية الأصل .. إلى لهجة الأحياء القاهرية التى كان يسكنها السراة والأعيان ويقل فيها تأثير النطق الأزهرى ، مع أن أم كلثوم نشأت فى بيئة تتلو القرآن وتحترف إنشاد القصائد الدينية ، ولكن بيئة الأزهر ذات الأثر الهائل ، كانت شيئاً آخر لم تعرفه أم كلثوم ، وقد أحدث هذا انقلاباً فى نطق المغنين والمغنيات تأثراً بأم كلثوم ، وساعد على ذلك « انقلاب » المجتمع نفسه من عصر إلى عصر ..

والواقع أن اختلاط نطق القراء بنطق أولاد البلد القاهريين ، قد تداخل فى أحاديث حياتهم اليومية ، وامتزجت طرائق النطق بغير نظام ثابت ، مما أحدث بعض التشويه فى لهجات هؤلاء المواطنين ، ولهذا استعمل مخرجو المسرح والسينما منذ بدايتهما فى مصر هذه اللهجات لتجسيم شخصية « ابن البلد » تجسيما كاريكاتيرياً .. ومازال المخرجون يفعلون ذلك فى السينما والتليفزيون والاذاعة والمسرح ..

فى الماضى كان أولاد البلد يذهبون إلى الجامع الأزهر للشكوى من الولاة العثمانيين وعسكرهم ، ويدور الحوار بين المشايخ بلهجتهم التى تركت فيها تلاوة القرآن الكريم أثراً واضحاً ، وبين أولاد البلد الذين تأثرت لهجتهم العامية ـ وهم أميون ـ بلهجة المشايخ العلماء .

وكان الولاة يلجأون أحياناً للمشايخ لتهدئة أولاد البلد حين ينتفضون ويغلقون حوانيتهم ويقيمون المتاريس فى الحارات والأزقة ..

وذلك كله أعطى لهجة أولاد البلد ما أعطاها من تميزها على مر الأيام ، بما يشوب هذا التميز من خشونة فى ناحية وظرف ورقة فى ناحية أخرى .. وصحة نطق فى نواح كثيرة ، وخطأ فى بعض النواحى

ثم استدارت الدنيا ، وأظلتنا مرحلة جديدة من التاريخ ، وهبط إلى القاهرة ملايين المواطنين من أقاليم مصر ، حتى صار سكان القاهرة الأصليين أقلية فيها ، والأغلبية من القادمين إليها من الأقاليم .. وهذه هى القاهرة الكبرى الآن ..

فلما تسمع الآن لهجة أولاد البلد على « أصولها » ، فان لهجة القاهرة تصنعها يوماً بعد يوم نتائج الاختلاط بين عشرة ملايين اجتمعوا فيها من أنحاء مصر .. والنطق فى قاهرة الملايين العشرة يتأثر سريعاً باللهجات التى يسمعونها من الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح .. فهذه الأجهزة تطبخ الآن لهجة جديدة مشتركة لسكان القاهرة ، بل لسكان مصر جميعاً ..

والناس يسمعون القراء من الاذاعة والتليفزيون فلا يتأثرون بمخارج حروفهم كما كان الأجداد يتأثرون ، لأن الصلة كانت قديماً صلة حياة هؤلاء بحياة هؤلاء ، وليست مجرد صلة قارىء بمستمع ينتظر الفقرة التالية من برامج الاذاعة او التليفزيون ! ..

وهذا ما استحدث للناس عادات لغوية جديدة متحركة غير ثابتة ، تكاد تتغير كل بضع سنوات ، وكانت فى الماضى ذات ثبات عظيم ! ..

● ●

ساورتنى هذه الخواطر وأنا أجول على قدمى فى الزحام ، من « الغورية » إلى « الأزهر » إلى « الحسين » إلى «الجمالية» إلى « الحسينية » ، عائداً بعد الجهد إلى « السيدة زينب » ، ماضياً إلى « القلعة » ، حيث استرحت قليلا فى ظل مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، تلك المدرسة ذات الروعة الفائقة .. والمسجد الجامع النادر المثال ..

تذكرت صلة أولاد البلد بمشايخ الأزهر القدماء الذين كانوا يتلقنون منهم مبادىء النطق ، ولو بغير علم ولا هدى ! ..

كانت صلة بالغة القوة والعمق فى كل حال ، وعلى تقلبات الدول والأيام ! ..

« فى حوادث سنة ١٧٩٠ كثر اعتداء أحمد أغا الوالى على أهل « الحسينية » من حبس وضرب ونهب ، فثاروا وأغلقوا الدكاكين والأسواق ، وذهبت منهم طائفة كبيرة إلى الجامع الأزهر ، وصعدوا المنارات وهم يصرخون ، وأبطلوا الدروس ، فطمأنهم الشيخ العروسى شيخ الجامع . وبعد مباحثات ومراسلات ، ركب المشايخ إلى بيت البكرى وحضر هناك اسماعيل بك والتزم بعزل الوالى ، وانتهى الأمر بعزله ونزل الوالى الجديد من الديوان إلى الأزهر وقابل المشايخ واسترضاهم » ! ..

وتوالت الذكريات على خاطرى كما سجلها الجبرتى فى تاريخه :

« فى سنة ١٨٠٥ حضر أهالى مصر القديمة إلى الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الجند الدالاتية واعتداءاتهم ، حيث احتلوا دورهم ونهبوها وسبوا نساءهم ، فركب المشايخ إلى الباشا وخاطبوه فى الأمر ، فكتب فرمانا بخطه للدالاتية بالخروج من بيوت الناس والكف عن الاعتداء ، فلم يمتثلوا ، فغضب المشايخ وتركوا الجامع وأوقفوا الدراسة ولزموا بيوتهم وأقفل غالب الأسواق ، ولما تفاقم عدوان الدالاتية فى القاهرة والأقاليم القريبة واشتدت الأزمة ، طلب الباشا القضاة والعلماء فأبوا الذهاب إليه ، ثم ساروا بصحبة السيد عمر مكرم إلى محمد علي وطلبوا منه أن يقبل الولاية » ! ..

وقبل محمد على الولاية ! ..

ومنذ ذلك الحين انطلقت عوامل التاريخ تعمل عملها فى لهجة القاهرة ولهجات مصر كلها .. ولم تكن اللهجات هى التى تتغير ، بل كان الزمان ، ولكن أين يمضى التغير بالانسان ؟ ! ..

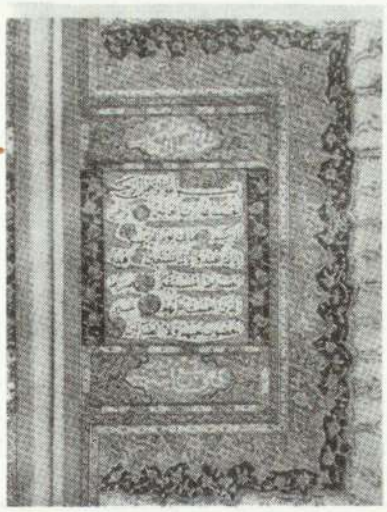
كمال النجمى



لم كلثوم .. لم تكن من مدرسة الأزهر فى النطق !



محمد عبد الوهاب .. كانت لهجته هى لهجة « باب الشعرية » !



بقلم : الدكتور محمد البهي

الغارمون

● جاء مفهوم الغارمين – فى القرآن الكريم – فى مصارف الزكاة : فى قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » (التوبة : ٦٠) .

وفى عد الغارمين – وهو جمع غارم – ضمن من تصرف اليهم الزكاة : ما يفيد ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أنهم افتقروا فاصبحوا فى حاجة إلى المال ، فجعلوا ممن يعوضون من الزكاة .

الأمر الثاني : انهم غرموا من أموالهم فى خير عام ، والا لما كانوا من بين المستحقين للزكاة .

الأمر الثالث : ان غرمهم من أموالهم فى سبيل الخير العام كان بارادتهم ، والزامهم هم : أنفسهم ، والا لتحمل غرمهم : من كان سبباً فيه .

فالغارمون هم فريق من المؤمنين يسعى بينهم بالصلح ، ويسد الثغرات التى تفتحها الخلافات والخصومات . وفى سعيهم بين المؤمنين قد يتحملون غرماً ، اى ديناً من مالهم الخاص ، لعلاج هذه الخلافات والخصومات : كأن يتحملوا دية قتيل .. أو حقاً لأحد الطرفين على الآخر . وبسبب تحملهم هذا الدين قد يصبحون من ذوى الحاجة . ولأنهم تدخلوا بما يرفع الشقاق بين المؤمنين ، ويعيد الترابط والمودة على أساس من الايمان بالله : كانت الجهة التى تغطى حاجتهم فى نظر القرآن : هى بيت المال . والزكاة هى الرافد فى تكوينه .

ونصت آية الزكاة على الغارمين – كما نصت على بقية المستحقين لها – حتى لا يقع تغيير فى مصارف الزكاة . وبذلك يبقى الحافز لأصحاب الهمم العالية من جانب ، والأثرياء من جانب آخر ، على التدخل بين المؤمنين لازالة ما يقع من سوء بينهم ، ولو كان هذا التدخل على حساب أموالهم .

وفى هذا المعنى ما يروى عن رجل جاء يسأل النبى عليه الصلاة والسلام من الصدقة . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يرض بحكم نبى ، ولا غيره فى الصدقات ، حتى حكم فيها هو ، فجزأها ثمانية أجزاء . فان كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك » .

● وينقل حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد ثلاثة أنواع من أصحاب الحاجة يأخذون من الزكاة . ولكن من بينهم نوع واحد ، وهو نوع الغارمين : يأخذ كل ما تحمل من دين . أما النوعان الآخران فيأخذ كل منهما ما يسد حاجته . يروى عنه عليه السلام قوله : « ان المسألة (اى السؤال) لا تحل الا لأحد ثلاثة :

« رجل تحمل حمالة (اى تحمل ديناً فى سبيل الآخرين من الأمة) فحلت له المسالة حتى يصيبها (اى حتى يحصل على ما تحمله) ثم يمسك » .

« ورجل اصابته جائحة (اى كارثة : كسيل .. أو نار .. او جفاف .. او زلزال .. أو عواصف) فاجتاحت ماله (اى هلكته) فحلت له المسالة حتى يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش (أى ما يقيم به نفسه ويسد به حاجته) .

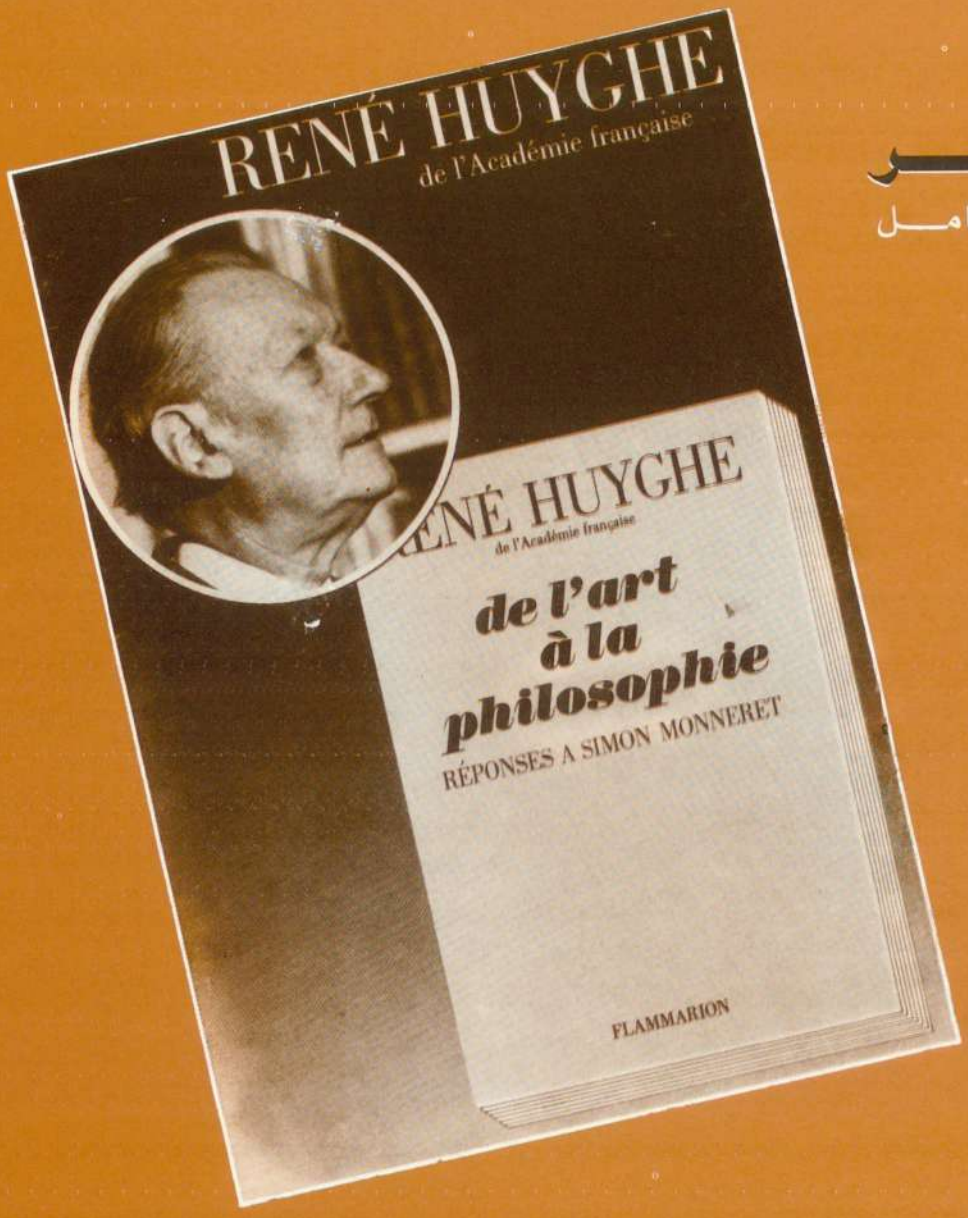
« ورجل اصابته فاقة (اى فقر شديد بعد غنى ويسار ، ولكن فى غير العبث والفساد) حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا (اى من العقلاء) من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسالة ، حتى يصيب قواماً ، أو سداداً من عيش » .. وهنا الزكاة اذا قامت بدور « التعويض » للأول .. فانها تقوم بدور التامين للثانى .. وبدور الضمان الجماعى للثالث .

والغارمون اذن عندما ينص عليهم فى مصارف الزكاة : ينص عليهم تقديراً لعملهم وهممهم العالية .. وتذكيراً لبقية المؤمنين فى المجتمع بأن واجب التكافل يقضى برعاية هؤلاء : اذ هم قدوة طيبة : فى ايمانهم ، وفى تطبيقهم هذا الايمان فى حياتهم مع غيرهم .

واذا كان الغارمون يغطى غرمهم أو دينهم من الزكاة : فاجرهم بعد ذلك على ما قاموا به من عمل خير فى سبيل أمتهم ، هو عند الله وحده . اذ هؤلاء لا يرون ما ينفقونه : مغرماً . ولكن يرونه قربى الى الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم . ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، وصلوات الرسول ، الا : انها قربة لهم ، سيدخلهم الله فى رحمته ، ان الله غفور رحيم » (التوبة : ٩٨/٩٩) .

كتاب الشهر

عرض وتحليل : فؤاد كامل



غلاف كتاب فن الفلسفة وهو حوار تم عبر لقاءات متصلة ومراسلات طويلة بين المفكر الياباني والمفكر الفرنسي

الليل ينادي الفجر

أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة



ديساكو اكيدا مفكر ياباني ينتمي إلى الشرق



رينيه ويج مفكر فرنسي ينتمي إلى اقصى الغرب

نبتت فكرة هذا الكتاب الفريد في ذهن المفكر الياباني ديساكو اكيدا رئيس جمعية « سوكاي جاكاي » الدولية . وهي جمعية معنية بنشر العقائد البوذية وتعاليمها في أنحاء العالم ، وتضم ثلاثة عشر مليوناً من الأعضاء ، منهم مليون في العالم الغربي . وقد أسس الرئيس إيكيدا جامعة في اليابان ، وعديداً من المدارس العليا ، كما أنشأ متحفاً شهيراً للفن هو متحف فوجي ، ونشر مجموعة كبيرة من المؤلفات ، وأتاحت له لقاءاته المتعددة مع كثير من الشخصيات العالمية الشهيرة أن يحتل مكانة خاصة في العالم الغربي .

هؤلاء هم العظام الذين تحدث معهم المفكر الياباني



هنرى كيسنجر



أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة

أما المتحاور الغربى فهو المفكر الفرنسى رينيه ويج عضو الأكاديمية الفرنسية ، والأستاذ بالكوليج دى فرانس ، ورئيس المجلس الفنى للمتاحف القومية فى فرنسا . وقد القى محاضرات عديدة فى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وفى اليابان . وترجمت مؤلفاته إلى أكثر من اثنتى عشرة لغة ، وأهمها : « حوار مع المرئى » و « الفن والنفس » و « الأشكال والقوى » . وهى مؤلفات يعاد طبعها عاما إثر عام . وجاء فى براءة « جائزة إراسموس » التى منحتها له هولندا بمدينة لاهاى سنة ١٩٦٦ انه « خدم الحضارة الأوروبية على نحو استثنائى » .

وفى لقاءات متصلة فى فرنسا واليابان ، وخلال مراسلات طويلة الأمد ، امتد الحوار بين المفكر اليابانى الذى ينتمى إلى أقصى الشرق ، والمفكر الفرنسى الذى ينتمى إلى أقصى الغرب حول طبيعة الأزمة المعاصرة وجذورها العميقة . ولكنهما لم يتجاهلا فى هذا الحوار آمال الشعوب العريضة ، كما ينبىء بذلك العنوان الذى اتخذاه لتلك المحاورات : وهى محاورات مكثفة ، واسعة الأفق ، منهجية التناول ، شاملة المضمون ، بحيث لا يستطيع أن يتجاهلها إنسان يهتم بحاضرنا المعاصر ومستقبلنا القريب .

وفى هذه اللحظة التى تتجه فيها « مدنيتنا » إلى أن تصبح « عالمية » ، لا يستطيع إلا حوار على هذا الشكل أن يحدد الأسس التى سيتمكن بها الحاضر الذى نعيشه من استخلاص المستقبل الذى نتطلع إليه .

ذلك اننا مضطرون ـ نظرا لاتساع المشكلات التى تواجهها الانسانية فى العصر الحاضر ، واشتباك العلاقات الدولية وانتشار وسائل الاعلام الحديثة وغيرها من المخترعات إلى أن « نفكر فى العالم ككل » ، وهذا شىء جديد لم يحدث للانسانية فى تاريخها الطويل ، أعنى هذا الوعى الشامل بالأخطار والمشكلات التى تهدد البشرية بوجه عام . فثمة فكرة مشتركة تفرض الآن نفسها على الجميع ، وعبر المعارك السياسية ، والصراعات القومية العسكرية والاقتصادية ، تلوح « الأزمة العالمية » فى الأفق تدعو الشعوب جميعا إلى التفكير فى تشخيصها وحلها ، وإلى العمل المتضامن للخروج منها ، والفكاك من أسرها .

ولهذا كان التفكير فى إجراء هذا الحوار لتكوين تلك النظرة الشاملة إلى الأزمة ، لتقصى أسبابها وآثارها ، والبحث عن وسائل الاصلاح الكفيلة بتجنب أخطارها . ففى هذا الكتاب التقاء بين فكرين ينتميان إلى تقاليد وحضارات وأديان متميزة ومختلفة أشد الاختلاف ، ولكنهما يبذلان عبر هذا الحوار العميق مجهودا مشتركا صوب الموضوعية .

وقبل أن يقوم « إيكيدا » باجراء هذا الحوار مع « ويج » ، كان قد تحدث مع شخصيات أخرى عظيمة مثل كيسنجر وكوسيجين ، وهوا ـ هيو ـ تونج رئيس الدولة الصينية ، وكورت فالدهايم الأمين العام السابق للأمم المتحدة . فهو مؤهل لاجراء مثل هذا الحوار الذى نقدمه اليوم للقارىء العربى تأهيلا طويلا . وقد خطرت له فكرة إصدار حواره مع ممثلى الفكر الغربى فى كتب متتابعة ، استهلها بكتاب « فلتختر الحرية » ضمنه محادثاته مع المؤرخ الانجليزى الكبير ارنولد توينبى » (١٩٧٦ وكان هذا آخر انجاز للمؤرخ العظيم) . وكان « إيكيدا » ينوى أن يكون كتابه الثانى حوارا مع « أندريه مالرو» المفكر الفرنسى الشهير ، غير أن المنية جعلته يختار « رينيه ويج » بدلا من مالرو ، فكان هذا الكتاب الذى نعرضه اليوم . وسيأتى كتاب ثالث فى هذه المجموعة من المحاورات مع « الكونت بيتشى » المفكر الايطالى المعاصر ورئيس « نادى روما » . وهو ناد معنى بالبحث عن علاج لاختلال التوازن المتزايد الذى تعانيه المدنية الحاضرة .

وهذا الاختلال الذى استفحل خطره هو الذى يجعلنا نتحدث الآن عن « أزمة المدنية المعاصرة » . فبعد أن ظل الغرب طوال قرن بأكمله ينشد أغنية التفاؤل الظافر ، ودون أن يراوده ظل من الارتياب فى أسطورة التقدم المجيد ،وملحمة العلم فى تطوره المستمر ، أخذت أصداء النشيد تخفت رويدا رويدا لتتصاعد من بعده أصوات تعبر عن قلق شديد ، ترفعه خيبة أمل عظيمة فى الحاضر ، ومخاوف رهيبة من المستقبل . وتنادت أصوات متفرقة تنذر بمقدم الأزمة : أزمة اقتصادية أولا ، تلتها أزمة اخلاقية ، أعقبتها أزمة فكرية ، فانتظمت أخيرا فى أزمة المدنية الغربية ، ثم أصبحت الآن أزمة « المدنية الانسانية » بوجه عام . وبعد مد التقدم حدث جزر مضاد ، نشر الشك ، وأشاع القلق ، وصدم الأجيال الشابة بوجه خاص ، لأنها الفئة الصاعدة ، ومن ثم فهى أكثر تعرضا للصدمة من غيرها من الفئات .

ولما كانت القارات فى العهود الماضية منطوية على نفسها ، متقوقعة داخل مشكلاتها الخاصة ، وكان الاحتكاك بينها لا يتم إلا على فترات ، بحيث لم تكن ثمة مواجهة إلا مواجهة الأقوى بالأضعف ، فمن النزعة الاستطلاعية التى استولت على الغرب تجاه الشرق ، جاءت النزعة الاستعمارية ، ومع ذلك فان الشعوب التى نجحت فى الاحتفاظ بطابعها وشخصيتها وطريقتها فى التفكير والاعتقاد والحياة ، وباستقلالها الروحى ، وقد وقعت بدورها فى الأتون الضخم الذى يغلى فيه المجتمع الاقتصادى والتقنية الحديثة . وأغرتها



اندريه مارلو



هواكو فينج



ارنولد توينبى

مظاهر المدنية الغربية أن تلحق بالتقدم الذى حققته أوروبا ، وربيبتها امريكا الشمالية فتنكرت لتقاليدها وأسلوبها فى الحياة وتبنت أساليب الحياة الأوروبية والأمريكية ، واعتنقت طرائقهما العقلانية الآلية فى التفكير والسلوك على السواء .

وما إن أشبعت نهمها إلى التقدم عن طريق هذه المحاكاة ، حتى لمست المثالب العميقة ، والآفات المهلكة التى نقلتها فيما نقلته عن المدنية الغربية . وهنا أصبحت تلك البلدان الشرقية شريكة فى « الأزمة » . وادركت بالتالى القيمة النسبية لما فقدته . فنحن لا ندرك قيمة ما نملك إلا بعد أن نفقده . وهكذا اكتشفت تلك البلدان أنها كلما أشبعت حاجاتها المادية الوضعية ، حفرت فى داخلها فراغا أو خواء باطنيا . وانشأت هوة ـ إن صح هذا التعبير ـ ينهار فيها ويتداعى كل ما كان يسندها ويدعمها فى حياتها الروحية السابقة . وهذان الكيانان : « المادة » و « الروح » وضعا تلك الشعوب أمام اختيار صعب أليم لا مناص منه .

وقد أتاحت محاولة « إيكيدا » فى إجراء حواره مع شخصيات متنوعـــة ، وذات اهتمامات مختلفة ـ أن يندفع بحثه فى اتجاهات متشعبة ، وأن تلقى عليه أضواء متباينة . بيد أن الحوار الحالى الذى اجراه مع « رينيه ويج » يفسح مكانا خاصا للفن الذى هو مجال التخصص لهذا الأخير مما أفاد الحوار فائدة عظمى ، وذلك لأن الفن بطبيعته ووظيفته يقوم على الملكات التى تعد أكثر ما تكون تعرضا للمخاطر من قبل الحضارة العقلانية الوضعية المادية الجماعية ، وهى الملكات التى يعد اصلاحها واستردادها أمران ضروريان لاقامة التوازن الانسانى المختل ، وأعنى بها ملكات الوجدان أو الحدس ، والخيال المبدع ، والحساسية والشخصية ، وإدراك الذاتى والكيفى .. وربما كان الفن هو الذى يجعل المدخل إلى قلب المشكلة يسيرا .

المتحاوران يتفقان

ولما كان من طبيعة الحوار أن يشرد ويتشعب ويتشتت ، فقد تم الاتفاق بين المتحاورين على اتخاذ خيط هاد يسيران بمقتضاه ومن ثم أمكن تقسيم الحوار بعد عمل المونتاج اللازم إلى ستة أقسام :

القسم الأول : ويتضمن تقرير وجود الأزمة التى يغوص فيها العالم يوما بعد يوم ، كما يبحث فى الظاهرة أو فى المجال الاقتصادى الذى يتسلط أعظم التسلط على عصرنا الحاضر ، وينتهى هذا القسم ببحث الأزمة الأخلاقية ، وهى أشد الأزمات خطورة ، لأنها مصدر الصراع الداخلى فى نفس الانسان . وهذا القسم يتألف من أربعة فصول .

والقسم الثانى : ويبحث فى أصول العلة ، ويضعها فى المنظور التاريخى لنتبين أن هذه العلة نشأت ، مع التحولات الكبيرة التى عانتها المدنية فى مراحلها المختلفة ، وفى هذا أربعة فصول أيضا .

والقسم الثالث تحديد مقومات التغير الذى يتم فينا ومن خلالنا ، والتعديلات التى يراد إجراؤها فى الطبيعة الانسانيـة التى بتر العصر الحديث بعض أعضائها الأساسية واستأصلها كما يحاول أن يتحسس الموضع الذى يمكن أن يقام فيه الثقل الكفيل باعادة التوازن من جديد إلى الانسان . ويتألف هذا القسم من ثلاثة فصول .

والأقسام الثلاثة الأخيرة مخصصة لوصف العلاج على نحو إجمالى . ويتلخص هذا العلاج فى إعادة تربية الفرد تربية منهجية ، ولهذه التربية منبعان عظيمان كامنان فى الانسان أحدهما يستمد ثراءه من الدين ، والآخر من الفن ، والصلة بين هذين المنبعين قائمة فى الاحساس بـ « المقدس » .

وفى مواجهة المشكلات التى تفرضها الأزمة ، علينا أن نتحاشى النزعة القطعية (الدجماطيقية) التى ينحو إليها أى مذهب من المذاهب . وربما كان هذا الدرس هو أعظم ما نتلقاه من هذا الحوار : فهنا مواجهة بين فكرين متمايزين أشد التمايز ، مختلفين احد الاختلاف ، لأنهما يعكسـان ذروة تراثين متباعدين أحدهما عن الآخر مسافة البعد الذى يفصل الشرق عن الغرب ولكنهما يلتقيان فى نهاية الأمر ، إذ يتجهان صوب خاتمة متشابهة ، وهذه الخاتمة تستمد قوة البينة التى تفرض نفسها علينا فرضاً ـ من تلك الثنائية التى عنها صدرت .

مدنية الاستهلاك

يقول إيكيدا إن الأزمة الراهنة التى تجتاح البشرية ليست صادرة من الخارج ، من إعصار يهب من السماء ، بل يأتى الخطر من سكان هذه الأرض الذين يتنازعون فى سباق المنافع والمصالح ، ويتصارعون على متاع الدنيا ، ويخرجون مسكنهم بأيديهم ، فيهدمون سقفه ، وينزعون أرضه ، ويحطمون أعمدته ، فينتهى به الأمر إلى الانهيار .

إن تعارض المصالح هو أساس الحقد والبغضاء ، وهو الذى يؤدى إلى صناعة أسلحة الدمار ، فكل خصم يريد إبادة خصمه ، ومن هنا كان الجنون الذى يدفع



أزمة الحضارة المعاصرة في حوار العباقرة

إلى تدمير العالم . والانسان المعاصر يعانى من تدمير البيئة ، واستنزاف المواد ، والتهديد بالحرب وأهوالها . ولكننا لا نستطيع أن نابق من هذه المسكونة أو نجد عنها مهرباً . فلا مناص من تغيير عقلية الانسان وسلوكه تغييراً جذرياً ، لنجعل هذه الدار صالحة للسكنى ، ترفرف عليها الراحة واطمئنان البال .

وقد شهدت الانسانية فى تاريخها الطويل أديانا عظمى ، بيد أن وجود هذه الأديان لم يحل دون نشوب صراعات هائلة أريقت فيها دماء الملايين من البشر . ومن ثم فان اختيار هذا الدين أو ذاك بالنسبة لاحلال السلام ـ لا يعدفى حد ذاته ترياقا . ذلك أن الاختلاف فى مضمون تعاليم هذه الأديان ينعكس فى الهياكل الاجتماعية ، وفى تركيب الأفراد ، ولهذا ينبغى أن نعلق أهمية مماثلة على الطريقة التى تتحول بها هذه التعاليم إلى تطبيق فى الحياة ، ومن هنا ينشأ التفاوت بين أنصار العنف وأنصار السلام .

ومن الطبيعى ألا يكون « إيكيدا » ضد الحل الدينى للأزمة المعاصرة ، إذ يرى فى الأديان جميعاً أساساً صالحاً لبناء الانسان بناء روحياً يعينه على مواجهة مشكلات الحياة ، ولكن أهم ما يعنيه فى هذه الأديان أن يأتى التطبيق العملى متفقاً مع العقيدة ، وفى رأيه أن البوذية حين فصلت بين المؤسسات التى تعنى بالعقيدة البوذية وبين المؤسسات التى تهتم بنشر تعاليمها ومتابعة تطبيقها فى المجتمع البشرى قد تجنبت ما وقعت فيه المسيحية مثلا عندما جعلت الكنيسة تهتم بالجانبين معاً ، فكانت المخاطر التى تعرضت لها المسيحية والمجتمع الغربي على حد سواء ومن الطبيعى أيضاً ـ وهو رئيس جمعية عالمية تدعو إلى البوذية ـ أن يعرض لتفاصيل مذهبه فى ثنايا الحوار بينه وبين ويج ، ولكنه يفعل ذلك بروح متفتحة تتقبل الرأى الآخر فى سعة من الأفق ، وبموضوعية فى التفكير . ولن نعرض بالطبع لهذه التفاصيل فى موجزنا المقتضب عن هذا المجلد الضخم .

أما الحل الذى يرتضيه « ويج » وإن لم يكن دينيا مذهبياً ، فانه أقرب ما يكون إلى الدين ، بل إنه من الممكن أن يكون نزعة صوفية فى وحدة الوجود ، شديدة الشبه بنزعات أصحاب وحدة الوجود فى الفكر الغربى من أمثال جيته ، وبرجسون ، وإكهارت .. الخ ، وفى رأيى أن فلسفة « ويج » التى عرضها عرضاً واضحاً فى هذا الكتاب ـ امتداد مخلص لفلسفة « برجسون » فى صدها للتيار العقلانى النفعى المادى فى الفلسفة الغربية .

والمحور الأساسى الذى تدور عليه فلسفة « ويج » فى تشخيصه للأزمة وعلاجها هو أن الحضارة الغربية فى غمرة النشوة التى انتابتها نتيجة لتقدم المعرفة العلمية وتطور التقنية ، نسيت ، أننا نمتلك حياة باطنة وروحاً ونفساً ، فاهملناها جميعاً ، وتركناها جائعة ، وقد آن لها الآن أن تشبع احتياجاتها ، وحان الوقت لتوجيه أنظارنا إلى الداخل إلى ذلك العالم الباطنى أو الجوانى للحياة الانسانية . وعلى الروح الانسانية أن تتحرك وفقاً لنبض الكون الذى يخفق من خلال الانسان والطبيعة ، وكل شىء . ذلك أن « ويج » يعتقد أن للكون حركة واتجاهاً صاعداً أو ما يسميه برجسون « السورة الحيوية » . ثمة سورة أو دفعة كونية صاعدة يتحرك بمقتضاها كل ما فى الكون من كائنات حية وجامدة ، وعلى الانسان أن يكتشف هذا الاتجاه الصاعد للكون ، وأن تأتى أفعاله وتطلعاته منسجمة مع هذه الحركة ، وما العثور على اتجاه هذه الحركة والتصرف بانسجام معها إلا الحكمة بعينها .

وافة المعرفة العلمية التى سيطرت على العالم الغربى ومازالت تسيطر عليه ـ هى فى ظهور نتائج لم تكن متوقعة نتيجة للتقدم العلمى الذى يغفل وجود ذلك التشابك المعقد اللامتناهى للعوامل والأحداث وردود أفعالها وانعكاساتها على الانسان ، بحيث يبدو الانسان عاجزاً عن السيطرة على العالم المحيط به . بل إنه حتى فى مشكلة اقتصادية مثل التضخم لم يجد العالم حلا شافيا رغم انتشاره فى العالم أجمع ، ولم تزد الاجراءات التى اتخذت حتى الآن إلا فى تفاقمه . وكذلك مشكلة التلوث ، ومشكلة الطاقة .. الخ . وحالنا أشبه بحال مسافر ضل طريقه أثناء الليل ، فأحاطت به جماعة من الذئاب تهاجمه من كل جانب ، فلا يستطيع لها دفعاً .

ولعل أهم ما يمكن أن توصف به مدنيتنا المعاصرة أنها مدنية الاستهلاك ، فكل ما فيها يتجه إلى تضخيم قدرة الفرد وارادته على الاستهلاك وإشباع حاجات الجسد ، بتوفير الغذاء والراحة وتخفيض الجهد ، والاشباع الحسى . وهذا الاتجاه إلى الاشباع الحسى يستنزف الموارد استنزافاً شديداً يغيب عنه الترشيد ، وأصبح العالم الآن يتحدث عن النمو من أجل النمو ، والانتاج من أجل الانتاج ، والاستهلاك من أجل الاستهلاك دون نظر إلى ما يمكن أن يجره هذا الاتجاه ، مع الانفجار السكانى ـ إلى كارثة محققة تهدد العالم كله بالدمار .

وقد خلقت مدنيتنا احتياجات جديدة تقوم كلها على استهلاك الطاقة ، بحيث تتضاعف احتياجات الدول الصناعية من الطاقة كل عشر سنوات ، علماً بأن الموارد الرئيسية للطاقة محدودة . ويتجه التقدم العلمى إلى استخدام الطاقة الذرية ، بيد أن هذا الاستخدام يعرض الانسانية لأخطار التلوث التى لا يعرف أحد مداها .

ومعالجة هذه المشكلات كلها لا تتأتى إلا باصلاح الانسان إصلاحاً عقلياً عميقاً ، وتنمية الوعى الذاتى بالمشكلة حتى يحد من شهواته للاستهلاك والمنافسة ، والتوصل مع الطبيعة ، بالتوسع فى استخدام الطاقة الشمسية والمائية ، والرياح ، والضغط .. الخ . وللطبيعة قوانين تعمل على إعادة التوازن ، وتنزع إلى تعويض كل تطرف بدفعة مضادة . وهذا ما يسمى فى السيبرنطيقاً برجع الصدى . وما تطلق عليه الأديان اسم « العناية الالهية » . وهذه الفكرة الجديدة تتأكد صحتها فى البيولوجيا وعلم النفس ، وتقوم بتصحيح الآراء ذات النظرة الواحدة التى تتسم بها المادية العقلانية التى تدفع عصرنا إلى هاوية الضياع .

وحاجتنا إلى التواصل مع العالم ومع الطبيعة هو تعبير عن نزعة متأصلة فى الانسان إلى المشاركة فى « الكل » ، وهذا ما نادى به الرومانسيون لأنهم كانوا مبدعين فرديين يحلمون بالاندماج مع الطبيعة والفناء فيها ، وهذا التواصل هو الذى يتيح لحياتنا أن تجد معناها نتيجة للمشاركة فى الحياة « الكونية » أو « الكلية » : الاتصال بالغير ، الاتصال

بالطبيعة أو الاشياء ، الاتصال بالكلى بفضل منابع الفن والروح الدينية ، هذه هى اللحظات الضرورية التى تخلق فى كل منا الدورة الضرورية بين « الأنا » الحريصة على استقلالها ، وبين « الكل » ، الذى هو « التفتح الأسمى » .

والحياة الحديثة تحرمنا من هذا التفتح الأسمى الكامل لطبيعتنا الانسانية ، وبهذا جعلتنا نشعر أننا أشخاص ناقصون ، بأن « عقلنتنا » شيئاً فشيئاً . وهذا أســـاس ما نشعر به من إحباط وغربة فى العالم المعاصر . فالاحباط مرده إلى الشعور بأن الفرد لا يمارس كل إمكانياته وطاقاته ، ولا يشبع كل احتياجاته الجوهرية ، أما الاغتراب فمرده الابتعاد عن طبيعته الحقة .

وقد استطاع « ويج » نظراً لتخصصه فى تاريخ الفن وفلسفته أن يرصد فى فصل من أجمل فصول الكتاب الارهاصات الفنية بالأزمة المعاصرة ، وبلمحات الأمل التى يمكن أن نتلمسها فى لوحات كبار الفنانين المعاصرين ، وكان أن أجمل المحاولة التى قام بها الفن الحديث فى هذه العبارة وهى أنها محاولة للتحرر من ثقل المادة نحو شفافية الروح .

ويؤكد « إيكيدا » هذه النزعة فى الاتجاه نحو الروح فى الفكر الشرقى فيقول إن هذا يسعى إلى اندماج الانسان فى الطبيعة ، ومن ثم لم يستطع الشرق أن ينشىء العلوم التحليلية الحديثة القائمة على تفرقة واضحة بين الذات والموضوع . وهذه الفلسفة الشرقية ضرورية لعصرنا أكثر من أى عصر مضى . بيد أن احتكار العالم الغربى للتقنية العلمية ووسائلها الحديثة وانبهار العالم الثالث بتقدم الغرب ، جعله يحرص على اللحاق بهذه الدرجة من التقدم ، وأصبح من الصعب أن نشرح لهذه البلدان النامية أن الحضارة الغربية تنطوى على مخاطر ومثالب . ولهذا يشترك العالم كله الآن فى مغامرة واحدة ، على غير ما كان يحدث فى الماضى ، عندما تحل حضارة عجوز ، فتحل محلها حضارة أخرى فتية وهلم جرا . فلا مجال لانتظار أية بكارة أو نجدة من الخارج ، بل ينبغى تركيز جهودنا على تطور الحياة الباطنـــــة وتنميتها .

المشاركة في الحركة

وفى غمرة الاستغراق فى شهواتنا المادية البرجماتية الخسيسة نسى الانسان رسالته الحقيقية وعلة وجوده ، ولابد له من أن يستعيد سيطرته على نفسه ، وأن يعثر من جديد على معنى تفتحه وتحققه ، وأن يقتحم حقبة جديدة ، ويخلق مدنية جديدة جديرة بالانسان .

وإصلاح الروح الانسانية يبدأ بلاشك من التربية بمعناها الواسع أى مجموعة وسائل الضغط العقلى التى يستطيع المجتمع استخدامها لتشكيل الفرد . ومن نافلة القول إنه لا ينبغى استخدام هذه الوسائل لاستعباد الفرد ، وغرس المذاهب والمعتقدات التى ترى السلطة أو المجتمع أنها الأفضل . وهذا هو المحظور الذى تقع فيه ديكتاتوريات اليمين واليسار على حد سواء . وهو ما يسميه « ويج » بالضغط الايديولوجى المسبق فالتربية السليمة هى

ولن يكون ثمة تطوير أو تنمية لهذه الحياة الجوانية إلا عندما تتوازن ملكات الملاحظة ، مع مواهب المشاركة والتعاطف ، ويضاف الشعور والمعاناة والحساسية إلى التصور والفكر والعقـلانية . وبهذا التوازن ندخل فى نسيج « الوجود » ، ونصبح فى اتصال عميق معه ، وهذا ما يتحقق بنوع من الحدس ، وبالادراكات الصادرة من الأعماق التى تند عن التفسير العقلانى .

والمدنية الحديثة تهدد هذا التوازن الدقيق . فهى تعمل على توكيد وتشجيع كل ما يبعد الانسان عن الطبيعة ويقطع صلته بها . فهى لم تعد بالنسبة إليه أكثر من موضوع ، أو مشهد خارجى ، أو فريسة وعدو ، وهى تخنق فيه الأصوات التى تذكره بانتمائه المشترك ابتداء من همهمات اللاشعور حيث تتصاعد الحدوس اللامعقولة وإن تكن كاشفة ـ حتى التطلعات صوب الروحية التى تسعى بجهد فى التجاوز والعلو للانضمام إلى الوجود ، والشوق إلى وجه الله . إنها

كورت فالدهايم كان من ضمن العظام الذين تحدث معهم المؤلف



تقضى على كل الأشواق التى ليست ضروباً من النهم الاستهلاكى ، وتغلق على الفرد فى ذلك التضخم المنطقى للمبادىء المجردة والصيغ التى تغرسها فى دماغه بدقات أجهزة الاعلام الملحة حتى تنطبع تماماً فى ذهنه . هذه هى المدنية الحديثة التى تتاسس فى أيامنا .

التى تغرس فى الفرد ـ على العكس من ذلك تماماً ـ الاحساس بالحرية ، المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسئولية ، وتتيح للانسان أن يمارس كل امكانياته ، وتعمل على تشجيع التفكير الكيفى على التفكير الكمى أى بعبارة موجزة إعادة الانسان إلى الباطن ، لا توجيهه إلى الخارج . هذا هو هدف التربية فى الوعى بسلم القيم لنفتح الباب للدخول فى رحاب الحياة الباطنة . والدين جناحان يمكن ن يحلق بهما الانسان إلى تلك الآفاق ، ولهذا كانا ضرورين للتربية ضرورة مطلقة . وقد تنبأ « مالرو » بشىء من ذلك عندما قال : « سيكون القرن الحادى والعشرون دينياً أو لن يكون ! » .

وهكذا نجد أنه مهما تعددت زوايا النظر إلى مشكلات العالم المعاصر ، فانها تسلمنا إلى المشكلة الرئيسية ، وهى إعادة تاهيل الحياة الباطنة ، وإحلال الانسجام والتناغم فيها . كما نستطيع أن نتفق على أن الآفة الأساسية فى المدنية المعاصرة هى تضييق مجال الذاتية ، وتوسيع مجال الموضوعية ، واحتقار الكيف لحساب الكم .

والدور الرئيسى الذى يجب أن يعهد إلى كل إنسان ، وإلى الانسانية جمعاء إذا أرادت أن تحقق مصيرها دون السقوط فى الأزمة الراهنة أو فى غيرها من الأزمات ، هو أن تنمى المنطقة الروحية فى الانسان التى نسميها « الحكمة » . فالتقدم الانسانى الحق لا يعتمد على العقل بقدر ما يعتمد على تعميق الحدس وتحسينه الكيفى .

فالكيف حركة صاعدة تلقى بالانسان على سلم للقيم ينزع بتدرجه نحو لامتناه هو الله سبحانه وتعالى . والفن والدين يقومان على السمو بالكيف الانسانى ، هذه هى المنطقة المشتركة بينهما .

ومسئوليتنا هى أن نشعر بأننا مشاركون فى هذه الحركة التى لا نفهم أسبابها وإن كنا نقرر وجودها ، بل وأن نسهم فيها ، مادامت هى الاتجاه والمصير اللذان يتأكدان من خلال الزمان . وليس الالتقاء فى اتجاه واحد رغم اختلاف السبل علامة فى حد ذاته على وجـــود « حقيقة » واحدة ، هى « الحقيقة العليا » أو الله . ؟ .

فؤاد كامل

الأديب السعودي
عبد الله بن إدريس :

أنا مع الحداثة في الشعر ولكني ضدّ الهلوسة المحمومة!

بقلم : خليل إبراهيم الفزيع



الشاعر عبد الله بن ادريس .. لا يقف فى وجه الحداثة فى الشعر بشرط ان يكون الشعر حقيقياً ومعبراً عن المشاعر الانسانية وقضايا المجتمع والأمة .

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية تضع القارىء العربى امام العديد من التساؤلات الجادة لمعرفة المزيد من ملامحها والاقتراب اكثر من همومها .

وقد التقت « الدوحة » بالأستاذ عبد الله بن ادريس ليلقى بعض الضوء على زوايا كثيرة يهم القارىء ان يعرف عنها الكثير ، ولأن الأستاذ ابن ادريس هو رئيس النادى الأدبى فى الرياض فقد رأينا أن يكون سؤالنا الأول حول الأندية الأدبية : هل ساهمت فى إنعاش الحركة الفكرية فى المملكة العربية السعودية ؟

قال الأستاذ عبد الله بن إدريس :

● نعم .. ساهمت الأندية الأدبية او بعضها ـ على الأقل ـ فى انعاش الحركة الفكرية فى المملكة ، وذلك من خلال انشطتها المختلفة كنشر الكتب والدراسات الأدبية ، والدواوين الشعرية التى تقدمها بين حين وآخر . لقد طبعت ونشرت عشرات الكتب فى السنتين الأخيرتين ، وهذا فى حد ذاته تطور جيد وإنعاش للحركة الفكرية فى المملكة .

قلت : تعتمد بعض الأندية الأدبية فى المملكة على الكم فى إصداراتها دون مراعاة جودة المضمون فما رايكم فى ذلك ؟

● قال: استطيع ان أجيبك على هـذا السؤال فيما يختص باصدارات « النادى الأدبى بالرياض » الذى اتشرف برئاسته ، اما الأندية الأخرى فرؤساؤها هم الذين

● إصدارات النادى الأدبى فى الرياض بلغت خمسة وأربعين كتاباً .. منها ٥٠٪ على مستوى جيد ، و ٣٠٪ على مستوى ممتاز ● ● النقد موجود على الساحة الأدبية فى المملكة منذ ما يزيد على ربع قرن ، لكن مستواه لم يهبط إلى الحضيض إلا هذه الأيام .

يستطيعون أن يقولوا رايهم فى هـــذا السبيل .. !

إن اصدارات النادى الأدبى بالرياض والتى بلغت حتى يوم (١٥ ديسمبر ١٩٨١) خمسة واربعين كتاباً ما بين (كتاب الشهر) أو الكتب السنوية او النصوص المحققة ٥٠٪ منها على مستوى جيد و ٣٠٪ على مستوى ممتاز ، اما العشرون فى المائة الباقية فلاشك انها دون المستوى المطلوب ، ولكن عامل الحرص على التشجيع احياناً يجنى على جودة ما ينشر ، إلا أن هذا هو القليل من إصدارات نادى الرياض ، وهى نسبة ٢٠٪ اما الأندية الاخرى فلسنا مسئولين عن إصداراتها ، ولذلك فاللوم لا يقع علينا ، ويكفى ان نتحمل نتائج مسئولياتنا .

الشباب والأدب

ـ كيف يمكن تحويل اهتمامات الشباب إلى الأدب بعد انصرافه إلى الاهتمامات الأخرى ؟

● الاهتمامات التى تعنى الميول والتهيؤ لاتجاه ما .. لا تستطيع قوة فى الأرض أن تمليها وتقسر الفرد عليها . ما لم يكن فكره وذهنه مستعداً لهذا الاتجاه أو ذاك .. ولعلك تعنى بالشباب هنا .. الشباب الموهوب أدبياً وليس كل الشباب طبعاً .

ـ نعم هذا ما اعنيه بالضبط .

● اذن يحق لى ان اقول لك إن الاهتمامات بأى أمر من الأمور تمليها عوامل مختلفة تتمثل فى نقاط كثيرة منها ـ على سبيل المثال ـ :

أ) ظروف امكانات العطاء الفكرى خصوبة أو محلا .

ب) ظروف الأمن والاستقرار النفسى والعائلى والمعيشى إيجابياً أو سلبياً .

ج) القدرة على التفاعل مع حياة المجتمع للأخذ منها والعطاء عليها .

د) وجود الحوافز المنشطة والباعثة على الأمل والدافعة إلى الاستمرار .

فاذا توفرت هذه العوامل وغيرها لدى شباب الأدب فانه يستطيع ان يوفق بين ما ينصرف إليه من امور حياته الاساسية وما يميل إلى تحقيقه على صعيد الفكر والأدب (تلقائياً) وضع كلمة تلقائياً بين قوسين لأنها العبارة الموجزة جداً كجواب أو نتيجة لهذه العوامل الآنفة الذكر .

النقد الأدبى

ـ ظهرت بوادر نقدية فى المملكة ، فما رايكم فيها ، وهل تعتبرونها مقدمة لظهور النقد الادبى الذى تحتاجه الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية ؟

● سؤالك هذا يوحى بان نقداً ادبياً ظهر هذه الايام فى بلادنا ، والواقع ان النقد موجود على الساحة الادبية فى المملكة منذ ما يزيد على ربع قرن .. ولم يهبط مستواه الى الحضيض إلا هذه الأيام حيث اصبح من يتصدى للنقد ـ فى الغالب ـ هم الناشئة الذين لم تنضج افكارهم بعد ولم تتحدد لهم مسيرة ادبية واضحة او موهبة شعرية بارزة .. ثم إن الأسوأ من هذا ان بعض هؤلاء الناشئين لم يشبوا عن الطوق .. اى طوق من يقلدونهم من اولئك الادباء والشعراء العرب الذين قلدوا هم ـ بدورهم ـ الادباء والشعراء الغربيين .. فعندنا ـ مع الأسف ـ عدد من ناشئة الأدب وان كان عددهم لا يكمل اصابع اليد الواحدة ، إلا انهم يحاولون ان يستغلوا الساحة شبه الخالية ، وينشروا افكار ونظريات (ادونيس) و (يوسف الخال) و (انسى الحاج) وامثال هؤلاء الذين اصبحوا فعلا كالغراب الذى ضيع مشيته ولم يستطع تقليد مشية الحمامة .. !

وتكاد هذه « النتوءات » فى مجتمعنا الادبى ان تعتبر « ادونيس » مثلها الاعلى فى الشعر تترسم خطواته فى نظرياته التى بثها فى بعض كتبه ، ولكنه ايضا لم يطبقها فى شعره ، وتحاول هذه النتوءات ان تضرب تراث الامة الجميل الخالد وتمسحه بجرة قلم .. ولكن :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

والخلاصة انه يوجد نقد ادبى يرتفع ويهبط حسب مستوى الناقد والانتاج المنقود ، ولكنه ليس هذا الذى ينشره بعض المتادبين من الهدم والتحطيم لكل ما هو اصيل او يمت إلى التراث والاصالة بصلة .

ـ ما رايكم فى العلاقة الجدلية بين الأدب والنقد وايهما يؤثر فى الآخر ، بمعنى هل النقد الراقى يوجد ادباً راقياً ام العكس ؟ .

● رايى ان النقد الادبي مهما كان مستواه رفيعاً لا يوجد الأدب اصلا ، والعكس صحيح فى ان الادب يوجد النقد .. وهل يعقل ان يوجد نقد ادبى بدون ادب منقود ؟

إن الادب يوجد .. وقد يوجد النقد او لا يوجد ، فالأمر سيان بالنسبة للشاعر والقاص والكاتب ، فهو سينتج ما تجود به قريحته وموهبته سواء ورد فى حسبانه النقد لانتاجه ام لم يرد .. وكل مهمة النقد الحفز على الاجادة وتجنب ما يمكن تجنبه من الاخطاء والضعف ومواطن المؤاخذة الموضوعية او الفنية او الشكلية ، واذن فالنقد حافز على التجويد فقط ولكنه ليس الحافز على العطاء اصلا .

الحداثة بشرط

ـ الحداثة فى الشعر .. ما موقفكم منها ؟

● الحداثة فى الشعر شىء طبيعى

أنا مع الحداثة في الشعر ولكني ضد الفلوسة المحمومة!

ومطلوب ومرغوب ، ولكن بشرط أساسى وهو : أن يبقى الشعر شعراً حقيقياً معبراً عن الأحاسيس الذاتية والمشاعر الانسانية وهموم المجتمع والأمة .. بأكثر العبارات اختصاراً ، واجمل الالفاظ ، وأرق الكلمات ، وأحلى الأساليب وأجود الأداء .

والتجديد وارد فى الشعر العربى منذ عهد « مهلهل بن وائل » إلى عهد « نازك الملائكة » و « بدر شاكر السياب » وعلى امتداد زمنى طوله الف وستمائة سنة ..

وليس فى الحداثة ما هو مرفوض إلا ما هو مغاير للشعر ومختلف عنه اختلافاً جذرياً كهذا الهذيان والطلاسم التى يكتبها ادعياء التجديد ويزعمون أنها شعر .. وهى تختلف عن الشعر اختلاف التبر عن الترب. فالشعر العربى تجدد وسيتجدد على مر الأزمنة واختلاف الأمكنة ، ولكنه تجديد لا يخرجه عن طابعه المتميز عن النثر ، ولا عن أساليبه الجميلة وأدائه المؤثر وأغراضه وأهدافه التى توحى بها الفاظه وعباراته الشعرية الخاصة المتميزة عن العبارات النثرية أو الصيغ الفنية الأخرى فى نسق غير شعرى .

من أهم ظواهر التجديد الحديث فى الشعر ما يسمى « بالشعر الحر » أى الذى يعتمد على وحدة التفعيلة ، وتناوح القافية .. فلا يتقيد الشاعر بعدد تفعيلات البيت الكامل على بحر من البحور الخليلية الستة عشر ، بل هو حر فى استخدام العدد المناسب منها للبيت قلة وكثرة بين الحد الأدنى وهو تفعيلة واحدة ، والحد الأقصى فوهو ثمان تفعيلات فى البيت الواحد .. وكذلك الشاعر حر فى استخدام القافية على نحو ما هو معروف عند المجددين من امثال نازك والسياب ، وعبد المعطى حجازى ، وصلاح عبد الصبور ، ومحمود حسن إسماعيل فى اخريات انتاجه .

وهذا هو التجديد الحديث المقبول والمعترف به من اكثرية الشعراء والنقاد العرب ، أما هذه الهلوسات المحمومة التى أصبحت تكتب فى السنوات الأخيرة باسم الشعر وهى مغايرة للشعر أسلوباً وهدفاً واداء وعاجزة كل العجز عن الوصول إلى عقل وفكر وذهن المتلقى .. فهى ليست من الشعر فى شىء .. وهذا هو موقفى منها .

شيوخ الأدب

ـ انصراف شيوخ الادب فى المملكة العربية السعودية عن المشاركة فى الحياة الثقافية .. ما هى أسبابه ؟ .

● الانصراف عن الحياة الأدبية ليس مقصوراً على « شيوخ » الأدب بل « كهوله » وهم العابرون قنطرة ما بين الشباب والشيخوخة .. بل لقد شمل الانصراف عدداً من الشباب الأدباء الذين كانت لهم مشاركات إيجابية فعالة ، وكانت لهم قيمتهم فى دنيانا الأدبية منذ عشر سنوات تقريباً .

ولعل لهذا الانصراف ـ وهو على كل حال ليس انصرافاً كلياً ـ اسباباً ليس من العسير إدراكها للمتمعن فى ظروف الحياة الجديدة وهى حياة انتقالية كانت فى السابق تتسم بالبساطة والرتابة ، واصبحت الآن معقدة تتطلب عملا لحل عقدها التى يفرضها التكوين الذاتى وتحسين الوضع المادى والاجتماعى وغير ذلك .

ـ كيف يمكن ايجاد نوع من الترابط والتواصل بين الأدباء الشيوخ والشباب ؟ .

● ايجاد الترابط والتواصل بين الأدباء الشيوخ والشباب يتطلب وجود الثقة بين الجيلين ، واعتراف الشباب بفضل الرواد وعدم جحود دورهم وتاثيرهم ، كما يتطلب قبل ذلك وبعده اعتراف الشباب بفضل التراث العربى والاسلامى وجماله وخلوده وواجب التواصل بين الأصالة والمعاصرة ، اما إذا قطعوا صلتهم بتراثهم المجيد واعتبروه تراثا .. « مهترئا ومتخلفا » كما هى العبارة السخيفة التى يكررها بعض المتادبين من الشباب ، فانهم بذلك يقطعون حبل الصلة والتواصل حتما بينهم وبين الأدباء الشيوخ .

الأدب والعزلة والصحافة

ـ الأدب فى بعض البلاد العربية يعيش فى عزلة إذ لا يتسنى للقارىء فى البلاد العربية الأخرى الاطلاع عليه ، فما هو الحل لهذه المعضلة ؟ .

● لا أرى علاجاً لهذه المعضلة ـ كما تسميها ـ إلا بتكوين « شركة توزيع عربية دولية » تشترك فيها جميع البلاد العربية وتمثلها وزارات الاعلام والثقافة ودور النشر والتوزيع .. وبغير هذه الشركة لن يتواصل الانتاج العلمى والثقافى بين البلاد العربية بقدر واسع وناجح .

ـ لغة الصحافة أحياناً تتساهل فى الانضباط تحت لواء اللغة العربية السليمة ، ما رأيكم فى ذلك ؟ .

● اعتبر التساهل فى اللغة العربية من قبل الصحافة خطأ فادحاً .. لأنها بذلك تساعد على إفساد الذوق الأدبى الرفيع ، كما أن هذا من الأدلة القاطعة على ضحالة علم وثقافة القائمين على الصحف من رؤساء التحرير إلى محررى الأخبار الرياضية .

غياب المرأة

ـ هناك من يرى ان غياب المرأة عن المساهمة فى بناء المجتمع يعرقل نمو بعض الفنون الأدبية كالقصة والمسرح والشعر فما رأيكم فى ذلك ؟ .

● قد يكون هذا صحيحاً ولكن نحن بين خيارين وخاصة فى المملكة العربية السعودية التى هى قبلة العالم الاسلامى ومحل الاقتداء والاهتداء بها .. خيار بالمحافظة على المثل وسلامة الأخلاق ،ولوجاء ذلك على حساب الجوانب الدنيوية الأخرى ..

أو خيار بالتساهل فى الجانب الدينى والخلقى والبناء الأسرى الاسلامى السليم لحساب الجوانب الأخرى ، فايهما أهم وايهما نختار ؟ .

إننى اضع السؤال لمن يريد أن يجيب عليه ..

لكننى أؤكد ان المرأة هنا فى المملكة العربية السعودية تساهم مساهمة ايجابية فى بناء المجتمع فى الجوانب التى يجيزها الاسلام ، ولا تفرض الاختلاط بين الرجال والنساء ، ومن ذلك ـ مثلا ـ التعليم والتمريض والكتابة الصحفية ، والانتاج الأدبى ، والأعمال الأخرى التى لا تتطلب مخالطة بين الجنسين .

شعراء نجد

ـ مضت اكثر من عشرين سنة على صدور كتابكم (شعراء نجد المعاصرون) استجد خلالها الكثير من مظاهر الثقافة فى بلادنا .. الا تنوون إعادة طبعه على ضوء ما استجد فى هذا المجال ؟ .

● بلى اننى ازمع ان شاء الله اعادة

طبعه ، وكان المفروض أن أعيد طباعته بعد ثمانية شهور من صدوره حيث نفد قبل إكماله السنة من جميع المكتبات والأسواق .. وكان ما كتب حوله يشجعني أكثر على إعادة طبعه عدة مرات ، ولكني أجلت إعادة طبعه لأسباب شخصية ، وقد طلبت مني عدة جهات للنشر أن تتولى نشره ولكني رفضت ذلك لأني أريد أن أطبعه واقوم بتوزيعه على حسابي الخاص . وسأدخل عليه زيادات كبيرة وكثيرة إن شاء الله .

الأديب موظفاً

ـ الوظيفة أحياناً تصرف الأديب عن ممارسة الكتابة الأدبية .. هل هذا صحيح ، وهل قلصت الوظيفة من اهتماماتكم الأدبية ؟ .

ـ هذا صحيح إلى حد ما ، ولكن اهتماماتي الأدبية مازالت تحتل المكانة الأولى من اهتماماتي الحيوية .. ولازلت متواجداً على الساحة الأدبية في نشر القصائد والمقالات النقدية والاجتماعية والسياسية وغيرها ولكن بقدر أقل مما كان سابقاً لأسباب ربما ورد مثلها في إجابات سابقة .

والأدباء الذين يحاولون أن يكونوا موجودين دائماً على الساحة الأدبية هم أحد صنفين .. إما يبحثون عن المادة والمكافأة لقاء ما يكتبون ، وإما انهم مهووسون بحب الظهور ، وحب أن يكونوا دائماً في « الصورة » وانا والحمد الله لست عاشقاً لأي من هاتين الصفتين ، وان كنت بطبيعة الحال آخذ مثلهم المكافأة على كتاباتي ومشاركاتي الاذاعية والتلفازية ، ولكنني لست متهالكاً على ذلك ، ولهذا تجدني لا أكتب الا حسب « المزاج » وبتأثير التفاعل لا الانفعال أو الافتعال .. !

إيجابيات وسلبيات

ـ الانتاج الأدبي المعاصر .. ما هي أهم ملامح ايجابياته وسلبياته ؟ .

● ملامح الايجابيات في الانتاج الأدبي المعاصر كثيرة وكذلك سلبياته ، ولكن من أهم إيجابياته ـ في تصوري ـ ما يلي :

أولا : خدمة الفكر العربي الاسلامي وإحياء أمجاده والتذكير بشوامخه المماثلة أو المقاربة .

ثانياً : مساهمته ـ أي الأدب ـ في يقظة الأمة العربية ومجابهة أعدائها باللسان والقلم والسنان جنباً إلى جنب ، وكل منا يعرف « أن الحرب أولها الكلام » . !

ثالثاً : ان الأدب عمل على توحيد المشاعر العربية وجعل هموم الشعوب العربية هموماً عامة مشتركة بين أبناء هذه الأمة .. حتى وان اختلفت الزعامات فيما بينها ، وتصارعت على كراسي الحكم .

أما سلبيات الأدب المعاصر فكثيرة هي أيضاً أذكر منها :

١ ـ تأثره ـ من الجانب السلبي ـ بالغزو الفكري الأوربي الذي اجتاح الوطن العربي الاسلامي الكبير منذ قرنين تقريباً ممثلا في نتائج الفكر الصليبي واليهودي . التي تهدد كيان وتراث الأمة وأصالتها .

٢ ـ توجه كثير من انتاج بعض الشعراء والقصاصين وغيرهم إلى دغدغة الغرائز الجنسية وإفساد الاخلاق .. و .. الخ .

٣ ـ تعويل بعض الأدباء على التقليد والاقتباس من إنتاج أمم أخرى لا تتفق أفكارها ومبادئها ولا حتى أساليب أدبها مع طابع أدبنا العربي وبخاصة في الشعر.

ـ الأدباء الشباب .. هل تقرأ انتاجهم وما رأيك فيه ؟ .

● نعم أقرأ إنتاج أدبائنا الشباب وأدبائنا الشيوخ وبخاصة أنني من جيل ما بين الشباب والشيوخ وهم جيل « الكهولة » .. ثم إنني لست متعصباً لجيل دون آخر أو فئة دون فئة ، وانما انا متعصب ـ أو على الأصح ـ محافظ على الأصالة والجودة والابداع الفني ، فهذه الصفات هي لي بمثابة المعالم التي ارتكز عليها في تقويمي لما أقرأ .

ـ الصحافة الأدبية المتخصصة هل يمكن أن تؤدي دورها في خدمة الأدب ؟ .

● كل جهد مخلص في أي مجال من مجالات الحياة يؤدي دوراً ايجابياً في وضعه ومكانه .. والصحافة الأدبية ـ وان شئت الدقة قلت المجلات الأدبية ـ تؤدي دوراً بارزاً في دفع المركب الأدبي للجريان على بحر الحياة .

وأقول بكل أمانة إن مجلة « الرسالة » التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات في الاربعينات والخمسينات من القرن الميلادي الحالي ، كانت في تأثيرها وخلق الطاقات الأدبية لا تقل عن الجامعات .. وفي وقتنا الحاضر نجد مجلات كالعربي ، والفيصل ، والدوحة ، والاقلام العراقية وغيرها تقوم بخدمة كبرى للأدب والأدباء .

ـ هل أنت من المتفائلين بمستقبل الأدب ؟ .

● نعم انني متفائل بمستقبل طيب للأدب العربي ولكن بعد أن ترسو سفن هذه الأمة وتتجاوز موجات البحار العاتية .

● ـ هناك من النقاد من يرى ان الوضوح في الشعر يجني عليه حتى قال أحدهم (الشعر الذي استسيغه هو الشعر الذي لا أفهمه) فهل هذا صحيح ؟ .

● هذا تبرير يقوله أحد الذين اغرموا بالعتمة القاتمة في الانتاج الشعري الحديث إن صحت تسميته شعراً .. وهذا الشعر الذي أعنيه هو غير الشعر الحر أو الشعر الأصيل ، وانما هو الرموز المطلسمة والهذيان غير المعقول .

والغموض في الشعر نوعان :

نوع مقبول هو ما يلبس غلالة شفافة تمنع المباشرة فيه ، اما النوع الثاني فهو ما اتسم بالغموض الذي يستعصي على القارىء فهم الغرض منه وما يهدف إليه الشاعر ، بل ويصعب تجميع الصور فيه وتتناثر فيه الموحيات .

ابراهيم خليل الفزيع



عبد الله بن إدريس في سطور :

● من مواليد بلدة حرمة من مقاطعة سدير سنة ١٣٤٩ هـ .

● واصل دراسته حتى نال الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٦ هـ .

● عين مفتشاً فنياً ثم مديراً للتفتيش والاختبارات في ادارة الكليات والمعاهد العلمية .

● انتقل في منتصف عام ١٣٧٩ هـ إلى وظيفة مدير التعليم الفني بوزارة المعارف .

● عين أميناً عاماً للمجلس الأعلى لرعاية الثقافة والآداب والفنون .

● رأس تحرير جريدة « الدعوة » .

● يعمل الآن مديراً لادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض . وفي نفس الوقت رئيساً للنادي الأدبي بالرياض .

● أصدر كتابه شعراء نجد المعاصرون عام ١٣٨٠ هـ .

● يكتب الشعر الى جانب النقد الأدبي والدراسات المختلفة .

كاتب القصة الذي لفت أنظار النقاد والقراء



الطاهر وطار

صوت جديد في الأدب العربي الجزائري

لم يعد الروائى العربى الجزائرى الطاهر وطار بحاجة لتعريفه الى القارىء العربى فى الشرق الأوسط بعد أن أصبحت أعماله الابداعية فى القصة والرواية تشكل ظاهرة أدبية متميزة برزت ـ أشبه بالطفرة المفاجئة ـ على ساحة الأدب المعاصر لتسهم فى بلورة ملامح المرحلة الجديدة للفن الروائى الذى يجتاز نقطة تحول حاسمة بين عصرين تؤذن بميلاد انسان عربى جديد من أحشاء مخاض عسير فى محيط الصراع بين النقائض

ساعات طويلة امضيناها فى بيته فى الجزائر العاصمة «نتشاكى حر القلوب الظماء» كما يقول شاعرنا القديم عبر شحنات من التوتر والتامل والاستشراف . كانت العملية الفنية عند «وطار» شاغلى الاكبر فيما دار بيننا من حديث : موقعها من المدارس الادبية الحديثة ، قدرتها على تجاوز الاشكال الكلاسيكية ، توظيف التراث العربى والعالمى فى إطار قضية التراث المعاصر ، اختيار البطل : «بولرواح» فى رواية «الزلزال» «واللاز» فى الرواية التى تحمل اسمه و «الحاج كيوان» فى روايته «عرس بغل» .

وكانت البداية حول المعركة التى تخوضها فرنسا ضد التعريب فى شمال افريقيا . وتتابع الحوار ليغطى قضايا اساسية يكثر حولها الجدل . وسوف يمضى وقت طويل قبل أن تستقر المفاهيم الجديدة وتتبلور الرؤية فى تجربة الابداع المعاصرة .

وفجاة التمعت فى خاطرى فكرة : لماذا لاأسجل إجابات الطاهر وطار حول تجربته ولاسيما انه اطلعني على المسودات الاولية لبعض رواياته ومن بينها رسوم تخطيطية تتعلق بمعمار العمل الفنى الذى يبدا به خطوطه الأولى فى الكتابة ؟ ولم اتردد رغم انها اول مرة تملكنى مثل هذه الرغبة فى التسجيل ، وهى ليست رغبة بقدر ما هو شعور بالمسئولية نحو المهتمين بالرواية العربية الحديثة وبالجيل النامى من المثقفين

، وارتباط هذه المسئولية عندى بمحاولة الاسهام فى دفع الحركة الفكرية والأدبية بعيداً عن الشباك التى تنصب لها ليتخلى الأدباء عن دورهم الاجتماعى ، تحت تاثير افتراضات زائفة للقيم الثقافية والفكرية مهمتها توليد فكر وسلوك مناقضين لعناصر واقعنا الحى وانتمائنا الحقيقى ، وبعيدين عن الرؤية الواعية للتاريخ .

الشهداء يعودون

● نعلم أن الكاتب والناشر الفرنسى مارسيل بوا ترجم لك المجموعة القصصية «الشهداء يعودون هذا الأسبوع» . وأفلجا الآن بقولك إنه أبدى أسفه لعدم ترجمة ونشر رواية «عرس بغل» التى تشكل منعرجاً هاماً فى مسيرتك الفنية . هل هى عودة الى «الفرنكوفونية» ؟ أم أن ثمة دوافع واسباباً أخرى وراء هذا الموقف ؟

ـ كانت إجابة مارسيل بوا واضحة بحيث اغنانا عن التفسير ، إذ كتب أنه يأسف لعدم نشر هذا العمل لسببين هما :

١ ـ أن الرواية تستلهم التراث الاسلامي .

٢ ـ أنها تتناول مرحلة الخمسينات (لا يخفى انها فترة المد التحررى الصاعد فى العالم العربى خاصة وفى افريقيا عامة بل فى العالم الثالث) .

ويفهم من هذا أن هنالك عناصر صهيونية تسيطر من مراكز قوة فى فرنسا على الحركة الأدبية والسياسية ، فضلا عن تغلغل الروح الصهيونية فى المناخ الفكرى والثقافى . وللقضية جانبها الآخر الذى يكمل حلقات المسلسل فى

بقلم: الدكتور حسن فتح الباب

وحدة لا تتجزأ وهو مناهضة اليمين الفرنسى بصفة خاصة لحركة التعريب فى الجزائر وفى الشمال الافريقى بصفة عامة .

فى هذا السياق يندرج موقف مارسيل بوا .. نوع من محاصرة التعريب لمنع انتشار الأدب المكتوب باللغة العربية ، فى حين يبرزون أى أديب من الجزائر أو شمال افريقيا عامة يكتب بالفرنسية بغض النظر عن قيمة كتاباته .

التراث والمعاصرة

وتطرق الحديث الى قضية التراث والمعاصرة سألته :

● لم يقل أحد ـ ولا يجوز له ـ أن يقول الكلمة الأخيرة فى موضوع التراث طالما لم تنته الحفريات بعد ، أعنى الكشف عن التراث وتحليل عناصره . هنالك محاولات للدكتور حسين مروه ، ومحمود أمين العالم ، والطيب تيزينى من جانب ومن د. عبد المجيد مزيان (الجزائر) ود. محمد عمارة (مصر) من جانب آخر ، وتختلف الرؤيا التاريخية بالضرورة تبعاً لاختلاف المنابع والانتماءات والمناهج بحيث تبلغ أحيانا حد التناقض . تدور بحوثهم فى الفلسفة والفكر والتاريخ والاجتماع ـ دون تجزئة ـ ولكن الأدب هو تعبير عن الواقع الاجتماعى والصراع الدائر بين القيم والتشكيلات الاجتماعية .

فاين موقع أعمالك الروائية من المفاهيم المتداولة حول التراث والمعاصرة ، ولاسيما انك كاتب تقدمى وكثيراً ما تستقى من مادة التراث العربى والاسلامى ؟

ـ الاحظ فى هذا الموضوع أن معظم الباحثين العرب يتناولون التراث بنفس الكيفية التى نراها عند المستشرقين وكاننا غرباء مثلهم عن هذا التراث ، فهم يعالجونه كقضية منفصلة دون وعي أو تقدير كاف لشموله الأدب العربى كله عبر التاريخ .

● أتفق معك على أن أدبنا العربى ـ فى مختلف فنونه ـ هو المصفاة التى تتبلور فيها حركة المجتمعات العربية ، وهو اذن الجدير بالبحث للوصول الى الحقيقة والخروج بنظرية عن التراث والمعاصرة ، وأن الرواية بصفة خاصة والحديثة على الأخص هى الموضوع الأولى بالتحليل . واذا كان ما تقصده . فدعنى أسمع منك شواهد للأعمال الروائية الحديثة التى توظف عناصر من التراث ، وتقدم فى نفس الوقت عملا ابداعياً معاصراً متقدماً .

ـ أحسن مثال ـ من وجهة نظرى ـ للمعاصرة فى العمل الروائى هى المعاصرة المصرية لأنها تنبع من تطور طبيعى للكاتب أى من رقى اداته الفنية. فنجيب محفوظ مثلا يتجدد دائماً ويضيف . والغيطانى ـ على سبيل المثال أيضاً ـ يبدأ من آخر انتاج لنجيب محفوظ ثم يضيف . فهو نابع من خلاصة التطور الروائى بمصر .

فهناك اضافة عربية عصرية لفن الرواية ، ولو أن عدد ما ينتج من الرواية العربية مازال قليلا بالقياس الى ما ينتجه الغرب . ففى فرنسا تصدر سنوياً حوالى ١٧٠ رواية ، ويصدر أكثر من هذا العدد فى بريطانيا . أما عندنا فلا يتجاوز عدد الروايات فى السنة عشراً . وهو كم قليل ، ولكن الكيف متقدم .

● هل يشير قولك الى أن من معايير التقدم الكيفى للرواية العربية المعاصرة استيعاب التراث والانتقاء منه ، وأن ذلك عنصر من عناصر ترقية الكاتب اداته الفنية أو تطوره الطبيعى كما قلت ؟

ـ التراث عنصر لا يمكن انكاره أو التخلى عنه . ولكن المشكلة هى الانتخاب أو الإنتقاء منه بمعنى أى جوانبه أو عناصره نختار . والاختيار هنا عملية وجدانية قبل أن تكون ارادية عمدية . فاذا كان حس الكاتب متقدماً فانه ينتقى الجوانب النيرة ويضيف اليها ولاسيما أن تراثنا غنى بتلك الجوانب ، وقد يأخذ أيضاً نقطة سوداء من التراث ليكشفها ويقارن بينها وبين «تركتها» الموجودة حالياً باعتبار هذه التركة امتداداً لتلك النقطة أو النقاط .

إن توظيف التراث إذن عملية طبيعية وعفوية فهو كالالتزام ياتى نتيجة حتمية لثقافة وحضارة ما وأيضاً لموقف أيديولوجى . والتراث هو أحد مقومات شخصيتنا لا بالمعنى السلبى الذى ينطوى على المحافظة أو الجمود والرجوع الى الوراء ، ولكن بالمعنى الايجابى الذى يبصر موقع اقدامنا .

● يقودنا موضوع التراث والمعاصرة الى الحديث عن المحلية والعالمية . فمازال بعض كتابنا مبهورين بالنمط الروائى الغربى ـ وهذا لا غبار عليه من حيث الافادة من التقنيات ـ ولكنهم يديرون ظهورهم الى التراث العربى القديم منه والحديث استخفافاً به من منطلق أن «العالمية» إنما هى فى الأدب الغربى ، وأن المعاصرة تكمن فى نماذجه وحدها .

هذه المدرسة قائمة بيننا ولها نقادها بل وسطها الثقافى . فما تفسيرك لهذه المعادلة «المحلية والعالمية» ، ورأيك فى المفاهيم المطروحة حولها بين الحقيقة والوهم ؟

ـ هذا الموضوع مرتبط أيضاً بقضية المعاصرة . فالكاتب الذى يستوعب الابداع الانسانى كله . والطريق الصحيح للدخول فى محرابه أى فى العالمية هو الاضافة الى هذا الابداع . وأنا إذ اكتب ، فانى أستحضر التراجيديا الاغريقية والمعلقات واشعار أبى فراس ، والمتنبى بنفس القدر الذى استحضر فيه أراغون ، وايتمانوف الكاتب السوفيتى .

والفن الحقيقى هو فى جوهره عالمى . فبقدر ما تكون ثقافة الفنان عميقة يكون ابداعه عالمياً . والأدب فى مفهوم المدرسة الواقعية التى أنتمى اليها يرتبط بالعنصر الشعبى والوجدان المحلى وبالوطن الذى يتميز بطابعه الخاص . وهذه كلها تمثل قيماً انسانية مشتركة .

والمؤسف عندنا وفى لبنان بصفة خاصة ولدى بعض الأدباء والنقاد غير الحقيقيين أنهم يعتبرون أن العالمية أو المعاصرة هى مطابقة الانتاج الأدبى فى بلد ما لآخر مما ينتج فى أوربا أو أمريكا . ولذلك نراهم يرصدون آخر ما كتب ماركيوز مثلا فى أمريكا اللاتينية ، وينسون ما كتب يوسف القعيد أو الغيطانى .

● هذه النظرة الزائغة التى يروجون لها . ألست معى فى أن وراءها موقفاً أيديولوجياً مثل نظرية الفن للفن ؟

ـ أقول بصراحة التنظير للجمال ـ إذا صح هذا التعبير ـ تسيطر عليه فى وطننا العربى عناصر بورجوازية ترفض من الأدب كل ما له صلة بالنضال وبالواقعية وبالمرحلة التى تجتازها الأمة العربية . لا استثنى منهم إلا القليل ، وهم يمثلون أصواتاً محدودة ضيقة المجال .

فرواية جمال الغيطانى «الزينى بركات» وهى تترجم الآن فى فرنسا ستقراها هذه العناصر من النقاد والأدباء الذين كانوا يتجاهلونها برؤيا جديدة ، لا لشىء إلا لأن الآخرين « الفرنسيين » أعطوها اهتماماً لم يوله إياها أهلها .

● مادمنا بمعرض تقييم أعمال جمال الغيطانى كما ذكرنا ويوسف القعيد وهما من الروائيين المصريين المعاصرين الذين يمثلون الاتجاه الصحيح فى نظرنا ، فما رأيك فى أعمال الكاتب الروائى الطيب صالح وهى فى رأيى تنتمى الى نفس المدرسة ؟

ـ فى رأيى أن روايته «عرس الزين» أقل فنياً . وعلى أية حال فكل أعماله واقعية وذات عنصر شعبى . وتبقى هنالك ميزة كبيرة للطيب صالح يحمد عليها ، وهى أنه رغم قدرته على الكتابة بالانجليزية ، وأنه لو كتب بها لوجد له الافاً من



مع الروائي العربي الجزائري
الطـــاهر وطـــــار

القراء فى السودان ، ورغم انه يعيش فى انجلترا فانه لا يكتب إلا بالعربية . ولقد كتب بشرف وأمانة عن مشاكل وطنه ، وكتب للقارىء العربى .

اننى أكتب بعفوية

● أثارت روايتك «العشق والموت فى الزمن الحراشى» جدلا كثيراً بين القراء والنقاد ، ذلك أنها صيغت فى بعض فصولها بالطابع الذهنى أو ـ على وجه الدقة ـ بالقضايا المجردة ، على حين تتسم رواياتك فى مجملها بمعالجة قضايا الواقع . وربما انعكس ذلك على تقييم بعضهم لها بالنسبة لأعمالك الأخرى وذلك من ناحية الابداع الفنى .

فكيف ترى التوفيق فنياً بين التعبير عن القضايا الذهنية ومشاكل الواقع ؟

ـ الأساس هو انتمائى ـ كما قلت ـ الى الواقعية ولكن بالمفهوم الرحب لها أى كمدرسة لا كاسلوب وذلك بالنظر الى وضعيتنا فى العالم الثالث . فنحن محتاجون الى رمز والى السيريالية وحتى الى التجريد الذى تعاديه الواقعية الاشتراكية باعتباره عدوها الأول . وقد يكون استخدام الرمز أو التجريد إضافة وإثراء لتلك المدرسة .

وهذا الاستخدام عندى لا ينفى أن توجهى العام هو الحفاظ على «طبقية الأدب» رغم أننى لا أتبع أسلوب البطل النموذجى وذلك لأن العنصر المؤثر والشائع فى حياتنا هو العنصر المعادى مع الأسف مثل «الشيخ بو الأرواح» فى «الزلزال» ، و «علي الحوات» فى «الحوات والقصر» .

كما أننى أحافظ أيضاً على «حزبية الأدب» بمعنى تكريس العمل الفنى لشرح وجهة نظر .

وأحافظ كذلك على شعبية الأدب ، وذلك بمعنى ربطه بالوجدان الأدبى والحس الشعبى وتقاليده وشخوصه بحيث لا يكون الأدب غريباً عليه من حيث الصورة .

والخلاصة هو ضرورة أن يكون وجدان الكاتب أصيلا . ولكن ليس هنالك قوالب أو «نسب» معينة ، وإنما تكون «النسب» بحسب الظروف أو الموضوع فالعملية فى حقيقتها هى دمج وصهر . وعلى ذلك فانى آخذ أحياناً «نسبة» عالية من الواقعية وأمزجها بنسبة محدودة من الرمزية أو التجديد . وأحياناً يكون العكس مثلما هو الشان فى «عرس بغل» . كما قد تكون النسبتان متعادلتين مثل «العشق والموت فى الزمن الحراشى» .

● بطبيعة الحال لا تقف طبيعة المرحلة التى تخوضها الطبقة الشعبية وظروفها وراء نوع هذه النسبة أو المزيج . ويذكرنا هذا ببعض أعمال برتولد بريخت المسرحية ، لا من حيث استخدام أسلوب الرمز أو التجريد وإنما أسلوب التقرير نفسه حيث كان الموضوع يقتضى ذلك .

ـ نعم فهذا العامل هو الذى يحدد أسلوب المعالجة الفنية أى «تركيبة المزيج» .

● لنعد الى تطبيق ذلك فى ضوء طبيعة المرحلة التى يتناولها العمل الفنى ـ على روايتيك «عرس بغل» و «الحوات والقصر» من حيث معدلات الواقعية والتجريد فيهما أى تغليب هذا العنصر أو ذاك على الآخر .

ـ مسالة الصراع مثلا ظاهرة بارزة وحيوية فى العالم الثالث . فكيف نستطيع أن نعالجها إلا بالأسلوب الذى اتبعته فى الرواية الأولى وليس هذا الأسلوب فى الحقيقة تجريداً وإنما هو واقع معادل لما لا نستطيع المصارحة به . وهو مفتاح سياسى لكى تفهم الرواية .

أما فى الرواية الثانية فقد كان هدفى كشف حقائق معينة معروفة فى التاريخ الجزائرى ، وابراز عناصر سلبية أى كشف سلبيتها . فاضطررت الى الرجوع الى أسطورتها والى الميثولوجيا . فاسميت البطل «علياً» نسبة الى الامام علي باعتباره أعظم المثاليين . ومن ثم فان هذا الاسم يدخل فى تركيبة القارىء العربى النفسية ولو لم يع انه سيدنا علي بن أبي طالب .

● هل يمكن القول إن هذا التناول من أسباب انقسام القراء والنقاد فى الرأى حول انتاجك ما بين رافض وراض ، وذلك مع استبعاد الجانب الأيديولوجى على سبيل الافتراض . فالرافض انطلاقاً من موقف مسبق لا يعنينا فى هذه القضية الفنية .

وبعبارة أخرى فان هذا الاختلاف فى الرأى مرده الى اختلاف الأسلوب فى رواياتك ما بين الواحدة والأخرى . فما يكاد يقتنع بالأسلوب الواقعى ـ وخاصة المتشبع بجماليات الواقعية ـ حتى يفاجأ بتسلل تطبيقات فنية أخرى الى رواية تالية ، دون أن يكتشف العوامل التى أدت الى ذلك ، تلك العوامل التى أشرت اليها أو أنه يراها من قبيل التبرير الذى لا يقنعه ؟

ـ إنى أكتب بعفوية ، فليس عندى تصور مسبق أو تصميمات هندسية جاهزة التقطها من مطالعاتى ثم أقول اننى أحتذى أسلوباً ما . ولكنى أجعل المضمون يتفاعل مع الشكل ويخرج بطريقته . وهذا ما يجعل العمل عندى لا يشبه العمل الآخر من حيث التكنيك . وأعتقد أن هذا شان كل المبدعين . فمنجواى هذا المبدع العظيم ليست أضخم رواياته هى أعظمها ، بل إن أصغرها هى الأروع . انظر مثلا «الشيخ والبحر» كم هى صغيرة جداً ، ومع ذلك فهى خير ما كتب .

● اذا جاز للفنان أن يفاضل بين أبنائه فايهما تؤثر : اللاز أم العشق والموت فى الزمن الحراشى ؟

ـ الفترة الزمنية التى عالجتها فى «اللاز» كانت عبقرية وهي ثورة التحرير الجزائرية . أما الرواية الأخرى فقد تناولت فيها فترة غير متبلورة ، ونضالا شبه حي ، وصراعا على السلطة حقيقياً ولذلك رصدت هذه الفترة كما هى . وهكذا ترى انه يصعب علي الخيار بين الروايتين ، فقد وظفت فى الثانية نفس الجهود والامكانات التى وظفتها فى الأولى التى يبدو أنها استأثرت بالأفضلية عندك وعند الكثيرين أيضاً . ولكن ظل المرحلة انعكس على العمل الفنى . وهذا هو التفاعل بين الكاتب وبين المجتمع . إننى ـ وفقاً للخلاصة التى خرجت بها من تجربتى فى العمل الفنى ـ أحاول أن أخلص الشكل الروائى عندى من القوالب والمفاهيم الجاهزة سواء من حيث اللغة أو من حيث التكنيك والصورة .

● ربما يدخلنا هذا فى العمل التجريبى رغم أنه الطريق الوحيد للتطور وحتى لا تصبح أسرى للقوالب التى انضجناها ـ إنها تضحية أن تختار الطريق الصعب لأنه غير المطروق المعبد . ولكن الفنان الرائد الحقيقى يتحملها لأنها بعض الضريبة التى ينبغى عليه أداؤها .

بالمناسبة كيف تقيم أنت «عرس بغل» تلك الرواية الأخيرة التى جرت أحداثها فى مبغى والمليئة بالتضمينات والرموز والأساطير والتجريد والتى نالت إعجاباً على نطاق واسع وإن كنت ـ إذا قلت رأيى الشخصى ـ قرأت « اللاز » و « الزلزال » مرات أكثر مما قرأتها ؟

وعلى أية حال فهي متميزة في توظيف العناصر التي ذكرتها .

ـ لست راضياً كل الرضى عن «عرس بغل» على عكس أكثر النقاد . فهى عمل روائى يستوى عندى مع غيره . ولعل لعبة الرؤى والتهويمات التى وظفتها هى التى أدت الى هذا الاغراء . وهذا نوع من السذاجة . وانا ضد أن يعجب الناس بعمل دون أن يفهموه .

لقد تناولت ـ لأول مرة فى الرواية العربية ـ وحدة الوجود المادية ووحدة التاريخ ووحدة الصراع ولم ينتبه ناقد واحد لذلك رغم أن الرواية حظيت بما يشبه التقديس فى الوطن العربى . كما لم ينتبه أحد الى المضمون وهو أن البورجوازية الصغيرة لا يمكن أن تكون مخلصة فى نواياها وفى ثوريتها . وقد اكتشفت ذلك فى التحية التى تعبر عن ثقافة تلك البورجوازية .

عراقة الرواية العربية

● دعنا نختم هذا الحوار بعود على بدء ، فنتكلم عن عراقة الرواية العربية طالما أنه مازال هناك حتى بين النقاد من يرى أن الرواية ـ كأنما لم تكفهم المسرحية ـ ابتداع أوربى لم نعرفه إلا حديثاً ، بل يشككون فى القيمة العالمية لأفضل ابداعنا الروائى المعاصر كما بدأنا الحديث .

ـ قرأت ـ عن طريق المصادفة ـ رواية عنوانها «ذات الخدر» وقد صدرت منذ قرن تقريباً ، ولعلها أول رواية عربية وربما سبقتها غيرها ، مما يدل على أن هذا العمل (الرواية) قد تأصل عندنا كفن فنحن ورثناه كما ورثنا الموسيقى واللباس ـ وأود أن أقول فى هذا الصدد إن المرء الذى يقرأ رواية بلغته يتأثر مائة مرة أكثر مما يتأثر اذا كانت مكتوبة بلغة أجنبية .

● مادمنا قد تطرقنا الى هذا الجزء الذى يضرب فى الماضى لفن الرواية العربية ، وحيث لم تقع هذه الرواية ضمن ما يتاح لى الاطلاع عليه ، ولاشك أن هناك كثيرين مثلى ، فمن هو كاتبها وما قيمتها من الناحية الفنية ؟

ـ هى للبستانى هذا الكاتب الشامى الذى عاش مع كثيرين من رفقائه بمصر . وقد نشر تلك الرواية ابنه بعد موته بزمن طويل . وهى قصة مطولة إذ تنهج أسلوب القص ، ولكن فيها صراعاً درامياً وإن كانت ساذجة ، إذ يقتبس المؤلف أبياتاً من الشعر يضمنها قصته . ويقول إنه مهما حاول لن يطاول أصحاب هذا الفن من الكتاب الغربيين ، وإنه عانى فى تأليف روايته لأن اللغة العربية لم تتعود هذا النمط من الأدب ، فهو لذلك ينحت نحتاً ، مقدراً بذلك قيمة العمل الذى هو مقدم عليه .

أصل من هذا المثال الى اننا استوعبنا فن الرواية كما استوعبه غيرنا فلماذا عقدة النقص؟ لماذا ننكر التاريخ ونتجاهل الواقع ؟ والمسرح أيضاً متأصل فى ثقافتنا العربية . إن هذه العقدة هى التى تجعلنا نعيش تحت الحصار . إن انتاجى أنا أو غيرى من الأدباء العرب يقارن عندنا بالغرب، وهو قياس مع الفارق كما يقولون . فالذين يقومون بهذه المقارنة لا يفهمون ظروفنا كعرب فى العالم الثالث فى ظل مرحلةتاريخية محكومة بأوضاع مختلفة عن العالم الأوربى . إن هؤلاء النقاد مستلبون فى الحقيقة .

● هذه المقارنة غير الموضوعية تصل عند بعض النقاد الى صميم البنية الفنية عند الكاتب الروائى !!

ـ انهم لا ينظرون الى نجيب محفوظ مثلا ليقيموا آخر رواياته إلا فى ضوء ما قرأه أخيراً من أعمال روائية ، فاذا لم يعرفوا افترضوا ثم قارنوا بينها وبين رواية أو روايات ربما لم يقرأها أو يسمع بها.

إنهم مبهورون بأسلوب الجمل القصيرة الضاربة كالرصاصة فى الرواية ويعتبرونها الأسلوب الأحدث ويرونها وحدها المعاصرة ، وهم لا يعلمون أن همنجواى عالجها قديماً . كما عالجها نجيب فى «كفاح طيبة» أولى رواياته ... وهذه الجملة القصيرة أشبه بجملة شكسبير إذ هى أيضاً طلقة . ونحن تجاوزنا هذا . والأسلوب الآن هو الجملة الطويلة والحوار يدخل ضمن هذه الجملة .

ونحن لا نأخذ جملة من حقيبة لنضعها فى حقيبة أخرى ، بل إن اختيار نوع الجملة يكون نتيجة الجو النفسى الذى يعيشه الروائى أثناء الكتابة ، أى أنه ثمرة التفاعل فالجملة هى انعكاس للانفعال داخل الكاتب .

● إحساس الشاعر بل وصياغته أحياناً يبرزان فى رواياتك ، فهناك مقاطع تكاد تكون شعراً وهى نسيج عضوى داخل التركيب الفنى ـ هذا ما لاحظته . فهل ترى ذلك ـ إن وافقتنى عليه ـ ثمرة تأملات تنسكب شعراً وذلك بعد طول الصراع وتجربة المعاناة ، أو ماذا تسميه ؟

ـ وأنا أكتب «العشق والموت فى الزمن الحراشى» وقفت أمام صورة وهى العمل المباشر للطلبة فى الأرض وهو ما يسمى التطوع للثورة الزراعية ـ عندما بلغت هذه الصورة التى كتبتها وقبل أن أتابع الكتابة ضحكت فى نفسى وقلت : ها هو ذا ـ أقصد نفسى ـ كاتب دجال يريد أن يربح عدة صفحات بتصوير هذا المشهد حين يقول : «العرق المتصبب .. الأرض المتعرجة ... والصخور والأحجار التى تنبع هنا وهناك ....» ثم قلت : «لا .. إن الأرض يعرفها الانسان منذ ملايين السنين والانحناء يعرفه البشر ـ لا أحد يجهل ذلك ـ وإذا كنت مخلصاً فانى أقول :

(ونشبت معركة بين الأجساد المحنية والأرض) جملة كالشعر ـ وقلت : فليؤلف القارىء معى تجربته حتى لا أخدعه وأتطاول عليه . ولأترك التفاصيل والتضاريس فهو يعرفها مثلى .

ربما ترى معى أن هروبى من العبارات التعميمية والتجريدية هو سر الشاعرية التى تراها فى كتاباتى . وأضيف الى ذلك أننى مازلت أعانى من اللغة العربية . لقد تخلص نجيب محفوظ من هذه «الرجرجة» . ولكن عندما تكون كاتباً ملتزماً فان كل كلمة تكتبها ينبغى أن تكون لها دلالتها . وهذه هى البلاغة العربية (خذ مثلا تصوير الشاعر القديم لطول العنق فى دلالته على الجمال : بعيدة مهوى القرط) . إن الكاتب حينما يعيش تجربته ويتمثلها لا يحتاج الى حذلقة .

● معاناتك التعبير العربى المضيء والمحكم فى دلالته لا تكاد تظهر للقارىء ـ فأداتك اللغوية طيعة بين يديك ، ووفرة انتاجك دليل على هذا

وهنا يخطر لى أن أسألك : هل تعيد صياغة العمل الفنى أحياناً وصولا الى الكمال الذى ينشده الفنان ولاسيما أنك أثرت مسألة معاناة التعبير اللغوى ؟

ـ لا أجرى إلا تغييرات طفيفة فقط فى العمل الروائى ، ويكون ذلك وقت كتابته على (الآلة الكاتبة) . وأجدنى فى كل مرة أنتهى من عمل جديد أكثر تمكناً وأن اللغة صارت أيسر وأطوع لى . لقد كتبت «عرس بغل» فى ١٤ يوماً ، ولكن ـ بطبيعة الحال ـ فكرت فيها واختمرت فى داخلى سنوات .

وأخيراً ، فان عالم الطاهر وطار يقصر عنه هذا الحوار ، فمخططات الرواية الجديدة التى يكتبها الآن «تجربة فى العشق .. !!» بين يدى : مقدمة منطقية ومقدمة سياسية ، ولكنها تحتاج الى ساعات أخرى فى يوم ما قد يكون قريباً .

د. حسن فتح الباب

ثلاث قصص قصيرة

بقلم : محمد البساطي

① التوت البري

اعتدنا أن نراها ـ تلك العجوز ـ ونحن في طريقنا إلى القبور . تجلس أمام عشتها على شاطىء النهر بجلبابها الأسود المهلهل وبجوارها المقطف والعصا . ما كانت تبدى اهتمامنا عندما يمر أحد على الطريق .. حتى هؤلاء الذين يتقدمون ليضعوا في المقطف شيئاً .

كانوا يحكون في طفولتنا عن الشياطين التي تحوم دائماً حولها . والحرائق التي تشتعل من حين لآخر في البلدة . والأطفال الذين يموتون خنقاً وتطفو جثثهم على سطح النهر .

وكنا رغم تحذيراتهم والعقاب الصارم نجد طريقنا إليها . نتسلل في الظهيرة ـ تلك الوقت الذي تخلو فيه الشوارع من الكبار ـ وكانت تهش في وجوهنا . وتضرب بعصاها على جانبي ساقيها الممدودتين وتجمعنا حولها ، وتسمح لنا بتسلق أشجار التوت التي تظللها . تلك الأشجار التي لم تلمسها يد قبلنا .

كان الأولاد يطاردوننا حين نقترب من إحدى الأشجار في البلدة ويلوحون بسقوطنا من فوقها . فليأتوا الآن ويروا كيف نقفز كالقردة بين الفروع . وفاجأتنا العجوز يوماً بحبل جاءت به من داخل العشة . ووقفت تكتم ضحكاتها . وقذفنا بطرفه الى فرع الشجرة وأخذنا نتأرجح . كانت تدفعنا معنا . وتصهل وقد تناثر شعرها الأشيب القصير . وسرعان ما تتعثر منكفئة وسط تهليلنا . وترقد لاهثة أمام العشة . وننزلق الى النهر . كنا نغوص ونمد أقدامنا الى سطح الماء ، ونتسابق الى الشاطىء الآخر . لا نخشى قطع الحجارة التي كان الأهالي يقذفوننا بها ليخرجونا من الماء وكأنما يفزعهم غرقنا . ونراها . العجوز ـ ما كانت تخلو أبداً من الحيل ـ وقد جاءت بألواح من الخشب وأخذت تقذفها الينا ـ تلك الألواح التي تنام فوقها بعد أن تغطيها بالقش ـ ونقفز اليها ونجذف بأذرعتنا . ونراها تجري على الشاطىء بجوارنا ، وتهلل حين يسقط أحدنا من فوق اللوح .

عندما كنا نلمح أحداً قادماً على الطريق كنا نهرع اليها . وتخفينا داخل العشة . ونظل بالداخل نلهث رعباً ، نختلس النظر من بين عيدان الغاب حتى يبتعدوا .

ويحدث دائماً ما يجعلنا نبتعد عن العشة . وتطول فترات ابتعادنا . ويستغرقنا البحث عن الرزق . ونمضي .

ونفتح بيوتا . ونرحل عن البلدة ونعود . ويكون لنا أولاد . وحين يتأخرون في العودة الى البيوت .. كنا نفتش في وجوههم عن آثار التوت ولمعة الاستحمام . ويقسمون لنا من خلال بكائهم انهم لم يذهبوا إلى هناك .

ونراها ـ تلك العجوز ـ حين نمر بها وكأن السنوات لم تغير منها شيئاً . ونشعر بحركة الأولاد المضطربة داخل العشة . غير أن أحداً منا لم يجرؤ يوماً أن يتقدم ويسحب الأولاد من الداخل .

② الطفل

كل شيء كان معداً لمجيئه . الحجرة القبلية أفرغت من أثاثها ، حيث تتدفق الشمس من الشرفة الواسعة ، وتمتد النباتات المتسلقة حول بابها ، وغطيت الجدران بالورق الملون . كان أحد الجدران يبدو كبحيرة واسعة زرقاء يسبح فيها بط وبجع وزورق شارد . والجدار المواجه يبدو كمرعى في ريف أجنبي به قطيع من الأغنام ناصعة البياض وفلاح مورد الوجه يلبس البنطلون والقبعة . وفرش السجاد السميك على الأرض الخشبية ، ووضع سرير صغير بسياج في أحد الأركان ، وتناثرت اللعب في الحجرة .. حصان ، مكعبات ، أرجوحه .

ومرت الشهور الأولى لم يحس به أحد . كان يصحو من النوم ويرضع ثم يعود للنوم .

وتساءل الأب وهو ينحني فوقه .. ان كان يشبهه ؟

وقالت الأم .. أن شكله يتغير كل يوم .

في الشهر الخامس كان ينام وحده في الحجرة ويترك الباب موارباً . كانا يتسللان على أطراف قدميهما لينظرا إليه وهو نائم ، ويبدو الطفل وكأنما أحس بنظراتهما .. كان يتمطى قليلا ثم يفتح عينيه . ويقول الأب :

ـ انه يعرفنا

ـ طبعاً

كان الولد يشب ممسكاً بسياج السرير ، وينحني الأب مقترباً بوجهه ، ويحس بالأصابع اللينة تجري على شفتيه وخديه ويغمض عينيه مستسلماً .

وخرج يوماً من الحجرة يجفف وجهه ضاحكاً وقال :

ـ اللعين خمش وجهي .. انظري !

كان وجهه ملتهباً ، وأشار بأصبعه إلى عينيه :

ـ هنا .. وهنا .

ـ سيكون ولداً شقياً .

وضحكا ، واندفعا إلى الحجرة . كان الولد يدلي قدميه من فتحات السياج ويصيح .

عندما بدأ يحبو كانا يخرجانه من السرير ويغلقان النافذة ، ويقفان يصفقان ويتقافزان ، ويزحف الولد ذهاباً وعودة وقد رفع رأسه ملتفتاً اليهما .

ـ يكفي اليوم .

ـ آه . لن نرهقه .

وخرج الأب يوماً من الحجرة . كان يضحك منحنياً :

ـ أنظري .. هذه المرة مزق وجهي .

كانت آثار الأظافر محفورة على خديه . ووقف أمام المرآة :

ـ نزع الجلد تماماً . في المرة السابقة لم يصدقوا فى المكتب أنه ابنى واقسمت لهم انه الولد . ولم يصدقوا . قالوا .. أتريد أن تقنعنا أنه الطفل ؟

وضحك . وضحكت امراته . وسارا إلى الحجرة ، ونظرا من فتحة الباب الموارب . كان الولد راقداً فى الفراش يحدق فى السقف ، والتفت ونظر إليهما ، ثم عاد يحدق فى السقف .

قال الأب :

ـ ما رأيك ؟ لن يكون مثلى . على الأقل سيعرف كيف يأخذ حقه .

وضحك ، ووضع ذراعه على كتف امراته وظلا واقفين بفتحة الباب يرقبان الولد .

وكان يخطو خطواته الأولى مستنداً على الجدار . وهما بجواره يهتفان وأيديهما حوله ..

ـ خطوة أخرى .

ـ آه .. خطوة أخرى .

وصل الولد إلى نهاية الجدار ، ثم انزلق جالساً . وحوله الأب وأخذ يقفز فى الحجرة

ـ يومان آخران ويجرى فى الشارع .

وضعه فى الفراش . كان الولد هادئاً ، ومد يديه ، وانحنى الأب فوقه . تأوه قليلا ثم ابتعد ، وخرج من الحجرة .

ـ ألم تقصى أظافره ؟

ـ آه . أمس . ماذا حدث ؟

كان وجهه دامياً . وقد تلوثت ياقة القميص البيضاء . أسلم وجهه ليدى زوجته ، كانت تجفف الجروح بالقطن والسبرتو الأبيض . قالت :

ـ من الأفضل أن تأخذ حقنة .

قال ضاحكاً : من الآن ويفعل ذلك معى .

وخرج يوماً من الحجرة ممسكاً بفمه . كان وجهه متقلصاً من الألم ـ وهوى أمام امراته التى صرخت . كان فمه ملطخاً بالدم . جففته سريعاً . غير أن الدم ظل يتدفق . كان هناك ثقبان بشفته العليا . وضعت الشاش والشريط اللاصق على شفته .

وقال هامساً : أسنانه .

وقفا بباب الحجرة . كان الولد راقداً يحدق في سقف الحجرة وقد برزت أسنانه من بين شفتيه المضمومتين ، ولعابه يسيل على ذقنه ..

ـ كيف ؟

ـ لا أعرف . كان بالأمس على ما يرام .

ـ وكيف أرضعه ؟

ـ آه .. وكيف ترضعينه .

ـ لاتقل اللبن المجفف .. لا اريد أن يستخدمه .

ووقفا بباب الحجرة صامتين . واستند الولد على كوعيه ونظرا اليهما ، ثم استلقى مرة أخرى محدقاً في السقف .

③ الجفاف

كان النخيل كثيفاً حول البلده وبعده يمتد العراء . خرج الرجلان من عتمة النخيل وسارا فى العراء . خرج الرجل الطويل أولا ، كان يلبس قميصاً أسود وحذاء خفيفاً . التفت وراءه ورأى الرجل الآخر قادماً ، وبعدها لم يلتفت . كان يلبس جلباباً قاتم اللون ويلف رأسه بشال أبيض متسخ ، وظلت المسافة بينهما ثابتة .

كانت الأرض بوراً واسعة تغطيها شقوق كثيرة وقنوات رفيعة جافة تناثرت على جوانبها أشواك وأشجار نحيله جرداء بدت فروعها كعيدان الحطب . وكان وهج الشمس حاداً ، وهواء ساخن يهب خفيفاً محملا بغبار ناعم .

اخترقا الأرض البور فى خط مائل نحو بقعة خضراء بدت عن بعد . كانا يسيران دون عجلة وكان الريح تعوق تقدمهما وقد انحنى الرجل فى المقدمة على نفسه ووضع الآخر الشال حول فمه وأنفه . وتلون الجو بالأصفر الشاحب ، وغطت الشمس غشاوة عكره .

كانت البقعة الخضراء ترتفع قليلا عن الأرض ، واختفى الرجل داخلها . وكان الآخر لا يزال يسعى وراءه وسط زوابع الغبار وقد التف الجلباب حول جسده .

سار الرجل بامتداد مجرى مائى ضيق ، كانت النباتات الشوكية على جانبيه قاتمة الخضرة وباطرافها زهور صفراء ، وأشجار كثيفة الأغصان أخذت تهتز مع الريح . وكانت القناة تنتهى بسد من الاسمنت وبعدها تنحدر الأرض نحو العراء .

التفت على صوت خطوات خفيفة ، وبدا وكانما فوجىء بالرجل الآخر على جانب المجرى وتبادلا النظر فى صمت .

كانت زوابع الغبار تجرى متلاحقة خارج الأشجار وتجرف فى طريقها الأشواك الجافة وانحنى الرجل ذو الجلباب وغسل وجهه وجففه بطرف شاله ، ثم عبر المجرى . كان قصيراً بوجه عجوز وشارب أسود كث ، وعينين صغيرتين . وكان الآخر ذو القميص الأسود حليقا له وجه طفل . أزاح شعر رأسه عن عينيه . كان يلهث وظهره لجذع شجرة .

اشتد هبوب الريح . كان صوتها يدوى أجوف وسط الأشجار . واختفى وهج الشمس ، وضوؤها الضعيف ما زال يتسلل من حين لآخر ، وعبق الجو بغبار قاتم .

وضع القصير يديه داخل فتحتي الجلباب الجانبيتين ، وبدا وكأنما يسوى الصديرى وتقدم خطوة ، وانتفضت يدا الفتى خفيفاً ثم سكنتا بجواره . كان وجهه مبللا بالعرق والغبار .

انقض الرجل سريعاً ودس قبضته فى بطن الفتى ، وأدارها شمالا ويميناً . بدا الفتى للحظة وكانما أخذته المفاجأة ، وامسكت يداه بقبضة الرجل ، وانحنى دون صوت . كان ينزلق فى بطء ، وسقطت رأسه على كتف الرجل ، وبذل جهداً آخر ، وظلت رأسه مكانها .

نزع الرجل قبضته ، واختلج جسد الفتى . وأمسكه الرجل من تحت إبطيه وانزله فى هدوء . وتكوم مديراً ظهره . وزحف قليلا حتى التصق بجذع الشجرة ، وزفر مرة أخرى ثم استرخى ساكناً .

كانت أوراق الشجر الجافة تغطى المكان وقد علقت باطراف النباتات الشوكية ، وطفت على سطح المياه في المجرى ، وأزاحها الرجل بيده ، وغسل سكينه وأعاده لجيبه ، ثم انطلق عائداً .

لقد خفت حدة الريح ، غير أن الجو ظل عابقاً بالغبار . ●●●●

من روائع الفن العالمي

تقديم : جمال قطب



الفنان ادوار مانيه

الفنان الفرنسي مانيه

سخر النقاد من لوحاته فاحتلت أعماله متحف اللوفر!

● يعتبر (مانيه) بحق رائداً لانطلاقة الفن الحديث .. والرواد دائماً هم أصحاب رسالة ، يجابهون من أجلها العناء بقدر ما يستحقون من فضل .

● نشأ فى باريس من أسرة تنتمى إلى البورجوازية المستنيرة بكل ثقافاتها المرهفة وارتباطها الوثيق بجماليات الفنون ، وفى الفترة ما بين عامي ١٨٣٢ ، ١٨٨٣ تلك الحقبة التى عاشها إدوار مانيه من القرن التاسع عشر ، جرت أحداث خطيرة ، ربما كانت أخطر أحداث التاريخ الفرنسى كله : الاكتشافات الهائلة فى العلوم وتطور الصناعة والأفكار الديمقراطية ، كما اندلعت الحرب السبعينية الرهيبة وما أحدثته من هزة عنيفة فى فرنسا والعالم أجمع . وكان مانيه يتفاعل مع مسيرة الحياة بوجهيها المتناقضين ، النور الحضارى والأفكار المستقبلية ، وكذلك الحرب والكوارث التى داهمت الحياة الفرنسية المترفة ، هذا ، بالاضافة إلى التنكر لفنه كحدث جديد لم يألفه الناس من قبل !

● كان مانيه مثالا لشباب القرن التاسع عشر الهائمين بالتأنق والرفاهية والحرية .. ولكنه هجر كل تلك المظاهر وانضم إلى مجموعة (مقهى جيربوا) ملتقى الفنانين والأدباء الذين سعدوا بالفقر من أجل الحرية ، وكان شعارهم : لنبق نبلاء ولنسعد بفقرنا ! لقد امتلكوا العالم بشاعريتهم وأطلقوا ملكاتهم العبقرية متحررة من قيود المادة ، فصاروا قادة النهضة الفنية والأدبية التى أرست دعائمها فى النصف الثانى من القرن الماضى !

● وكما يلقى المجددون دائماً ، فقد اضطهد مانيه من عامة معاصريه ورفض الأكاديميون أعماله ومنعوه من عرضها فى المعارض الرسمية .. ويقف الأديب والمفكر الشهير إميل زولا بجانب صديقه مانيه ، ويطلق عبارته الشهيرة : تسخرون اليوم من مانيه ولكن أبناءنا سيجتمعون بزهو وإعجاب حول لوحاته ! ويصبح الفنان زعيماً لجماعته المجددة ، تلك التى أطلق على أعضائها بعد ذلك : التأثيريون .

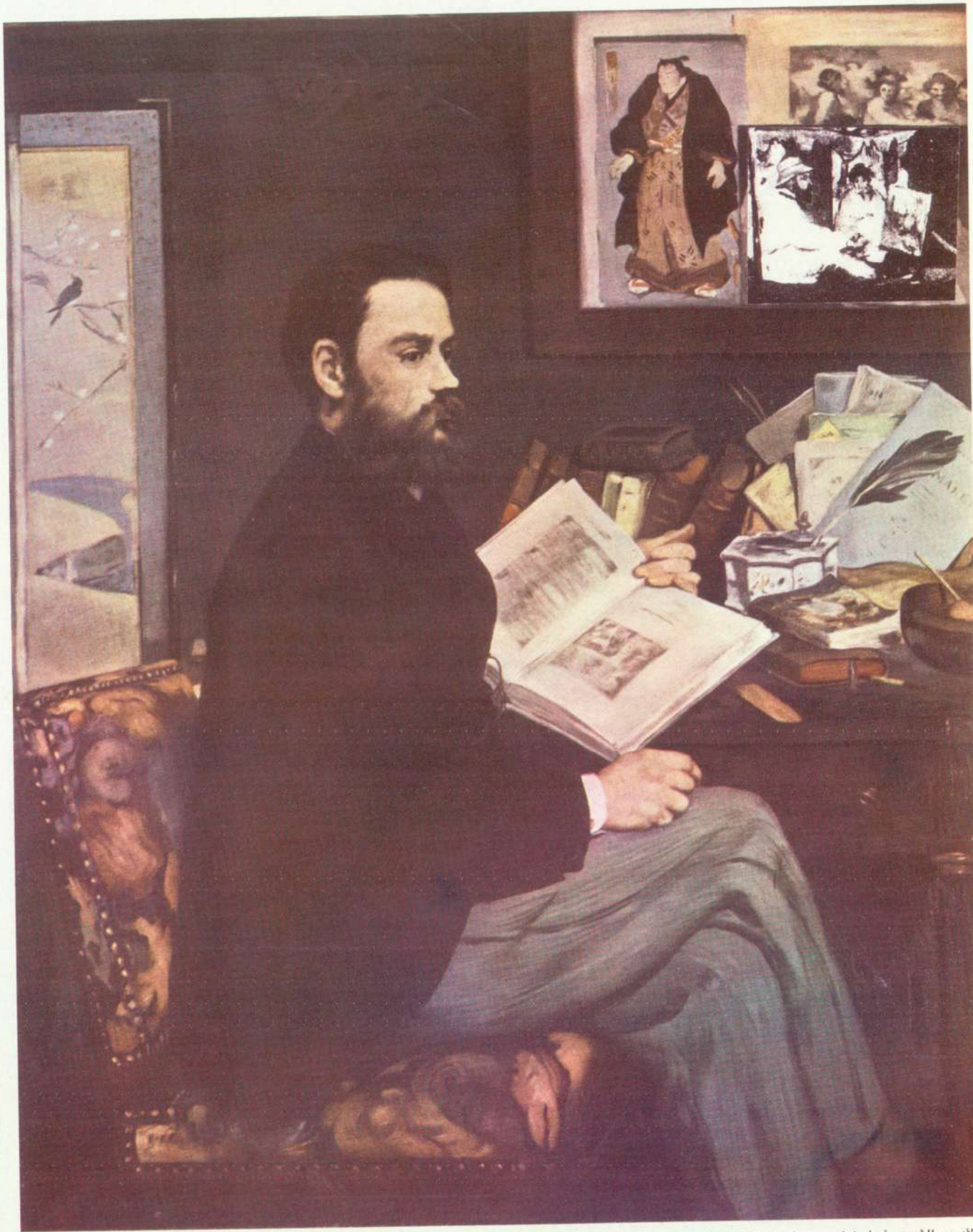
وفى المعرض الدولى عام ١٨٦٧ ، ترفض أعماله كذلك ، ويقف إميل زولا بجانبه ويقيم له جناحاً خاصاً لعرض أعماله فى مواجهة المعرض الدولى .. ويطلق شعاراً جديداً فى المنتديات وتردده الصحافة الفرنسية آنذاك : إن مانيه قد تحدد مكانه فى متحف اللوفر ! وتتوطد العلاقة بين زولا ومانيه ويستلهم الأديب رواياته من لوحات صديقه الفنان ، كما فعل فى لوحة (نانا) تلك الفاتنة التى رسمها مانيه عام ١٨٧٧ ، وقد أوحت لاميل زولا اسم روايته الشهيرة .

● من تلك العلاقة الرائعة بين زعيم المجددين مانيه والأديب الأشهر إميل زولا ، واعترافاً من الفنان بفضل صديقه ومواقفه بجانبه دائماً ، كانت هذه اللوحة الرائعة ، وقد وضع مانيه فى خلفيتها كثيراً من الأجواء التى طالما استهوت الصديقين وتلاقيا على الاعجاب بها : ملامح من الفن الياباني ، لوحات لفلاسكويز ، احدى لوحات مانيه التى دافع عنها زولا بحرارة ، مجموعة الكتب التى طالما اشتركا فى مطالعتها ومناقشة مضامينها ..

● ودهم المرض الفنان المرهف ، وتحت وطأة الصراع ومرارة النكران يختتم حياته سنة ١٨٨٣ . وقبل موته كتب لأحد نقاده الذين أسرفوا فى مهاجمته والتنكر لفنه يقول :

« كنت أود أن تتاح لى فرصة قراءة مقالك الرائع الذى ستختصنى به عندما أموت » !

وصدقت نبوءة زولا عن مكان مانيه فى متحف اللوفر .. فبعد عام من وفاته ، أشاد الجميع بفنه وعبقريته الفذة .. وافتتح اللوفر أبوابه بأمر من قادة فرنسا ، لتحتل أعمال ادوار مانيه أقدس المواضع فيه .



الأديب الشهير أميل زولا .. بريشة الفنان الفرنسى ادوار مانيه



في مهرجان عالمي للفنون الشرقية

تراث الهند.. يغزو لندن

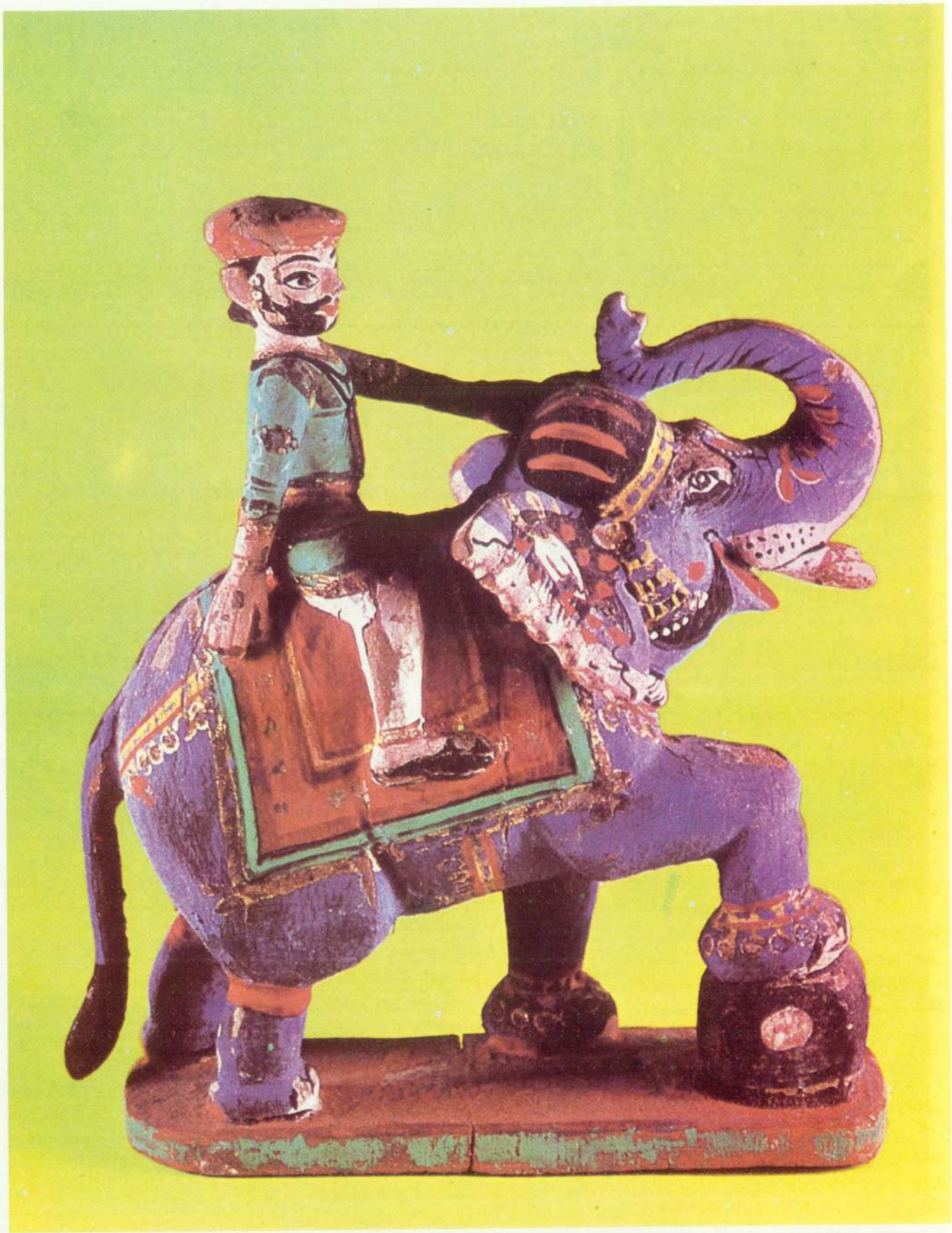
نجمة السينما الهندية « زينات » فى لقطة من اخر افلامها

رسالة لندن من :
مجدي نصيف

مهرجان الهند فى بريطانيا لعام ١٩٨٢ ، خطط ليكون أكبر عرض للثقافة الهندية وتراث الهند منذ استقلالها عام ١٩٤٧ عن بريطانيا . يتخلل المهرجان عروض للفن الهندى وفرق رقص وغناء وموسيقى إلى جانب الأفلام الهندية . بدأ المهرجان فى الثاني والعشرين من مارس ١٩٨٢ ، وقامت بافتتاحه السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند والسيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا . تستمر العروض حتى شهر نوفمبر من نفس العام .

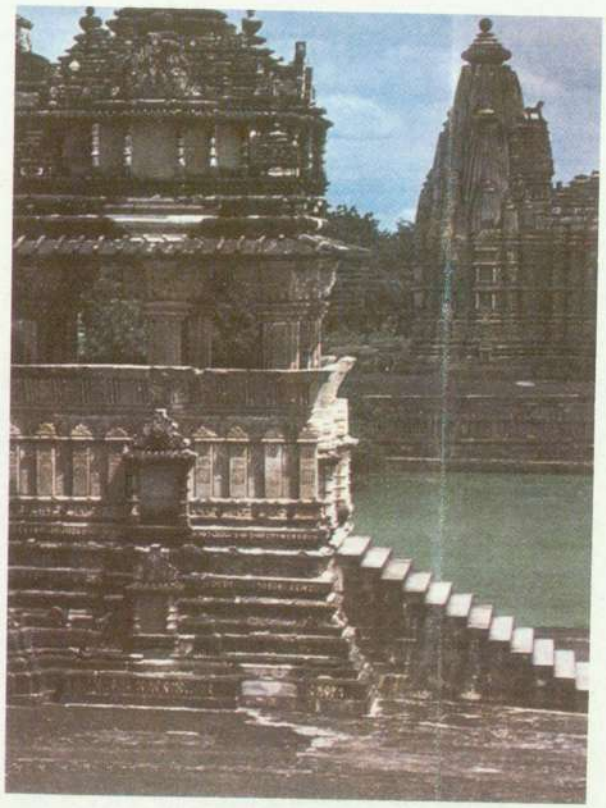
وفى جاليرى هوارد افتتح معرض الفن الهندى ليعرض الرسم والنحت الهندى على مدى ألفى عام . وابتداء من ٢١ ابريل عرض متحف البرت وفيكتوريا الحياة تحت حكم المغول فى الهند فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . كذلك عرض المتحف البريطانى ، الفن الهندى حتى القرن العاشر . كذلك قام متحف العلوم البريطانى ، بافتتاح معرض العلوم والطب فى الهند .

لقد كانت هذه فرصة طيبة لاستعراض الحضارة الهندية والتعرف إليها عن قرب . ففى جاليرى هيوارد أكبر عرض للفن الهندى تحت سقف واحد ، حيث يضم ٥٠٠ قطعة فنية من المجموعات الخاصة وتلك التى تملكها المتاحف الحكومية ، سواء فى الهند أم فى بريطانيا .



تحفة نادرة من الفن الهندى يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر .. التحفة من الخشب المزين بالالوان والنقوش

تراث الهند يغزو لندن



الرسوم الجدارية تجمع بين الانسان والطبيعة فى توافق وانسجام والوان زاهية

هناك أمور ثلاثة رئيسية تلفت النظر بشدة فى الفن الهندى :

أولا : أنه ينقسم بالتساوى بين النحت والرسم ، وهو بذلك أكثر اتساقا وتساويا من الفن الغربى .

ثانيا : شمولية فن النحت ، ومزجه المستعصى بين الدين والعلمانية ، بين الالهام والدنيوية .

ثالثا : تركيز الرسامين الهنود على التفصيلات الصغيرة جدا ، يكاد يكون تصميما على أن المنمنمات لها جمالياتها .

فنون المعابد الهندية

وقد ظهر النحت الهندى أولا ، فى التماثيل الصغيرة وفى الأختام العاجية لحضارة وادى الهند قبل مجىء المسيح بالفى عام ، تلك الحضارة التى تركت بعض بصماتها وعادت لتطبع تطور البوذية والهندوسية . فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد زينت المنحوتات المعابد الهندية ، وكانت هذه هى بداية التراث الفنى الذى استمر قويا حتى القرن الثامن عشر بعد الميلاد .

ولم يتوقف فن النحت فجاة .. وانما تخطى مرحلة الانجازات العظيمة الضخمة ، وكل ما خلفه بعد ذلك كان عبارة عن أشكال صغيرة سهلة النقل معظمها مصبوب من المعادن . لقد انتهى زمن بناء المعابد العظيم ، وذهب معه سوق التذكارات ، لكن التراث غنى وحافل ، ويذهل العالم ، وخاصة الغرب الذى لم يبدأ فى استيعابه وادراك عظمته الا حين أخذ ينتهى ويعبر إلى زوايا النسيان .

يقول الناقد « جيوفرى مورهاوس » يصف اللقاء مع فن النحت الهندى : « كان أول لقاء لى بمعبد خاجراهو بوسط الهند . بدا لى كأنه وسط اللامكان ، رغم المدرج الضيق المخصص لهبوط طائرة تصل إلى هناك مرة كل اسبوعين . فأقرب قرية إلى المعبد تقع على بعد عدة أميال . ثلاثون معبدا وسط الأشجار والطبيعة الساكنة . لقد شيدت هذه المعابد بواسطة حكام « شانديلا » فى القرنين العاشر والحادى عشر ، قبل أن يضع أسقف وليم القاهر حجر أساس كاتدرائية درهام بمائة عام . (وهى بمدينة درهام البريطانية ، وتعتبر من أقدم الكاتدرائيات ليس فى بريطانيا وحدها ، بل فى العالم الغربى – الكاتب) . وليست ضخامة المعابد هى التى تجذب الأنظار ، لكن أشكالها البادية لك وانت تتجه نحوها تبدو وكأنها رواسب كلسية مخروطية ، أو كأفيال تحجرت الهوادج فوق ظهورها . فمن بعيد يمكنك أن تلحظ كثافة الزخارف التى زينت بها الحجارة . ورغم أن عمرها الآن أكثر من تسعمائة عام ، إلا ان الحجارة تبدو وكأنها قطعت وشكلت منذ ستة أشهر لا أكثر .

« ولا أعتقد أن هذه الأحجار قد تركت شيئا لمخيلة السائح تسبح فيه . فكل شىء مسجل هنا ، من مشاهد متتالية لمعارك ، تتابعها وانت تدور حول المعبد .. الأعمال اليومية العادية ، ثم مواقف احتواها بعد ذلك كتاب كاما سوترا ، وحيوانات لا تعد ولا تحصى » .

كيف يمكن فهم الفن الهندى الذى قد يبدو للبعض معقدا ؟

لمحاولة حل تعقيدات النحت الهندى ، يمكن للمرء أن يتخيل أن حكماء الهندوس يعتقدون أن الكون يأخذ شكل البيضة ، بيضة ذات ٢١ منطقة ، وتشكل « الأرض » المنطقة السابعة من أعلى ، ثم هناك سبعة عوالم سفلى تحتنا ، وتحتها سبعة أخرى ، كل منها « مطهر » . لكن هذا التفسير قد يجعل الفن الهندى منفردا ، لكن هذا ليس بصحيح إذا ما نظرت إلى النحت !

وليست كل المعابد الهندية القديمة على هيئة معابد خاجراهو الثلاثين . فتلك المعابد فى الشمال تتجمع غالبا مع بعضها البعض على شكل قوس ، أما تلك المعابد فى الجنوب ، فبينها مساحات أكبر ، وقد يكون له شكل آخر غير المخروط ، كل طابق فوق الآخر تماما ، لكن الزخرفة هى نفسها دائما . وحين تكون هذه الشخصيات لشخوص المعابد فغالبا ما يكون لها أطراف عديدة تدل على الصفات فوق الانسانية . وتدل حركات اليدين على معان عديدة تشير إلى التأمل أو الحماية أو الخنوع أو العدوان .

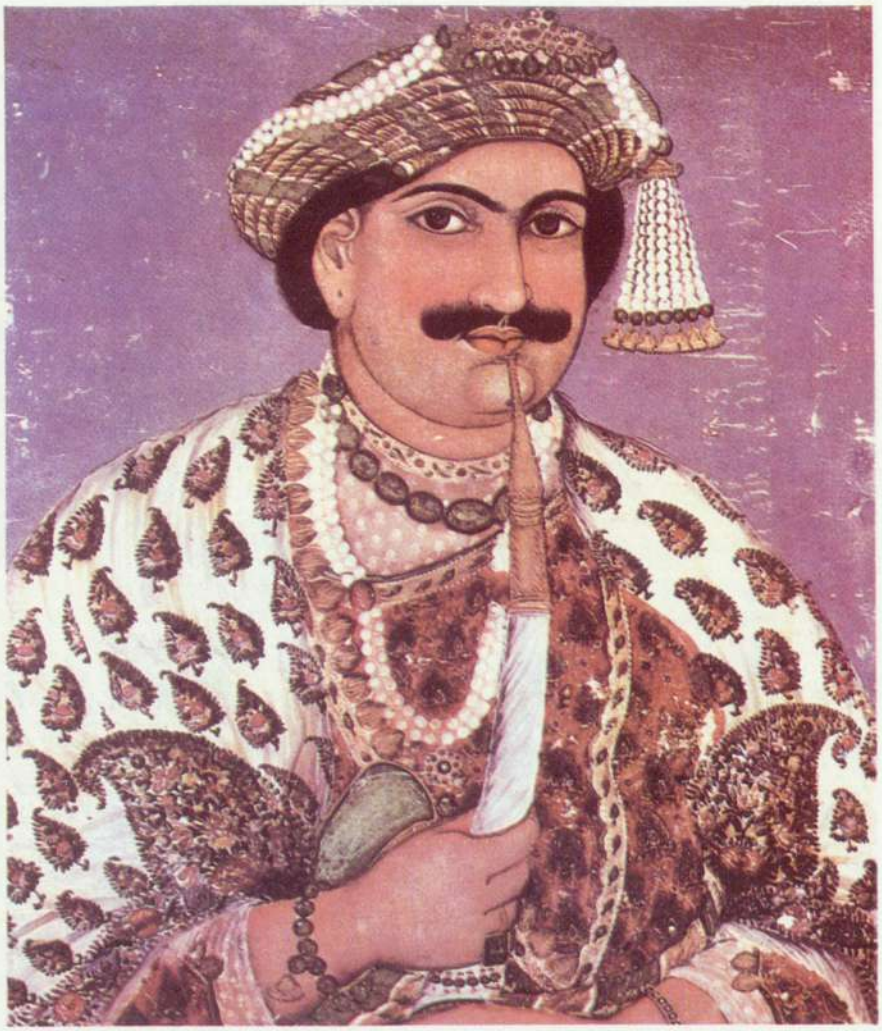
وهناك أشكال عديدة ثابتة ، إحداها زهرة اللوتس التى تدل بتلاتها غير المتفتحة على الاستمرار والنمو المثمر ، ويمكن أن تكون وحيدة ، ينبع من مركزها براهما العظيم .

كذلك هناك الماء المتدفق ، ماء الحياة ، الذى يظهر الشخصية الدينية تتحرك فى اتجاهات ثلاثة فى وقت واحد .

ويسهل تفسير الرسم الهندى عن النحت رغم وفرة الرموز الدينية فيه أيضا . وأول هذه الرموز التى لا تزال متواجدة حتى الآن الصور الزيتية البوذية على جدران « اجانتا » ، والتى تعبر عن الانسجام والتوافق والتناغم بين الانسان والطبيعة .



ساعة على شكل فيل مزخرف .. يعود تاريخها إلى بداية القرن العشرين وهى من القطع التى تشد الانتباه بروعة تصميمها



مدخن .. لوحة مرسومة على الزجاج فى بداية القرن العشرين .

فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد ، والخامس بعد الميلاد ، على صخور المغاور .

لقد استخدم الرسم على الجدران بكثافة فى حضارات أخرى من العالم ، لكن بحلول القرن العاشر الميلادى ، ظهر بشكل جديد من الفن فى الهند ، طغى بعد ذلك على النحت . لقد اخترع الكتاب ، وصنعت صفحاته من ورق أشجار البلح ، وأغلفته من الخشب . وزخرفت صفحاته وأغلفته بالصور الملونة والخطوط الرائعة .

بعد ذلك بأربعة قرون كاملة ، تطورت صناعة الورق ، وتطورت رسوم المنمنمات على صفحات الكتب ، حتى وان كانت الكتب انذاك توزع كحزمة من الأوراق ، وليس بشكلها الحالى .

استخدم الرسامون فيها أسلوب الرسم بالألوان المائية ، لكنهم غالباً ما كانوا يثبتون الألوان على الورق باستخدام التكنيك المعروف الآن باسم « الجواش » ، مستخدمين الصمغ أو عسل النحل لتثبيت اللون .



البيجوم زينات مهال .. من دلهى .. وهى نسخة محفورة من تحفة عاجية يعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر .

وبوصول المغول إلى الهند من آسيا الوسطى عام ١٥١٧ ، أثروا بشكل كبير على الهند والفن الهندى ما يقرب من ٣٠٠ عام . ونلاحظ فى هذه الفترة زيادة هائلة فى رسم المنمنمات ، ذلك أن الأباطرة المغول كانوا على معرفة سابقة بهذا الفن ، الذى أخذوه من بلاد فارس . كانوا يستولون على الأراضى بالسيف ، لكنهم كانوا يعشقون الفن فى نفس الوقت ، وكان الكثير منهم عاشقاً للكتب . ولقد تبنى الأباطرة الفنانين وسهلوا لهم كل وسائل الالهام .

وفى القرن السابع عشر بدأ الغرب يتعرف على الفن الهندى ، وعاد عدد من الشخصيات بنماذج إلى بريطانيا على وجه الخصوص . وتأثر بعض الفنانين بذلك الفن . ومن المعروف أن رامبرانت الفنان العظيم اقتنى بعض نسخ من الفن الهندى .

مصانع الأحلام

ومنذ عام ١٩٥٠ والهند هى أكبر مركز لانتاج وصناعة السينما فى العالم وليست هوليود ، كما يعتقد الجميع . فالسينما الهندية تنتج ٧٥٠ فيلماً روائياً فى العام ، ويذهب إلى السينما فى الهند ٧٥ مليون مشاهد اسبوعياً . لكن السينما الهندية تتميز بنكهة خاصة . فمن المعترف به على سبيل المثال ، ان معظم نجوم السينما الهندية لا يتمتعون بالرشاقة وفقاً للمقاييس الغربية ، وقد يكون الجيل الجديد هو الذى تأثر بالغرب ، فيحاول كل منهم مراقبة خصره ، إلا أن حساباتهم فى البنوك لا يظهر عليها أى علامة من علامات نقصان الوزن .

فأشهر نجوم الهند الآن هو أميتاب باخمان ، يكسب أكثر من مليونى روبية (١١٨ الف جنيه استرلينى) فى الفيلم الواحد ، فى بلد لا يزيد فيه دخل الفرد عن ٤٠٠ ـ ٦٠٠ روبية (اى ٢٥ ـ ٣٥ استرلينى) فى الشهر الواحد . وزيادة على ذلك ، يزيد عدد الأفلام التى يقوم بها سنوياً ثلاثة مرات عن الأفلام التى يؤديها كلينت ايستوود على سبيل المثال . واذا كانت هيما مالينى وكذلك ريكها ، وهما أشهر نجمتين سينمائيتين فى الهند الآن تكسب كل منهما نصف هذا المبلغ عن الفيلم الواحد ، فان ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى عالم السينما الهندية الذى يهيمن عليه الرجل .



سيدات يمرحن فى حديقة المنزل .. لوحة زاهية الالوان من القرن التاسع عشر

والحقائق المجردة عن السينما الهندية مدهشة . فلنتأمل فى النقاط التالية .

● يتم انهاء فيلمين وجزء من فيلم ثالث فى كل يوم من أيام السنة فى الهند ، حتى تعرض فى ٦٦٥٠ دارا دائمة و ٤١٥٠ سينما متنقلة .

● يرتاد أكثر من ٧٥ مليون هندى دور السينما كل أسبوع .

● حصلت حكومات الولايات حوالى ٥٨٥ مليون روبية ، كضريبة على الأفلام التى انتجت فى العام الماضى .

● تبلغ الاستثمارات فى صناعة السينما الهندية ٨ بلايين روبية (٤٧١ مليون استرلينى) .

يعمل فى صناعة السينما أكثر من مليون شخص فى مختلف المجالات . ويديرها عدد من السماسرة والوسطاء ، مما جعل ملوكها أكثر الشخصيات قوة ونفوذا .

وفى داخل هذه الامبراطورية ليس هناك حدود للسلطة وللشهرة . وعلى سبيل المثال م . ج . راماخاندران نجم السينما من مدراس ، هو الآن الوزير الأول بولاية تاميل نادو . ورغم أنه يعارض السيدة انديرا غاندى ، إلا أنه لم يتأثر بفوز « حزب المؤتمر » الساحق فى الانتخابات الأخيرة . وحين سئل قروى فى الثمانين من عمره ، لماذا يعطى صوته لراما خاندران ، كان رده صاعقاً : ولم لا ؟ هل خسر فى أى فيلم من أفلامه ؟

و م . ج . راماخاندران معروف باحرف اسمه الأولى م . ج . ر . وهو لا يدخن ولا يشرب الخمر ولا يغازل النساء فى أفلامه . لكن الخيال الجامح الذى يبعث خيالات النساء فى أفلامه هو ما يثير غرائز جمهوره. وأفلامه لا تعرض على شاشة التليفزيون خلال ساعات العمل الصباحية ، وإلا توقفت الحياة فى المدينة حتى يشاهد الجميع نجمهم المفضل .

إن مثل هذا التغلغل « الفنى » فى عالم « السياسة » نادر جداً ، لكنه لا يتوقف . فالنجم « سونيل دوت » خلف « ديليب كومار » ، كحاكم لبومبادى فى العام الماضى !

ورغم الاعجاب الساحق الذى يتمتع به نجوم السينما ، إلا انهم يعانون أيضاً بعض المواقف الصعبة ، وخاصة بعد قراءة ما يكتبه النقاد فى عشرات المجلات الفنية التى تصدر فى الهند . فمجلة « سينى بليتز » تقابل نجمة شهيرة وتبادرها بسؤال : « لماذا تعاملين أهلك هذه المعاملة » ! .

أين الحقيقة ؟

لكن إذا ذهبنا إلى لب المسألة ، لوصلنا إلى حقيقة صناعة السينما الهندية .. التجارية . ولذلك ليس غريباً وصفها بانها أسوأ أكبر صناعة سينما فى العالم . ولعل أفضل تقييم لها ما قالته نجمة من نجوم السينما الهندية :

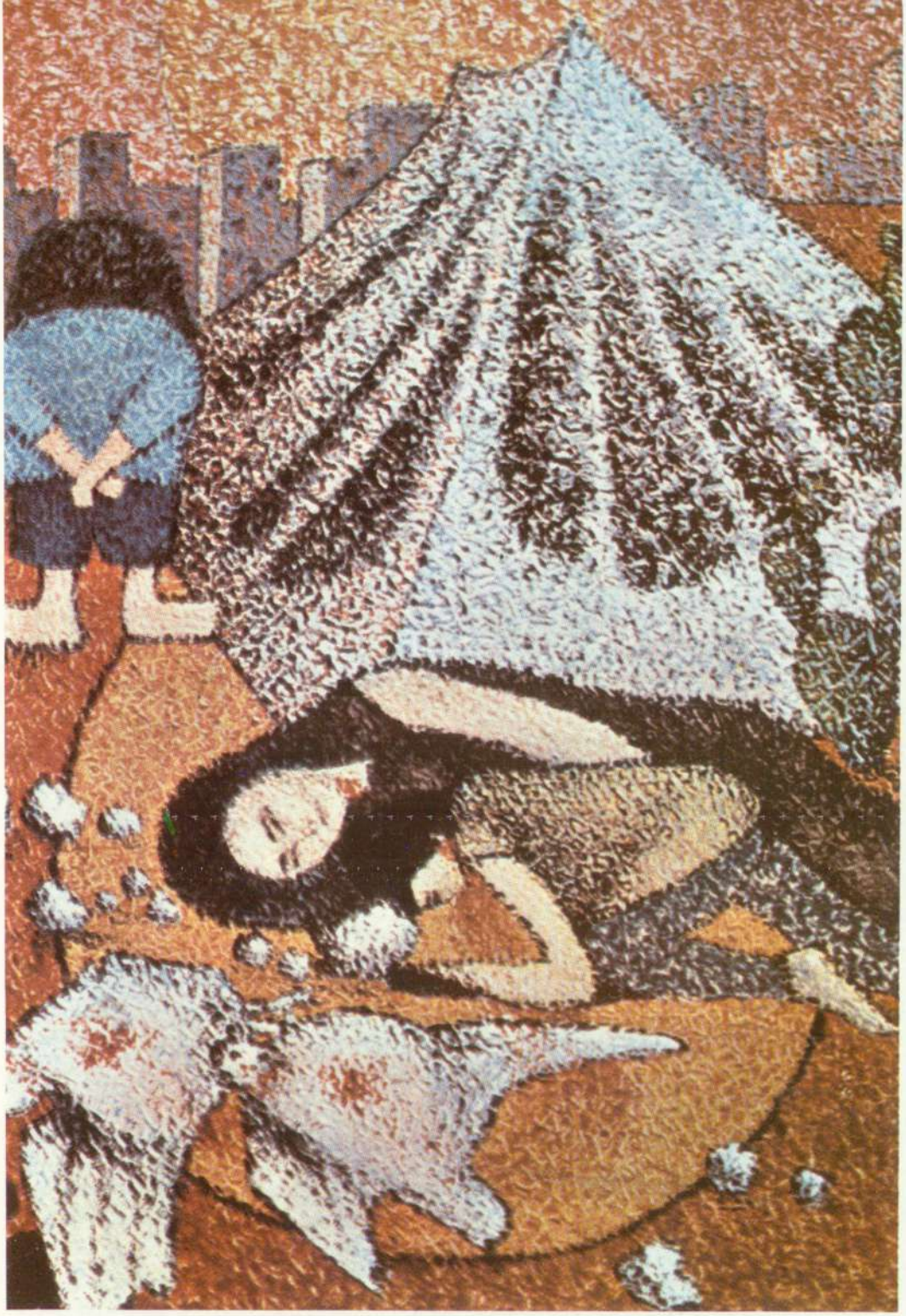
– « نحن نغرق المتفرج فى عالم الأحلام . فالواقع الهندى لا يمكن تحمله ، والواقعية لا يمكن قبولها . فلماذا لا يستمتع الناس بالخيال ، إذا كان عليهم أن يعيشوا فى كابوس الواقع » !

ودخول إحدى دور السينما فى الهند هو خبرة مثيرة فى حد ذاتها . الناس تتدافع بالمناكب ، ثم تسمع أثناء العرض التصفيق والهتاف ، وعبارات الاعجاب والاستياء ، والغضب والكراهية . ردود أفعال ونقد فورى للفيلم . ومن المستحيل أن يدخل النجم لحضور حفل الافتتاح لفيلمه دون حشد كامل يحيط به من الحرس لحمايته من المعجبين .

ونجوم السينما الهندية كثيرون ، وجميعهم له ملايين المعجبين ، لكن أشهرهم اميتاب باشخان وريكا ، وهما يعيشان قصة حب حقيقية . وريكا ابنة شيفاجى جنيسان وهو بدوره نجم شهير بمدراس : جميلة مزاجية عصبية كثيراً ما تركت العمل فى أفلام دون أن تكملها ، ولذا استغرقت وقتاً طويلا حتى تصل إلى النجومية ، وتقصى النجمة الشهيرة هيما ماليني ، عن عرشها . لكن الذى لاشك فيه أن ريكا هى جريتا جاربو السينما الهندية الآن . أما اميتاب ، فهو شاب جذاب وان كان أكثر دقة ونظاماً من صديقته ، لذا يستريح المنتجون والمخرجون للعمل معه أكثر منها . وهو سعيد بشهرته وان لم يكن منبهراً بها ، إذ انه يؤمن « ان الناس تحب الصورة التى رسمت له على الشاشة ، لا شخصه الحقيقى ، لذا ليس هناك ما يبهرنى فى شخصى » !

وليس لنا إلا أن نختم حديثنا عن السينما الهندية ، فنقول أن الافلام الهندية تقليدية للغاية : الحب تحاربه أسرة الحبيبين لهذا السبب أو ذاك ، ويمكن أن تضفى عليه بعض اللمسات الغربية كالموسيقى السريعة . لكن الأغانى تشكل ركناً أساسياً فى الفيلم وكذلك الرقص التعبيرى ، ويضاف الى هذا الاثارة النابعة من الحدث . انه عالم لا تتغير فيه الاساسيات ابداً ، حتى ولو ترجم إلى جميع لغات العالم . كل هذا يجعل الفيلم الهندى يصل وقت عرضه إلى ثلاث ساعات فى المتوسط .

مجدى نصيف



الموت خارج الخيمة .. لوحة معبرة عن ماساة الوطن وتضحيات الانسان الفلسطيني من اجل استرداد أرضه



الفنان الفلسطيني امين شموط .. يروى عذاب الفنـــانيين التشكيليين فى الأرض المحتلة

بقـــلم: حســن المـــلا

العشق المشترك للفنان الفلسطيني

هو واحد من الفنانين التشكيليين المرموقين فى العالم العربى .. وقد جاء الينا ومعه لوحاته التى تحمل الى جوار روعة الألوان والمساحات ، نبضات قلب فنان يعيش قضية وطنه ويحاول أن يقدم من خلال أعماله الفنية صرخة للضمير الانسانى لعله يستيقظ ليرى هول ما يحدث فى فلسطين المحتلة ..

وكان لقائى مع الفنان أمين شموط أثناء تواجده فى الدوحة التى أتى اليها محملا بنبضات قلبه المرسومة فى لوحات ، فهو أحد الفنانين الفلسطينيين الذين اشتركوا فى المعرض التشكيلى الذى أقيم أثناء الاسبوع الثقافى الفلسطينى ..

وكانت بداية حديثى مع الفنان الموهوب ، حول الفن التشكيلى فى الأرض المحتلة .. هل يمكننى التعرف على ملامح هذا الفن .. وأهمية الدور الذى يقوم به فى الداخل والخارج ؟

ملامح القرى المهدومة

قال الفنان الفلسطينى أمين شموط ، ان الفن التشكيلى عبر نشاطه الفردى والجماعى فى الأرض المحتلة ، استطاع أن يسهم اسهاما ملموساً فى حركة التشكيل الفلسطينى .. وفى عام ١٩٦٧ حاول العدو الصهيونى اغتصاب تراثنا الفنى وحضارتنا الثقافية الفنية حتى يقضى على هويتنا الفلسطينية ، وفى سبيل ذلك كانت محاولات القمع اليومى لفنانى الأرض المحتلة من اعتقال وتحديد الاقامة لأى فنان يرسم من وحى الأرض الفلسطينية ، إلا أن إيمان الفنان الفلسطينى التشكيلى بأرضه وأهله جعله يقاوم القمع ، ويرصد حركة الواقع ويسجلها دون خوف أو اهتمام بأى تهديد ، وقد رأينا هذا الفنان يتخذ لنفسه فى كل عام شعاراً يحاول تطبيقه فى لوحاته ففى عـــام ١٩٨٠ كان شـــعاره هو الأرض الفلسطينية فكنت ترى فى كافة لوحاته هذا العام بالذات الاهتمام الخاص باظهار التعاطف الوجدانى مع الأرض وحقنا التاريخى فى كل ذرة من ترابها .. وفى عام ١٩٨١ كان شعارنا هو القرية الفلسطينية لتسجيل معالم القرية العربية فى فلسطين خوفاً من ضياعها نتيجة لهدمها وازالتها من قبل العدو الذى يدعى باستمرار أن القرية تمثل المأوى الآمن للعمل الفدائى والتهديد المباشر لأمن الدولة !

أما فى عام ١٩٨٢ فقد رفعنا شعار القدس فى لوحاتنا ، حتى تبقى حية فى أفئدة العالم العربى والاسلامى ، وحتى يتأكد أمام العالم كله مدى الارتباط الوثيق بين الفنان الفلسطينى وأرضه ، ومدى حبه الكبير لقضيته التى سيظل يدافع عنها طالما تجرى الدماء فى شرايينه ..



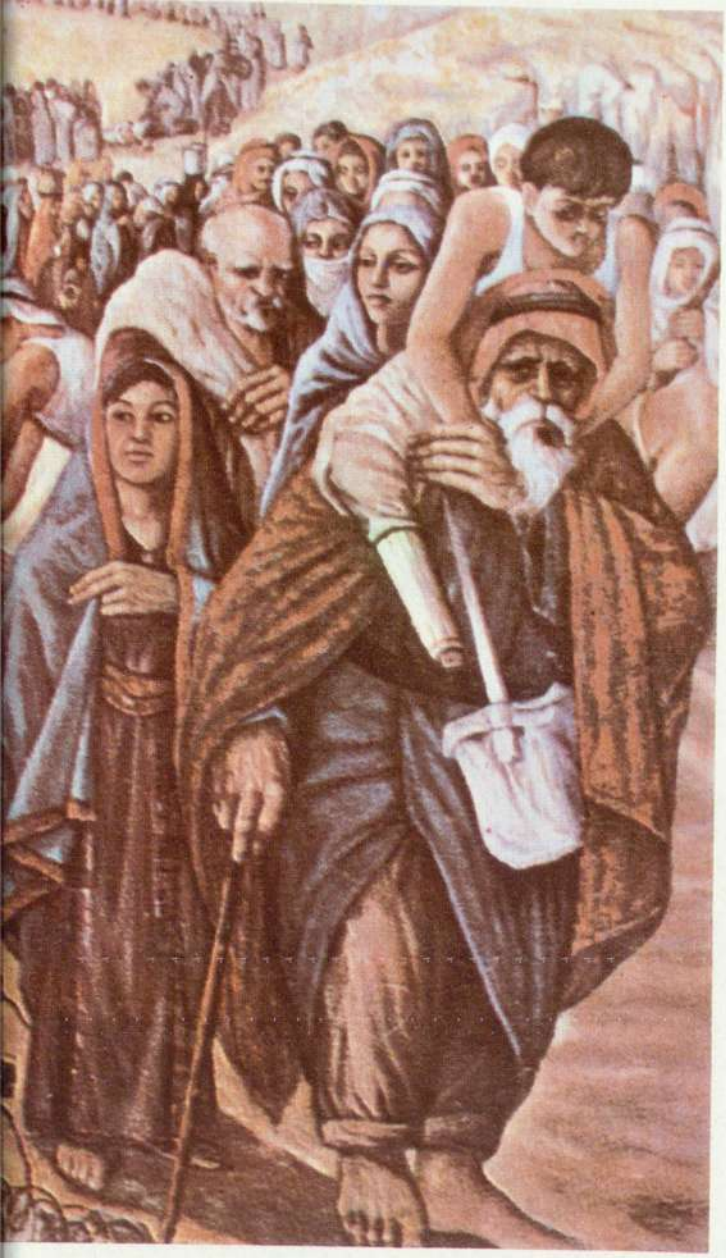
فتاة من فلسطين .. بزيها الوطنى وملامح الوجه المعبرة عن معاناة الانسان الفلسطيني داخل الأرض المحتلة

● اعتقل العدو معظم الفنانين الذين اشتركوا فى معرض « نابلس » عام ١٩٧٣ !

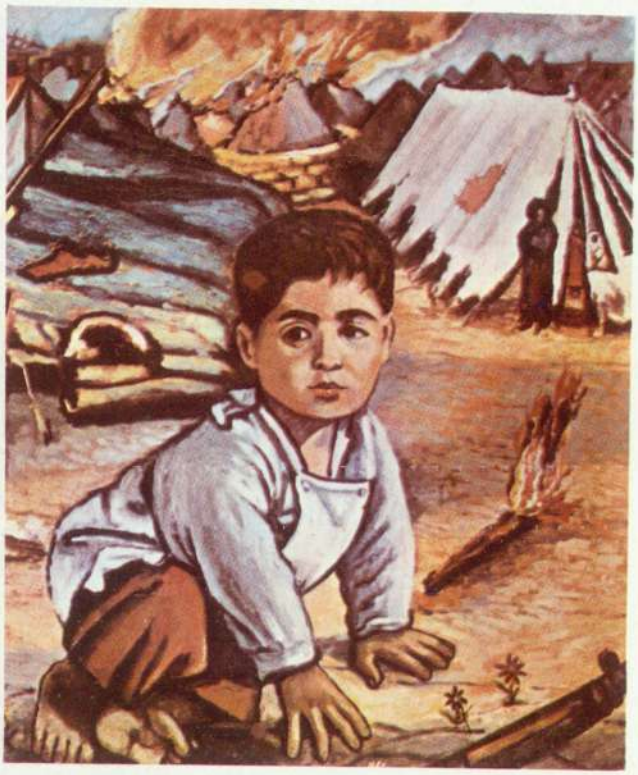
● أبسط الأشياء داخل فلسطين المحتلة : حرق اللوحات الفنية بأمر الحاكم العسكرى !

● من هو الفنان السجين الذى أرسل لزوجته وأولاده من خلف القضبان لوحة « العصفور » الباحث عن الحرية ؟

العشق المشترك للفنان الفلسطيني



الرحيل



البندقية في الانتظار

المصادرة الفنية

قلت للفنان أمين شموط : ولكن ، متى بالتحديد بدأت الحركة التشكيلية في فلسطين المحتلة تنمو وتتجمع لاقامة "معارض الفنية" ؟

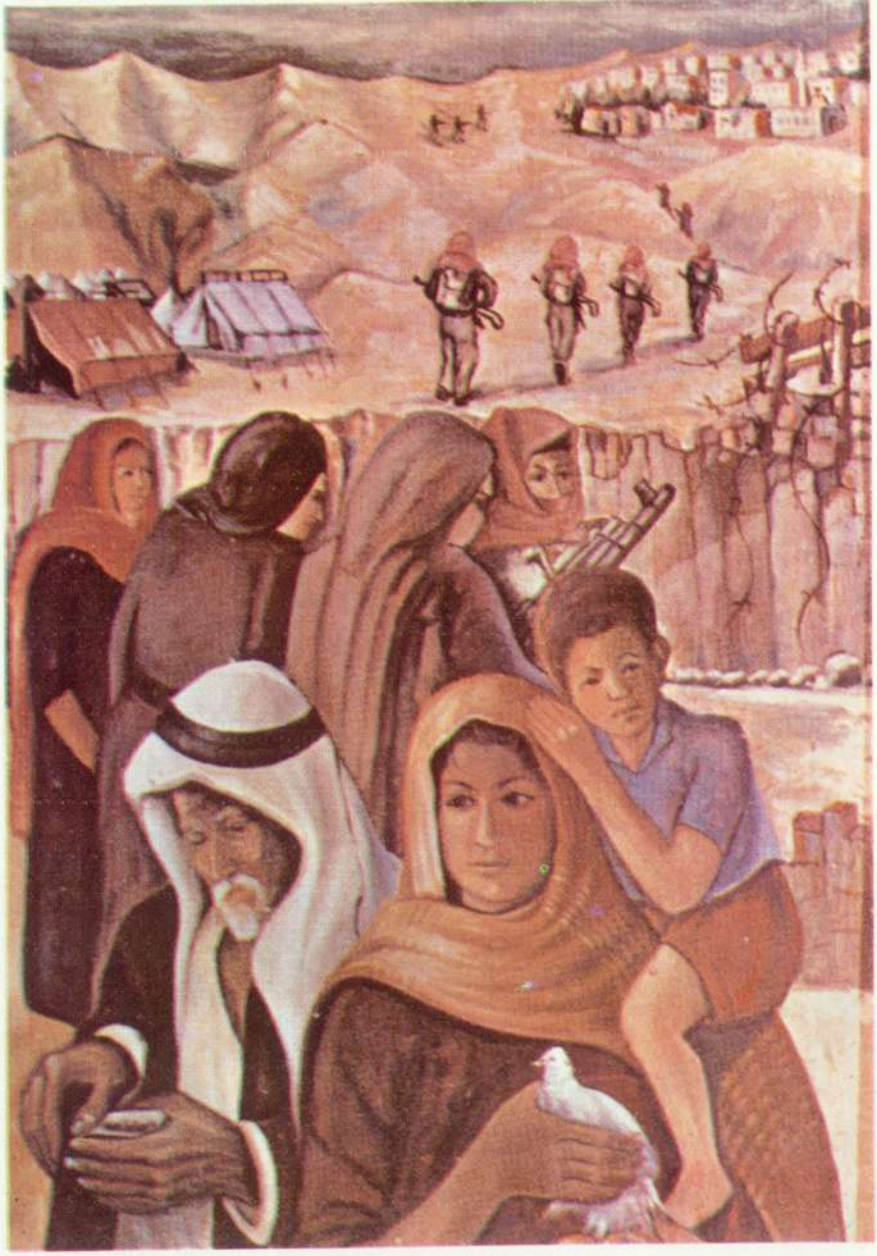
قال لي : بعد عام ١٩٦٧ أخذت الحركة التشكيلية في الأرض المحتلة من فلسطين تنمو وتتجمع لاقامة المعارض الفنية في كل مدينة مثل نابلس ورام الله والقدس وغزة وبيت لحم وغيرها من المدن الفلسطينية .. وفي عام ١٩٧٢ شهدت جمعية الشبان المسيحية بالقدس معرضاً مشتركاً لأكثر من عشرة فنانين من الضفة الغربية ومن قطاع غزة .. ثم توالت المعارض وأخذت البلديات والجمعيات الأهلية تساعد الفنان في اقامة المعارض ، حتى دعت بلدية نابلس عام ١٩٧٣ لاقامة معرض تشكيلي في صالة البلدية ، واشترك فيه أكثر من عشرين فناناً ، ولأن هذا المعرض كان يضم أكبر تجمع للفنانين داخل الأرض المحتلة فقد رأينا العدو الاسرائيلي يبادر باعتقال العديد من الفنانين الذين ساهموا في هذا المعرض ، لادراكه مدى أهمية الدور الذي يمكن أن يساهم به الفن التشكيلي في مخاطبة الضمير العالمي ..

● وهل توقف الفنان التشكيلي عقب حملة الاعتقالات للفنانين في عام ١٩٧٣ ؟ ..

ـ بالطبع لا .. وإن كان قد بدأ يحقق معاناته الفنية على لوحات يكدسها في منزله منتظراً اللحظة المناسبة .. وكان كثيراً ما يلجأ الفنان الى اخفاء لوحاته حتى لا تتعرض للتلف والحرق من قبل سلطات الاحتلال في حالة العثور عليها ، خاصة بعدما أحرقت سلطات العدو ما يزيد عن ستين لوحة في غزه عام ١٩٧٨ واغلقت دار عرض (جاليري ٧٩) في مدينة رام الله ، وكما تعرف فان الحاكم الاسرائيلي له سلطة الاعتقال والتوقيف ومصادرة اللوحات ، ومن ضمن اختصاصاته ـ أيضاً ـ عدم اقامة المعارض الفنية إلا باذنه ، وتعطيه هذه السلطة حق تفتيش محتويات المعرض ، وهو حريص على مصادرة أية لوحة فنية تحمل الوان العلم الفلسطيني أو تعبر عن وجدان الشعب وتعاطفه مع أرضه !

مصاعب الطريق

وهنا كان لابد أن أسأل الفنان أمين شموط : هل يعني استعراضك لتاريخ الفن التشكيلي في



الانطلاق

فلسطين أنه لم يتبلور إلا بعد الستينات.؟ ..

– نعم .. فالحركة التشكيلية ظهرت وتبلورت بشكل جماعى فى فلسطين فى الستينات بالرغم من المحاولات السابقة والتى تعود الى قبل ذلك التاريخ بسنوات .. فقبل الستينات كانت هناك أيضاً محاولات فردية وجماعية غطت جميع مدن الضفة الغربية وقطاع غزة وحيفا وعكا والناصرة وغيرها من المدن المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقد أسهمت هذه المحاولات فى خلق وعى فنى فى داخل الأرض المحتلة ، وكان لاقبال الجمهور وتشجيعه لها أثر كبير فى نفسية الفنان ومحاولته مواصلة الطريق الذى شقه بصدق وموضوعية .. وفى ذلك الوقت كانت – أيضاً – جميع أعمال الفنانين الفلسطينيين تعبر عن معاناة الانسان الفلسطينى وتطلعاته وطموحه الى استرداد أرضه ، رغم أنه كان يعانى من صعوبة الحصول على الخامة والأدوات اللازمة والمطاردة البوليسية !

العصفور والحرية

● إذن هل يمكننى أن أتعرف على الفنانين التشكيليين الموجـــودين داخـل الســـجون الاسرائيلية.؟

– هناك العديد من الفنانين التشكيليين داخل سجون اسرائيل ، وفى مقدمتهم الفنان التشكيلى خالد العمورى الذى يقضى حكماً بالسجن فى عسقلان مدته ١١ عاماً ، وقد شارك فى معرض جماعى فى نابلس فى شهر أيار عام ١٩٨٠ من داخل سجنه ، وكانت مشاركته عبارة عن عشر بطاقات رسمها وأرسلها لزوجته وأطفاله من وراء القضبان ، وتمثل إحدى هذه البطاقات خمسة من العصافير الصغار فى عشهم ينظر اليهم العصفور (الأب) من خلف قضبان القفص الذى وضعوه – وحيداً – بداخله ، وكانت هذه البطاقة رمزاً من رموز الهموم المشتركة للانسان الفلسطينى الباحث عن هويته الوطنية حتى لو كبلوه بالقيود وحتى لو أذاقوه مر العذاب وهدموا بيته وشردوا أهله !

المعرض القادم

وانتقلت بعدذلك مع الفنان أمين شموط الى حديث عن الاتحاد العام للفنانين التشكيليين باعتباره المسئول عن نشاطه ، قلت له : باعتبارك مسئول عن الاتحاد العام للفنانين التشكيليين بفرع الكويت ، هل يمكننى التعرف على ملامح الاتحاد العام ونشاطاته.؟

وقال لى : يتكون الاتحاد العام من أربعة فروع فى الكويت ودمشق وبيروت والأرض المحتلة ، ويتصل بالفنانين التشكيليين فى بلدان أوربا كفرنسا والمانيا وفى بلاد اسيا فى اليابان وباكستان وغيرها .. ويقوم الاتحاد بنشاطات عريضة فى مجال المعارض المختلفة الجماعية ، فقد أقيم معرض ضم أكثر من ثلاثين لوحة فى برلين فى ٦ يونيو عام ١٩٨٠ ، ومازال هذا المعرض حتى يومنا هذا ينتقل بين عدة دول منهـــــا بولندا والمجر ويوغسلافيا .. وهو الآن موجود فى مدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا .. وهذا المعرض يضم أعمال أكثر من أربعين فناناً فلسطينياً ، وقد اعتبرته الصحافة فى هذه البلاد « قنبلة حضارية فلسطينية » ..

وهذا بالاضافة إلى أن فروع الاتحاد تقيم معرضاً بصفة مستمرة حسب المناسبات ، ففى الكويت على سبيل المثال أقيم معرض بمناسبة يوم الأرض ، اشترك فيه أكثر من ٣٥ فناناً من الأرض المحتلة من بينهم سليمان منصور وابراهيم سابا وتيسير شرف ونبيل عنانى وعصام بدر .. وهناك معرض آخر أقامته الكويت واشترك فيه فنانون من الكويت وضم ١٢٠ لوحة كان من بينها خمسون لوحة من الأرض المحتلة تحت شعار : القرية الفلسطينية ..

● إذن فمعرض الفن التشكيلى فى الدوحة ضمن اختصاص نشاط الاتحاد العام.؟

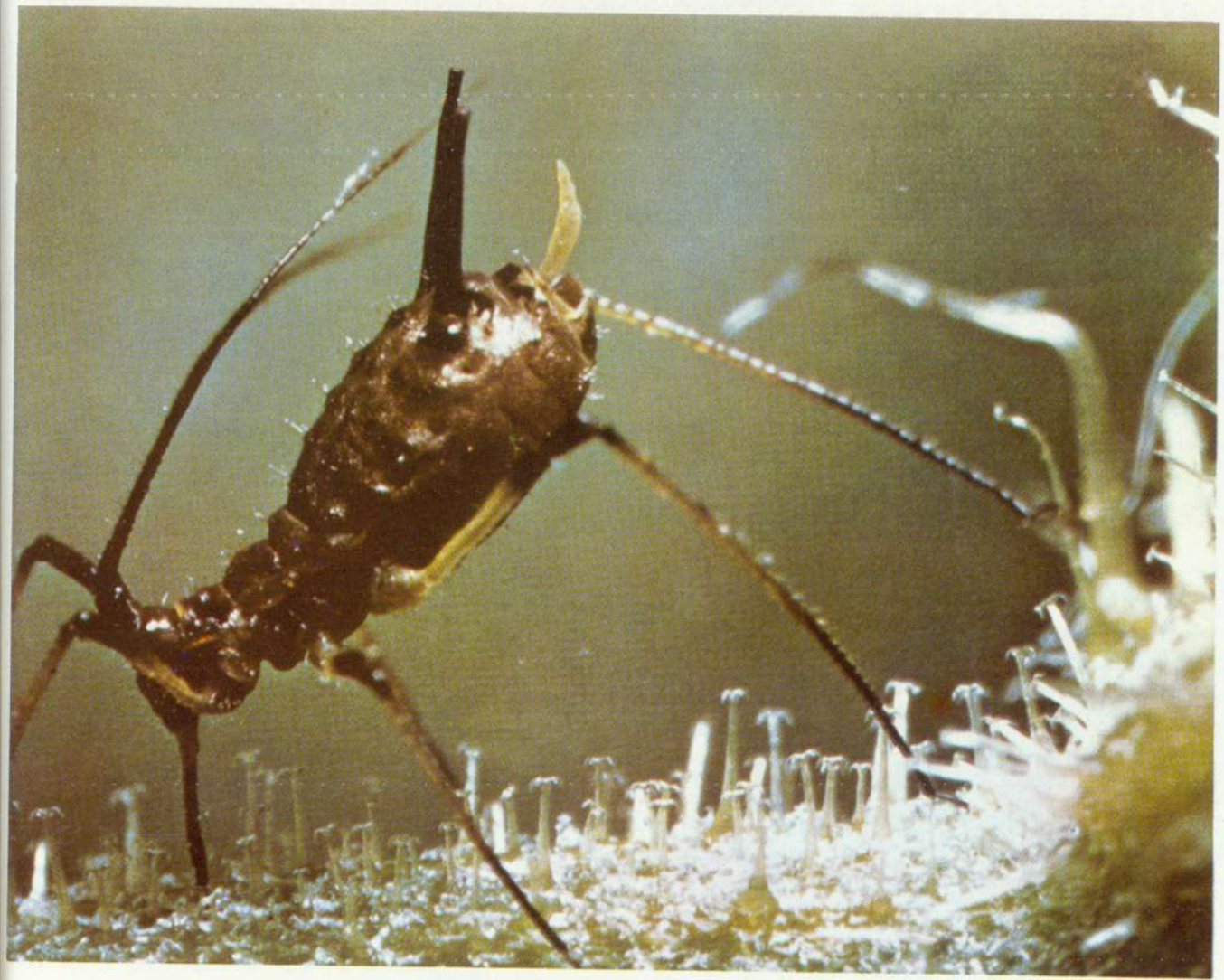
– طبعاً .. فقد ساهم الاتحاد العام بستين لوحة شاركت فيها فروع الاتحاد الأربعة وخاصة فرع الأرض المحتلة الذى اشترك باحدى عشر لوحة تمثل القرية الفلسطينية ، وقد عرضت اللوحات ضمن الاسبوع الثقافى الفلسطينى الذى استضافته دولة قطر ، وكان إطلالة واعية فى قلب الدوحة التى غدت منتدى عربياً أدبياً وفنياً ، فالمعرض يسهم فى ابراز الوجه الحضارى للانسان الفلسطينى ، وكل أملى أن يكون المعرض القادم فى دولة قطر بالمشاركة مع الفنانين القطريين وتحت شعار « القدس عربية » ..

والى هنا ينتهى حوارى مع الفنان الفلسطينى أمين شموط ، الذى أتى الينا بلوحات تحمل خفقات قلب الفنان وهى تنبض بحب الوطن وعشق ترابه ..

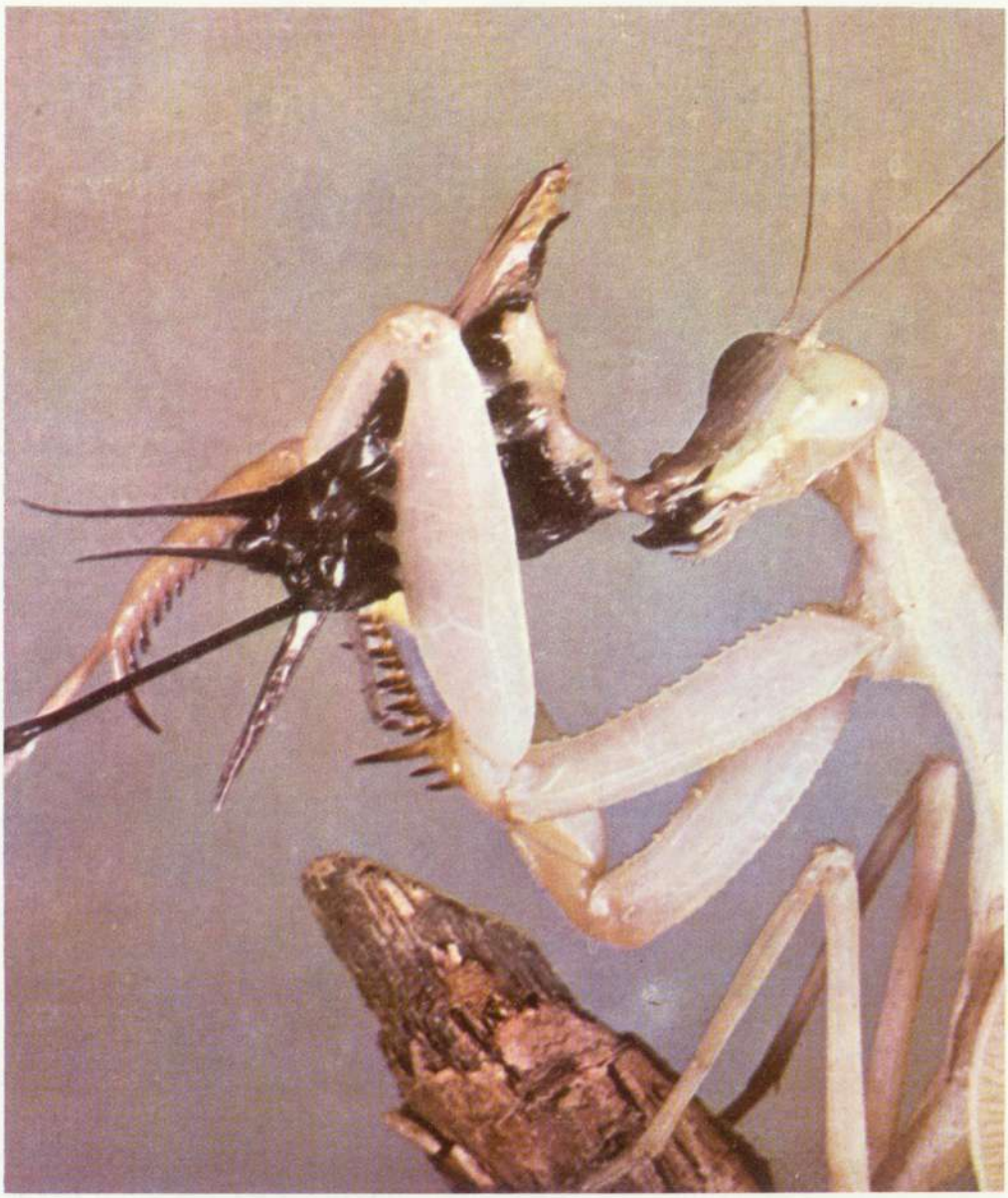
حسن الملا

وما الحياة إلا آكل ومأكول!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



بداية حلقات سلسلة الطعام نبات ، وعليه تتغذى حشرة المن الصغيرة (مكبرة حوالى ٣٠ مرة) فتغرس خرطومها لتسحب عصارته ، لكن من يأكل المن بعد ان اكل ؟ .. انظر الصورة التالية !



قد يأكل الدعسوقة طير قد يستهلك منها المئات ، أو تأكلها حشرة اكبر منها ، ثم تأتى التى لتؤكل ، تروح فى بطن حشرة فرس النبى أو جمل اليهود ، فيقطع لحمها بفمه الذى يشبه المنشار ، لكن كل من أكل لابد ان يؤكل ! .. انظر الصورة التالية .



يوضح هذا الرسم ان الحياة تقوم على سلاسل متشابكة من الطعام .. وانها تتخذ شكلا هرميا فى قاعدته توجد الكائنات الطحلبية لتصبح طعاما لما فوقها من حيوانات قشرية تتغذى عليها الأسماك ثم تاتى الكائنات الاكبر ومنها الانسان ، لتاكل ما تحتها بما اكلت ، لكن لابد ان تهدم القمم وتتحول إلى قواعد لتدور الدورة باكلين وماكولين .

لو اننا تأملنا بعين العقل فى هذا الطوفان الدافق من ملايين الأنواع من المخلوقات فلابد ان نتوصل الى حقيقة أزلية وبسيطة .. وهذه الحقيقة تتمثل فى ظاهرة ملموسة قوامها التجدد ، اى التى يحل فيها الجديد محل القديم .. لا يختلف فى ذلك الانسان عن الحيوان والنبات والميكروب وسائر أنواع المخلوقات ، ما ظهر منها وما بطن فحيث تروح كائنات ، كان لابد ان تعوض بكائنات جديدة ليكون للحياة صفة الاستمرار فى الزمان والمكان ، وعلى مستوى الأنواع لا الأفراد ، وهكذا تستمر الحياة فى ديناميكية هادرة متجددة ، لتدور عجلتها بمخلوقاتها دورات لا تتوقف أبداً ، اللهم الا إذا حلت بهذا الكوكب كارثة لا تبقى فيه ولا تذر !

ولكى تدور العجلة ، فلابد من طاقة تغذيها ، وللطاقة مصادر ، ومن مصادرها الكائنات ذاتها ، ولهذا تسلط بعضها على بعض فى صراع أبدى ، ليحصل كل كائن على طاقته التى توقد فيه جذوة الحياة ، وكان لابد – والحال كذلك – من تقسيم الكائنات الى آكل وماكول ، أو قاتل ومقتول ، أو مستهلك ومنتج ، أو قوى وضعيف ، الى آخر هذه المتناقضات التى يبدو فى ظاهرها الظلم والقسوة ، لكن فى باطنها يكمن العدل والرحمة ، ربما مصداقاً لقوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .. وما يسرى على الناس ، يسرى على سائر المخلوقات !

وما الحياة إلا أكل ومأكول!



فكانما الحياة تضع مخلوقاتها دائماً فى مازق صعبة ، اذ ما أصعب ان يتربص كل كائن ، بكل كائن اخر ليقتله فياكله ، والا فكيف تعيش الكائنات اذن دون ان تاكل ، لتحصل على طاقتها التى تقيم بها اودها. ؟

لابد اذن ان ياكل الجميع على مائدة ضخمة واحدة ، ولا يهم ان تكون تلك المائدة منصوبة فى الغابات او البحار ، أو ما تحت الثرى ، أو ما فوق الثرى ، لكن كل من اكل ، فلابد ان يؤكل ، طال الزمان او قصر !

ومن هذا الصراع الأزلى بين الآكل والماكول ، كان لابد من مناورات وحيل وتربص وخداع وهروب واختفاء وتصرف وحذر ، ومن خلال هذا التفاعل القائم بينها من قديم الزمن ، تصهر الكائنات وتصقل ، وليكون البقاء فيها للأنواع القوية الصامدة اما المتخاذلة والمتواكلة ، فالى الانقراض او الجحيم ، ذلك ان الحياة تحب الأقوياء وتناصرهم ، وتخذل الضعفاء ، وتتخلى عنهم ، فكانما الحياة فى مشوارها الطويل تنشد القوة والصمود والتجدد ، والتجدد تطور ، والتطور يسرى إلى الأحسن دائماً ، وتاريخ الحياة على الأرض خير شاهد على ما نقول !

سلاسل متشابكة

الموضوع لاشك طويل ومتشعب ومثير ، ويحتاج الى دراسات ودراسات ، من أجل هذا سوف نقدم هنا جانباً واحداً يتناول فئات الآكلين والماكولين ، وكيف توجه الحياة دفتها بدقة بالغة ، لتوازن بين الانتاج والاستهلاك ، حتى تيسر لكل نوع من المليونين ونصف مليون نوع طعامه الذى يناسبه .

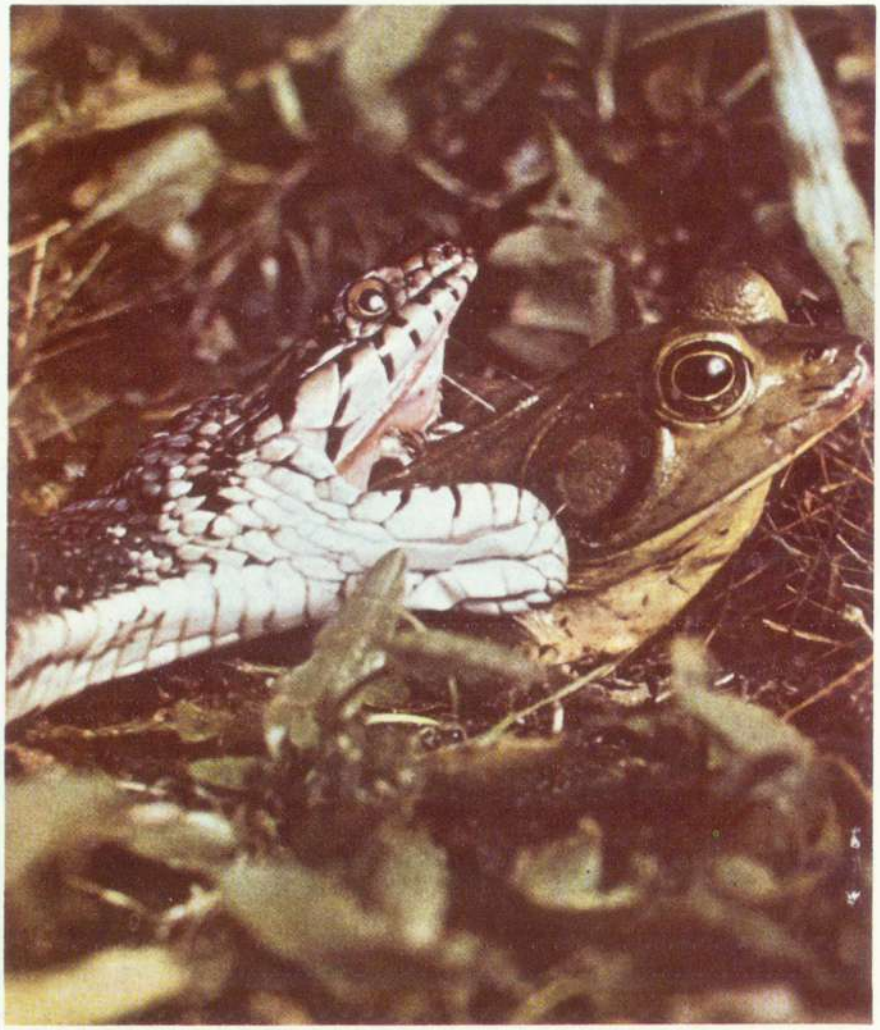


تأتى الضفدعة لتلتهم الحشرات الأكبر كفرس النبى أو اليعسوب، وتسير حلقات السلسلة صعوداً نحو كائنات اكبر

ان الانسان نوع وحيد وفريد ، وهو بعقله المدرك يستطيع ان يروض كل ما فى الأرض لنفسه ، فينوع فى طعامه وشرابه وملذاته بما لا يستطيعه اى كائن اخر ، فلننظر الى موائده وهى زاخرة بكائنات كانت تاكل قبل ان تؤكل ، ولنلتقط منها صنفاً ، وليكن ذلك شريحة سمك يبلغ وزنها نصف الكيلوجرام ، ومن الممكن ان يلتهمها انسان ، فلا يزيد وزنه منها الا بمقدار ٥٠ جراماً ، اذ اننا لا نستفيد بكل ما ناكل ، بل تذهب نسبة كبيرة بين نفايات واحتراق وترميم المهدوم من الأنسجة وما شابه ذلك ، ولو استفدنا بكل ما ناكل ، وصار فى اجسامنا مخزوناً ، لبلغنا النخيل طولا ، والحيتان كتلا ، وهذا ما لا نراه حقاً وصدقاً !

ان شريحة السمك التى تزيد فى وزن الانسان خمسين جراماً ، كانت فى الأصل خمسة آلاف كيلوجرام من الطعام ، أو بالتحديد كانت كائنات بحرية دقيقة تعرف باسم الطحالب ، وهى بمثابة المراعى البحرية غير المنظورة التى تعيش عليها كل الحيوانات البحرية ، ما صغر منها وما كبر ، وكل كائن منها ياكل ما قبله أو ما تحته ، وبحيث يبدو أن الكائنات جميعاً تنتظم فى شكل اشبه بهرم متدرج ، قاعدته المراعى المائية الدقيقة ، وقمته الحوت أو هذا الانسان الجالس الى المائدة . وما بين القاعدة والقمة يتدرج الانتاج والاستهلاك على هيئة حلقات تضيق كلما ارتفعنا الى أعلى ، وطبيعى ان قاعدة الهرم هى الأساس وفيها يتراص اكبر عدد من وحدات البناء ، ثم قد ينتهى الهرم عند قمته بوحدة بنائية واحدة ، وهذا بالضبط ما نراه فى سلاسل الطعام ، ولكى نوضح ذلك أكثر ، فلابد من تقديم مثال .

ان خمسة آلاف كيلوجرام من الطحالب



بينما الضفدعة تهضم وليمتها ، تأتيها مصيبة على هيئة حية تسعى فتأكلها ـ كما ترى هنا ـ بما أكلت

الخضراء يمكن ان تعيش عليها حيوانات قشرية أو مجدافية صغيرة ، أو حتى ذرية السمك التى خرجت من بويضاتها ، وبهذه الكمية الضخمة من الطحالب يتكون حوالى ٥٠٠ كيلوجرام من الحيوانات التى ذكرناها ثم تأتى سمكة مثل « الهف » (وهى الأحجام الصغيرة) لتعيش على ما قبلها من كائنات صغيرة ، فيزيد وزنها إلى ٥٠ كيلوجراما ، ثم تصبح سمكة الهف طعاما لسمكة أكبر هى « البيكيريل » ، فتتحول الخمسون كيلوجراما من الهف ، الى خمسة كيلوجرامات من « البيكيريل » ، وتأتى اسماك التونة الكبيرة لتأكل البيكيريل بما أكلت ، فتصبح الخمسة كيلوجرامات نصف كيلوجرام لا غير ، وهى التى رأيناها قبل ذلك على احدى موائد الانسان ، فيأكلها بدوره ، لتزيد من وزنه ٥٠ جراما .. اى ان الانتاج عند القاعدة بدأ بخمسة اطنان ، وانتهى فى الانسان بخمسين جراما ، اى بنسبة مائة الف إلى واحد !

وفى كتابه القيم « انت والكون » يقدم لنا البروفيسور ن . ج . بيريل سلاسل الطعام أو حلقاته بصورة أخرى فيقول : ان الحوت الأحدب ـ وهو ليس من الحيتان الضخمة على أية حال ـ يحتاج فى الوجبة الواحدة الى ما يعادل طنا من أسماك الرنكة (من جنس السردين) لكى يحس بالشبع ، وهى كمية تحتوى على ما يقرب من خمسة آلاف سمكة ، وكل سمكة تحتوى فى جوفها على حوالى ستة أو سبعة آلاف حيوان قشرى صغير ، وكل حيوان قشرى بدوره يحتوى فى امعائه على عدد من الطحالب الدقيقة قد يصل إلى ١٣٠ الف طحلب ، أو بمعنى آخر ، فان اربعمائة الف مليون طحلب ، تكفى بالكاد لاعالة حوت متوسط الحجم بوجبة واحدة تكفيه عدة ساعات !

على ان سلاسل الطعام قد تكون ابسط من ذلك ، فقد تتكون من حلقتين فقط .. النبات حلقة ، والانسان أخرى .. اى من المنتج الى المستهلك رأسا ، فنحن ناكل النبات على هيئة فاكهة وخضروات وحبوب وثمرات ، او قد تدخل بين الحلقتين حلقة أخرى وسيطة ، فالخروف مثلا ياكل النبات ، ونحن ناكل الخروف ، أو قد تكون أربع حلقات .. الأرنب يعيش على النبات ، ويأتى الثعلب ليأكل الأرنب ، ثم يفترس النمر الثعلب ، ويأكله بما أكل !

وطبيعى ان دخول حلقات وسيطة بين المنتج والمستهلك ، تؤدى الى فاقد كبير فى الطاقة المخزونة ، لأن الكائنات لا تستفيد بكل ما تاكل ، وهذا ما أوضحناه فى مثلى الانسان والحوت ، لأن « السلعة » الغذائية عند القاعدة تمر بعدد من الآكلين ، وكل ياكل ما تحته ، أو ما هو اصغر ، فلا يزيد وزن الآكل إلا بجزء ضئيل مما أكل (حوالى العشر فقط) .

ولاشك ان النباتات البرية أو البحرية ، تمثل دائما بداية الانتاج ، وهى أول حلقة من حلقات الطعام ، لأنها تستفيد بالطاقة الشمسية ، وتحولها الى طاقة كيميائية مخزونة فى كل ما تنتج من أخشاب وحبوب وثمرات وزيوت .. الخ ، وعلى هذا المخزون من الطاقة ، تعيش كل الحيوانات ، بما فى ذلك الانسان ، وتهدم ما تاكل ، لتحرر الطاقة التى تهبها الحياة .. اذ لا حياة بدون طاقة .

ولابد أن يتيسر لكل كائن طعامه على حساب كائن آخر ، فالنوع (أ) قد يستطيب طعم النوع (ب) ، الذى يقع بدوره ضحية للنوع (ج) الذى يتربص به النوع (د) الذى يقع فريسة للنوع (هـ) .. الخ ، ومع ذلك فعلينا ان نوضح ذلك بعدد من الصور لنبين بها كيف تراكبت الحلقات ، ليكون هناك دائما آكل وماكول !

على معظم النباتات تعيش جيوش هائلة من حشرات غضة صغيرة تعرف باسم المن النباتى (حوالى ٣٠٠٠ نوع) ، وهى تمتص عصارة النبات ، وقد تسبب خسارة فادحة فى المحصول (شكل ١) ، لكن ذلك قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان هناك انواعا كثيرة من الحشرات تاكل المن النباتى بما أكل ، منها على سبيل المثال الحشرة المعروفة باسم « ابى العيد » أو الدعسوقة (حوالى ٣٤٠٠ نوع) ، فهى تستطيب امتصاص ما فى جسم المن من رحيق أو عصارة ، ولهذا تستهلك يرقة ابى العيد (اى طور الدودة) وحدها حوالى ٥٠ ضحية يوميا ، والحشرة البالغة تستهلك عددا أكبر

وما الحياة إلا أكل ومأكول!





في القمة يدور صراع رهيب بين الآكل والمأكول .. بين الحية والنسر وغالبا يتغلب النسر على الحية بما أكلت وأكلت وأكلت .. الخ

(شكل ٢) ، وقبل ان تهنأ هذه أو تلك بوليمتها ، ياتيها من يلتهمها .. إما طير ، واما حشرة أكبر هى اليعسوب أو الرعاش ، وقد يقع هذا فى براثن من لا يرحم ، إذ تاتيه حشرة فرس النبى (أو جمل اليهود أو السرعوف) ، فتاكله قضمة من وراء قضمة ، الى ان يروح فى خبر كان (شكل ٣) ، وقد يقابل اليعسوب أو السرعوف ضفدع جائع فياكل هذا أو ذاك بما أكل (شكل ٤) ، وما دام الضفدع قد اكل ، فلابد ان يدخل فى الحلقة ليؤكل ، اذ ياتيه « جزاره » على هيئة حية تسعى ، فتاكل الضفدع (شكل ٥) ، وفى النهاية تقع الحية وليمة لصقر أو نسر ، وتدور بينهما معركة (شكل ٦) ، وغالبا ما يتغلب النسر ، فيحمل وليمته بما اكلت واكلت واكلت .. الخ (شكل ٧) ، اى نباتا فى دعسوقة فى يعسوب فى سرعوف فى ضفدع فى حية فى نسر ، وبهذا يحتل النسر قمة الهرم !

القمم تتحول الى قواعد !

ولاشك ان الجالسين فى قمم النظم الهرمية لسلاسل الطعام هم اقوى الكائنات غالبا ... فالانسان قمة ، بل هو قمة القمم ، لانه ـ بعقله المدرك ـ يستطيع ان يروض كل خلق آخر لحسابه ، بما فى ذلك النسور أو الصقور أو النمور أو الأسود ، وهى التى يطلق البعض عليها اسم « الملوك » .. فالنسر ملك الطيور ، والأسد ملك الغابة ، والحوت ملك البحار ، أو ما شابه ذلك ، والانسان هو سيدها جميعا !

لكن .. هل يدخل هؤلاء الجالسون على القمم فى سلاسل الطعام ؟

بالتاكيد نعم .. فكل من ياكل ، لابد ان يؤكل ، طال الزمان أو قصر !

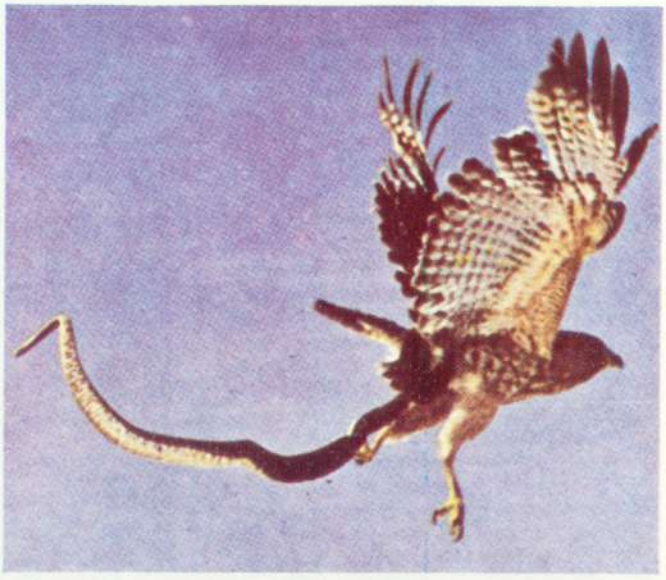
ان الانسان بين المخلوقات ـ هو قمة القمم ، وله عوامل او اعداء تنال منه ، وتدخله رغما عنه فى الحلقة ، فقد يصبح الانسان عدو نفسه بحروب لم تخل الأرض منها فى اية حقبة من الحقب ، أو بامراض واوبئة ومجاعات وحوادث وشيخوخة تؤدى الى موت لا مفر منه ولا مهرب ، ولابد ان يعود الى الأرض ، فياكله الميكروب ـ اضال مخلوق يعيش على هذا الكوكب .. لقد ظل الانسان ياكل ويأكل سنوات طويلة ، لكن الميكروب ياكله ويحلله فى أيام قليلة ، فيتحول جسده الى غازات وعناصر وتراب .. فمن التراب قد نشا ، والى التراب يعود ، وكذلك كل مخلوق آخر صغر شانه أو كبر ، فكل هؤلاء غنيمة ميسرة على مائدة الميكروبات التى تصيبهم احياء ، ثم تحللهم أمواتا ، وعلى عناصر الأموات يتغذى النبات ، وهكذا تدور الدورة مرة ومرة ، كما دارت قبل ذلك ملايين وبلايين المرات (شكل ٨) .

ان كل دورة تجعل من قمة الهرم قاعدة ، أو من النهاية بداية ، او تقلب الأمور لتجعل اعلاها اسفلها ، ولقد كان النبات بداية ياكل منها الميكروب والحيوان والانسان ، ثم تظل حلقات سلاسل الطعام تدور بينها ، فيكون لكل كائن حى طعامه الذى يناسبه ، وسواء وصل الى القمة (كما فى الانسان أو الأسود أو النسور أو الحيتان .. الخ) ، أو احتل درجات بين القمة والقاعدة (كالضفادع والأرانب والحشرات والحيات .. الخ) ، فلابد ان يعود الكل الى التراب ، فياكل النبات عناصر كل من اكل عناصره ، لتبدأ الحلقات من القاعدة الى ما فوقها .. « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » .. « قل هو يبدىء ويعيد » .. انها دورات فى أثر دورات ، « لكن أكثر الناس لا يعلمون » !

دورات موزونة

ثم ان كل شىء مقدر تقديرا حسنا ومتقن من البداية ، وبحيث يسترد كل كيان وديعته التى منه قد راحت ، فالنبات يسترد وديعته من الحيوان ، والأرض تسترد عناصرها التى امتصها النبات ، فاخذها الحيوان ، وعاش ومات وعاد ، وكانما شعار الحياة هنا « مات الحيوان .. عاش النبات أو العكس ، لان الموت حياة ، والحياة موت ـ بمعنى ان موت اى كائن ، هو حياة لكائن آخر ، فكل الطعام اموات .. انها كائنات تعيش على اشلاء كائنات ، أو عناصر ومركبات تنتقل من اجيال زائلة ، لتحل فى اجيال قادمة ، فيكون التجدد والتجدد قوة وحياة يا أولى الالباب !

قلنا أن الأرض لابد ان تسترد وديعتها التى سلبت منها ، فاذا حدث ما اعاق هذا المبدأ ، فلابد ان تفلس الأرض وتبور ، اذ ان اية بيئة أو أى نظام من النظم ، لابد ان يقوم كيانه على مبدأ الأخذ والعطاء ، ولا يمكن ان تستقيم الأمور مع اخذ مستمر ، أو عطاء مستمر ، بل لابد من حلقة اتصال توصل بينهما ، لتعيد كل شىء الى توازنه ،



يحمل النسر ضحيته الى عشه وافراخه ، فيصبح النسر قمة الهرم أو آخر حلقة كبيرة فى السلسلة ، لكن .. لابد ان يموت فيؤكل .



الصورة لميت دفن تحت شجرة ، وامتدت جذورها نحوه لتأكل من عناصره فكأنما من التراب خلقنا جميعاً والى التراب نعود فى دورات لا تتوقف ابداً

لان الخلل فى بيئة من البيئات ، يؤدى الى فوضى لا تستقيم معها أمور الحياة ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ، وقد نعود إليه فى دراسة أخرى قادمة ، لنوضح ان ما خفى كان اعظم .

خذ على سبيل المثال عالمى البر والبحر ، لنوضح بهما بعض ما قدمنا فأوجزنا ، فنحن نستنزف من المسطحات المائية عشرات بل مئات الملايين من أطنان الكائنات الحية فى كل عام ، ما بين اعشاب بحرية ، واسماك ورخويات ومحاربات .. الخ ، ولو استمر الحال على هذا المنوال ، فربما يفلس الماء فى العناصر التى تدخل فى تكوين احيائه ، لكنه لن يفلس ، رغم ضخامة الاستنزاف ، فلقد دبرت الأمور تدبيراً حسناً ليسترد البحر وديعته دون ان يتدخل احد فى ذلك ، فمن البحار والمحيطات يتصاعد الماء بخاراً ، فيتكون سحاباً ، ثم يسقط امطاراً ، لتكون جداول وبحيرات وانهاراً ، ولاشك ان الأمطار تغسل البر ، وتذيب بعض عناصره التى تحتوى على شىء من عناصر الأموات ، أو رفات الكائنات التى اكلت والتى لم تأكل من خيراته ، ثم يعود الماء بما حمل ، ليصب الوديعة فى البحار من خلال الأنهار ، فكانما هو ايضاً أكل وماكول .. ناكل منه ، ويأكل منا ولكل شىء هنا حساب ومقدار !

ما بين انتاج واستهلاك !

ولقد تاسست الحيـــــاة على مبدأين اساسيين ، أولهما : عليك ان تأكل قبل ان تؤكل ، وتناسل وتكاثر ، ليبقى للأنواع صمودها واستمرارها عبر الزمان والمكان .

ولكى تتوازن معادلة الحياة بين أكل وماكول ، او مستهلك ومنتج ، كان لابد ان تسير معدلات التناسل بموازين مضبوطة ، حتى يكفى الانتاج ما يتطلبه الاستهلاك .

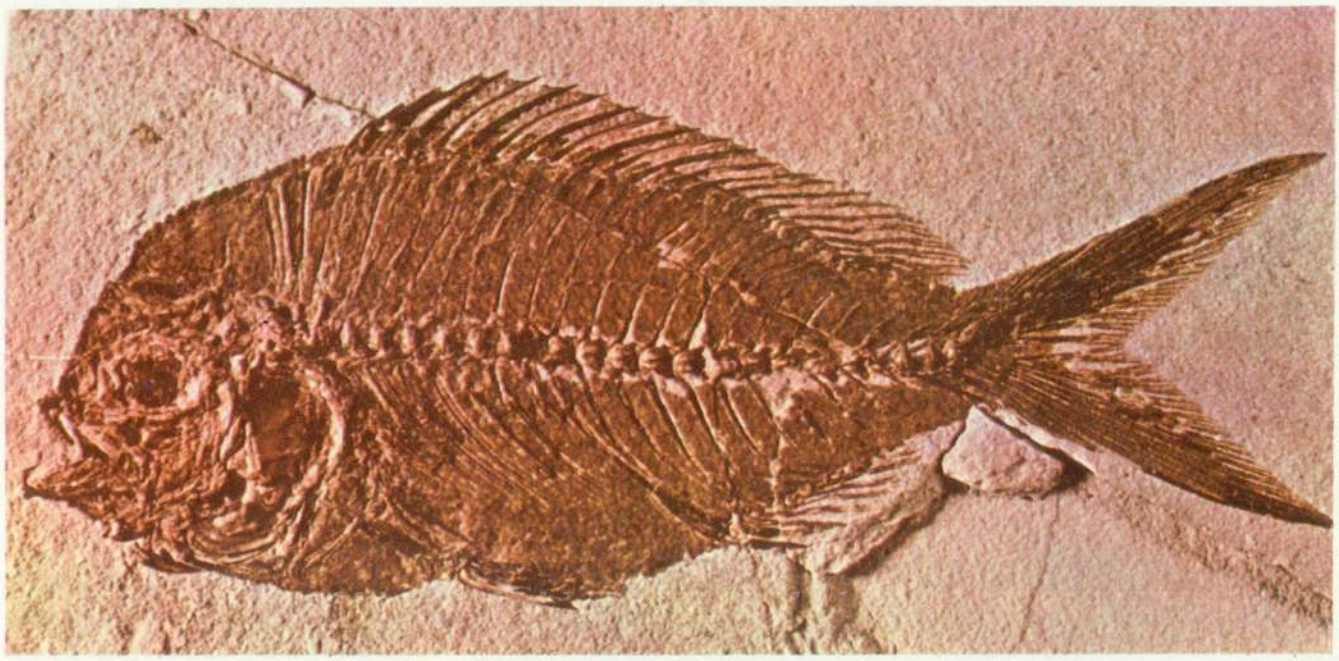
خذ لذلك مثالا بالحوت الذى قدمناه من قبل ، انه هنا بمثابة المستهلك ، ولابد أن يأتيه الاستهلاك على هيئة حلقات من الطعام ، وكل حلقة تأكل ما قبلها ، حتى تصل الى الكائنات النباتية الدقيقة المعروفة باسم الطحالب ، فهى المصدر الأساسى لاطعام كل الحيوانات البحرية .. بداية من الكائنات الصغيرة ، ونهاية بالكائنات الكبيرة ، ولاشك ان الطحالب تكون القاعدة الكبيرة والعريضة فى سلاسل الطعام ، ورغم كونها صغيرة جداً ، الا انها تتكاثر بسرعة رهيبة جداً ، فتنتج بلايين البلايين من الأفراد ، والبلايين تكفى للملايين التى فوقها من حيوانات قشرية صغيرة ، ولابد ان يكون معدل التناسل فيها اقل من الطحالب بدرجات ، ثم تأتى التى فوقها لتأكل منها الملايين ، فتكفى لانتاج الالاف ، وتأتى الأسماك لتأكل الالاف ، لكنها تتكاثر بالمئات ، وأخيراً نصل إلى الحوت الذى يتكاثر بمعدل ضئيل للغاية ، ربما حوت صغير واحد فى كل عام !

ومن الأسماك ما يضع بيضه بالملايين ، فتأكل الكائنات نسبة من هذا البيض ، لانه غذاؤها المفضل ، وعندما يتمخض البيض عن اسماك صغيرة ، فان نسبة كبيرة تروح فى بطون الأسماك الكبيرة ، وعندئذ لن يتبقى من الملايين الا الآلاف او المئات ، ولولا هذا التحديد من البداية ، لما وجدت الملايين ما تاكله ، اذ لابد ان يتعادل الانتـــاج مع الاستهلاك .

والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، وهى تشير الينا ان المخلوق كلما زاد حجمه ، وكثر استهلاكه تضاءلت معدلات نسله ، وكلما صغر شانه تضخمت ذريته .. فالميكروب مثلا يستطيع ان يعطى ثلاثة أجيال متعاقبة كل ساعة ، وبعد يوم واحد تصل ذريته الى بلايين فوق بلايين ، وهو لا يستمر فى حياته على هذا المعدل ، اذ لو حدث ذلك ، لتغطت الأرض كلها بطبقة من الميكروبات فى غضون يومين اثنين ، لكن هناك عوامل كثيرة تتدخل فى التناسل ، وتحد من معدلاته ، فيجد كل نوع من المليونين ونصف المليون نوع من الكائنات التى تزخر بها الأرض فى برها وبحرها طعامه المقدر والمناسب ، وليكون هناك دائما أكل وماكول ، ومستهلك ومنتج ، وقديم وجديد ، وصراع وصمود ، وتوازن محمود ، ليسير كل شىء حسب خطط مقدرة وقوانين محددة ، وشرائع مقننة .. وفى ذلك الكفاية لقوم يدركون فيفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح

المعرض الجيولوجي في متحف قطر الوطني
أول معرض من نوعه في الوطن العربي



هذه البقايا المستحجرة لهذه السمكة ، عاشت فى بحار « الايوسين » منذ خمسين مليون سنة فقط .. ويطلق عليها علماء « البالينتولوجيا » اسم « باقيلاس ما يكرودون » !

أسماك وقواقع ومحارات عاشت منذ ملايين السنين!

بقلم : درويش مصطفى الفار

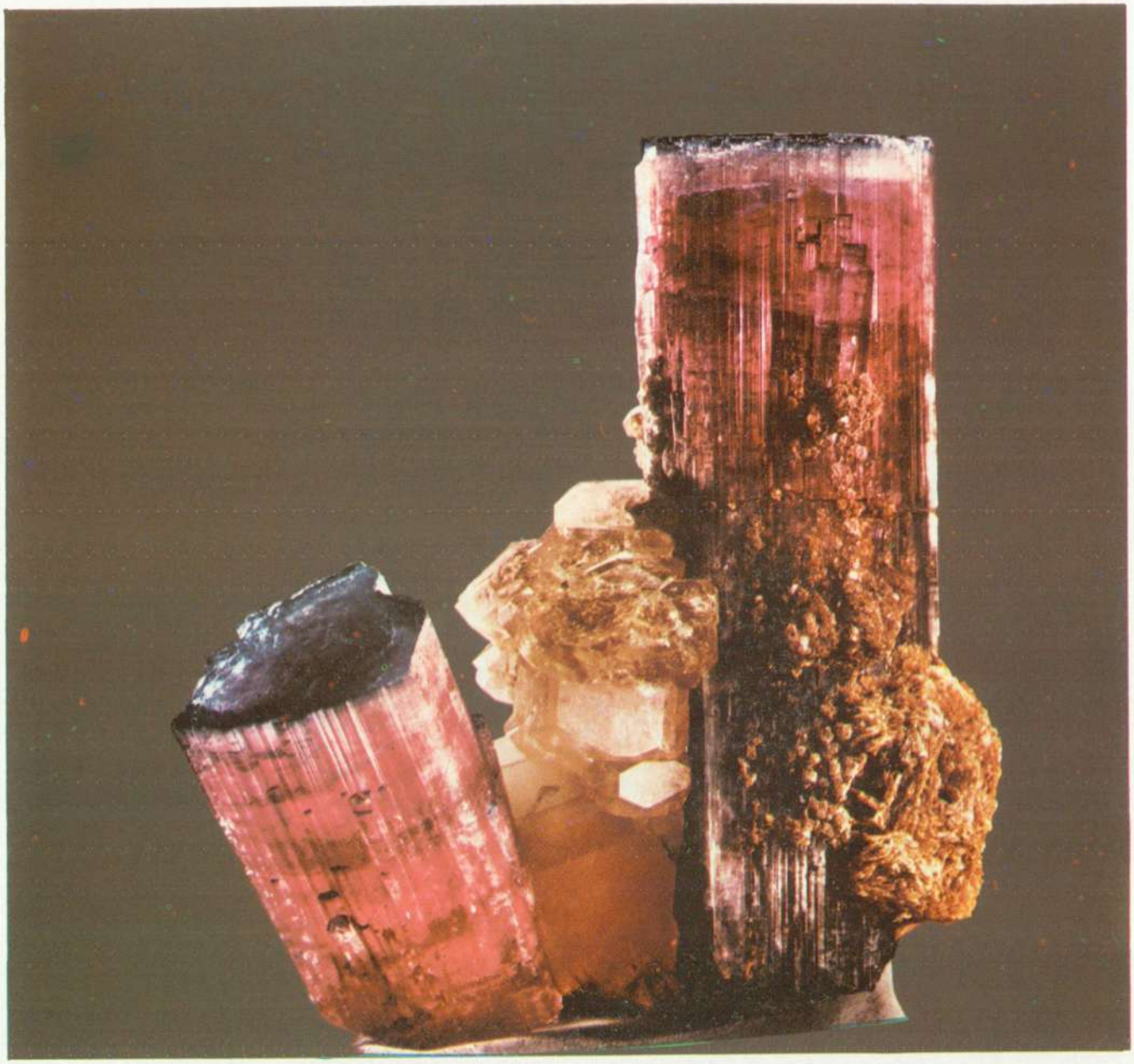
هذا أول معرض من نوعه فى العالم العربى .

فلقد جرت العادة أن تكون المعارض فنوناً ، أو مطبوعات ، أو أزياء .. إلى آخر ما تنتجه وتبدعه يد الانسان ، ترويجاً لسلعة ، أو تكريماً لمبدع .

لكن وزارة الاعلام فى دولة قطر ، باعتبارها احدى الدول العربية الجيولوجية ، هى التى شغلت باقامة هذا المعرض الفريد من نوعه ، إذ قامت بتوجيه الدعوة إلى الجيولوجى الدكتور عبد الهادى أحمد المقيم فى كولونيا بالمانيا الغربية ، لاقامة معرض جيولوجى عن الصخور والحجارة والمعادن والحفريات المستحجرة من الأسماك والقواقع والمحارات التى عاشت فى بحار الأرض منذ ملايين السنين ، وعن أنواع اللؤلؤ الطبيعى والمستزرع ، مع ما يقارب ١٥٠٠ عينة من مختلف أشكال البللورات الطبيعية للمعادن والخامات .

ان هذا المعرض الفريد يقام تحقيقاً لنشر الوعى الجيولوجي فى البلاد العربية البترولية ، وذلك بعرض مصنوعات فطرها الله فى قشرة الأرض مما لا تتيسر رؤيته للانسان العادى فهو عمل جديد بالنسبة للمعارض العربية .

فعندما يرى الانسان بلورة من معدن البيريك او المرو أو أي خامة معدنية فانه دون شك يتأثر تأثراً بالغاً لا يكاد من وطأته ان يصدق أن هذا الشيء الذى اقامه نتيجة طبيعية لتفاعلات مكونات القشرة الأرضية . كما أن القليل من الناس يدرك أن الله سبحانه وتعالى قد أوجد المخلوقات في البحار منذ ملايين من السنين تعد بالمئات والآلاف مما يعطي للانسان عمقاً فى التصور بالنسبة لعمر هذا الكون ، فضلا عن أن تعدد الألوان وتنوعها واختلاف درجات البريق واللمعان ودقة الخطوط والزوايا فى تلك الجوامد التى تتركب منها الأحجار والصخور قد لا يكون وارداً فى تصور الانسان العادى ، فاذا ما اتيحت له الفرصة أن يراه فلابد ، وأنه



ليس هذا هو الياقوت ، ولكنه نوع من « التورمالين » يسمى « الروبيلايت » .. إنه إلى جانب جماله له خواص الكترونية عجيبة

يفيد وجدانه وينمى قدراته على التصور ..

وفى هذا المعرض يزول الغموض الذى يكتنف أحيانا فكر الانسان العادى الذى لم يتعرض للتعرف على الجيولوجيا ، العلم الذى نكتشف به البترول والثروات المعدنية ... من حيث الخلط بين المعدن والفلز والحجر والصخر ...

فالفلز عنصر كالحديد والنحاس والذهب والمعدن مركب طبيعى ، من غير مصدر حي ، يتالف من اتحاد عناصر مع بعضها اتحادا كيماويا ... ومن معدنين فاكثر يتكون الصخر او الحجر .. واحيانا يكون المعدن عنصرا واحدا كالكبريت ، واحيانا يكون الصخر من معدن واحد كاحجار الجبس والصخور نارية متبلورة أو رسوبية ناجمة عن صخور سبقتها فى الوجود تحللت وانتقلت وترسبت تحت الماء أو الهواء ومتحولة اعادت الحرارة والضغط أو احدهما ترتيب معادنها فصارت شيئا اخر غير أصلها.

أما مقيم المعرض فهو الدكتور عبد الهادى مصيلحى أحمد من مواليد الاسكندرية ، وممن اغتربوا فى طلب العلم فى المانيا الغربية ، وأبلوا هناك بلاء حسنا أثبت قدرات الانسان العربى العلمية حيثما حط به الرحال ، وعقب حصوله على الدكتوراه فى علم المعادن (المينارولوجيا) فى تعديل طريقة صناعة بلورات الياقوت لاستخدامها فى أشعة الليزر ، وهى الطريقة المسماة طريقة (فيرنوي) ، عقب ذلك استقر به المقام فى كولونيا وأخذ فى جمع العينات المعدنية والصخرية والحفريات المستحجرة من جميع أنحاء العالم ، وأسس هيئة لمد الجامعات والمتاحف والهواة بمجموعات الصخور والمعادن والبللورات والأحجار الكريمة وما اليها من مكونات قشرة الأرض ، لنرى عقب ذلك كل هذا النتاج النادر فى صورة علمية متسقة .

درويش مصطفى الفار



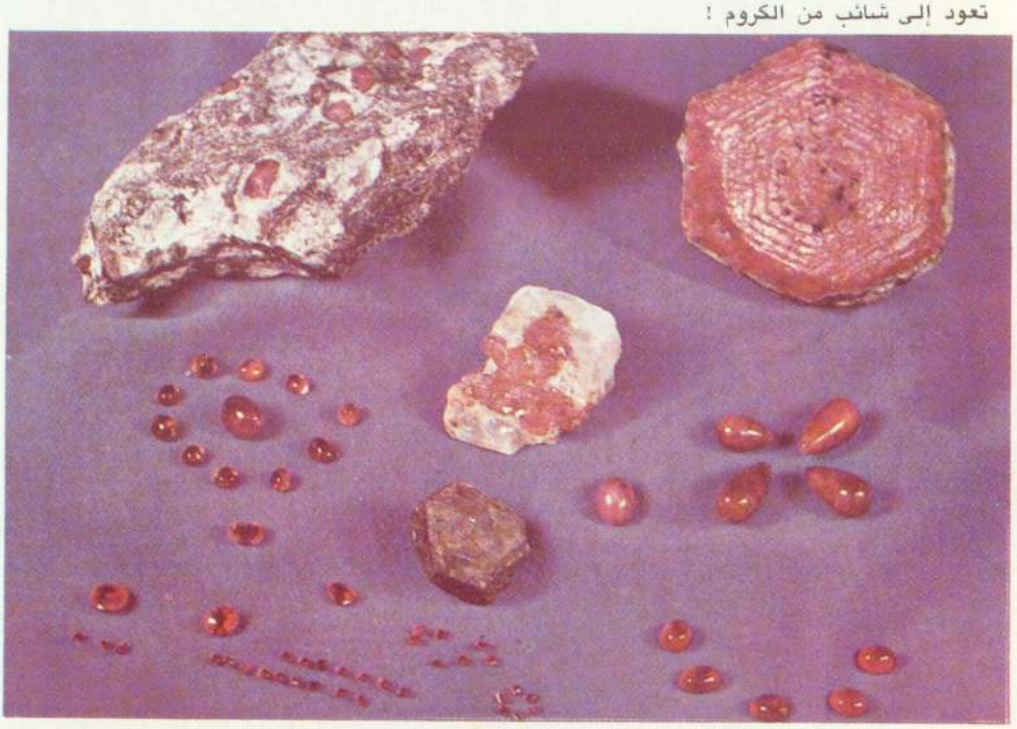
إذا لم تجد الياقوت ، فيمكنك استخدام هذه الأنواع من الجارنت أو المقيق ، التى تتعدد ألوانها ، ويمكن استخدام الأحمر منها نيابة عن الياقوت ويستخدم – أيضاً – فى الالكترونيات وفى أعمال الصقل والتلميع ، ويصنع الآن شبيه له فى المعامل

أسماك وقواقع وحجارات عاشت منذ ملايين السنين!



اللؤلؤ (الصناعى) المستزرع .. لاتدرك الفرق بينه وبين اللؤلؤ الطبيعى الا عين الخبير المدقق واللؤلؤ الطبيعى اشتهرت به قطر منذ قرون عديدة ، ومنه صُنع لزبيدة زوجة هارون الرشيد ثوب كامل كان اية فى الابداع والجمال كما تقول كتب التراث

عرف الأقدمون الزمرد ، واعتقدوا انه ذو صفات غيبية دفعتهم إلى التنافس فى اقتنائه ، حتى قيل أن إحدى الشخصيات الهامة فى العصر الفاطمى كانت تملك بضعة كيلات من قصبات « بللورات » الزمرد .. والزمرد أصلا يتكون من سليكات البريلليوم والألومنيوم ، ولكن خضرته تعود إلى شائب من الكروم !



الياقوت الأحمر .. إنه اثمن من الماس فى بعض الحالات اذا كان طبيعياً صافياً أحمر كـــدم الحمامة كما يصفه العـــالم ابو يوسف التيفاشي . اليوم يصنعونه بصهر اكسيد الالومنيوم بطريقة (فيرنوى) فلا يساوى القيراط منه بضع دولارات .. الى جانب أهميته فى الحلى فهو أهم من أشعة الليزر ذلك المستحدث العلمى العجيب !

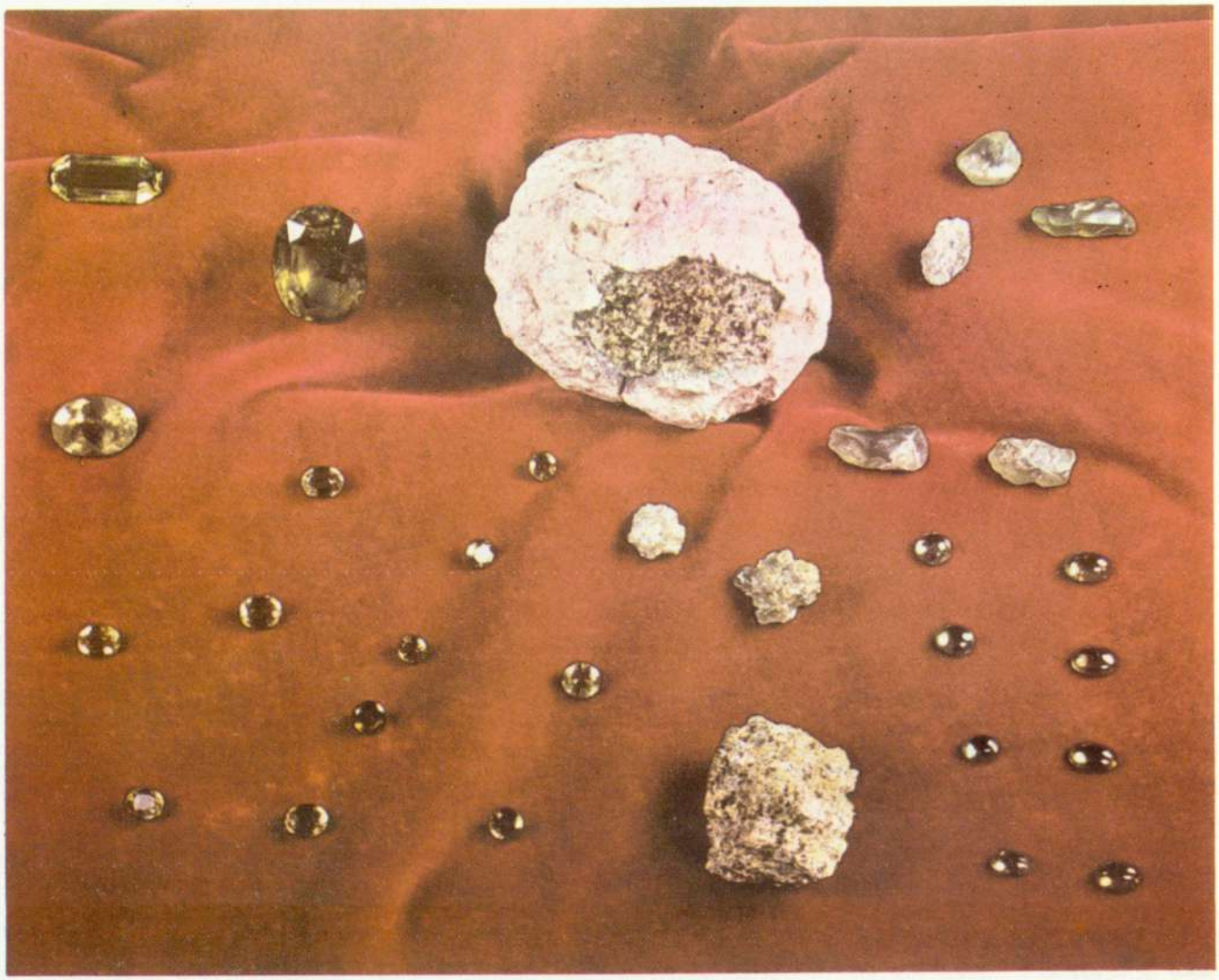


انواع من المرو ، البللور الصخرى ، ما أكثر انواع المرو . الأسود والوردى والذى لا لون له ...

أسماك وقواقع وحجارات عاشت منذ ملايين السنين!



هذه البللورات كان المصريون القدماء يصنعون منها «الجعلان» فى المعابد .. وهى حجر شبه كريم ، يدخل أحياناً مع الحلى على انه حجر كريم يساوى وزنه ذهباً .. وهى تسمى بالعامية لدى بدو الصحراء الشرقية فى مصر (الكشران) بينما اسمها العلمي (الفلسبارات) !



الزبرجد، عرفه القدماء أول ما عرفوه فى جزيرة مصرية بالبحر الأحمر قبالة مدينة أسوان .



أحد خامات الحديد ، أطلق عليه اسم الجوثايت ، تخليداً للشاعر الألمانى العظيم (جوته) إذ كانت تستهويه الجيولوجيا بمعادنها وصخورها وأحجارها ، واشتغل بها زمناً وله فيها آراء !!

كهف الأخيار

قصة

بقلم : الدكتور شكري محمد عياد

« ١ »

... ... قلت له : الناس هناك يسيرون على سطح القمر ، وانت تابى إلا ان تغوص فى بطن الأرض . فنظر إلى طويلا . لم تكن عيناه زائغتين : على العكس : كان فيهما إصرار وتحد باخت أمامهما سخريتي . قال لى : إذا اردت ان ترجع فانت وشانك . لن اعدم حيلة اخرى . خجلت انا . لو كان طارق زعيماً شعبياً لقاد الالوف فى الشوارع يفتحون صدورهم لوابل الرصاص. لو كان قائداً حربياً لساق الكتائب إلى موت محقق (ولن ينجو هو بالطبع) . لو وقف على خشبة المشنقة لزلزل قلوب جلاديه .

ولكن زعامته كانت شيئاً معكوساً : كم رأيت وسمعت من زعماء همهم أن يمسحوا على غرور شعوبهم ، أن يتملقوهم ليدفعوا بهم إلى الهلاك . أما هو فكانت قدرته على أن يسير وحده هى كل قوته . كان يرى بوضوح شيئاً لا يراه الآخرون . كانت فيه بقية من روح النبوة .. لا ، لم يكن محبوباً من أحد .

« لن أعدم حيلة أخرى » ... هل كان بوسعه أن يقول أقسى من هذه الكلمات لأشعر بتفاهة دورى فى العملية كلها ؟ وهل كان بوسعى – مع ذلك – أن أنكص على عقبى ؟ هو القائد وأنا المقود ، ومع ذلك أشعر أحياناً أننى يجب أن أرعاه





الدكتور شكرى محمد عياد أستاذ الأدب العربى فى جامعة القاهرة ، وقد شغل مركز أستاذ الأدب العربى فى جامعات السعودية لمدة خمس سنوات ، ويعتبر الدكتور شكرى من الأدباء والباحثين البارزين فى الحياة الأدبية العربية ، وهو إلى جانب ذلك كاتب قصة من الدرجة الأولى رغم قلة انتاجه فى هذا المجال ... والدوحة تقدم هنا النص الكامل لقصته الجديدة البديعة « كهف الأخيار » وهى أحدث الأعمال الفنية للأديب الفنان الدكتور شكرى عياد .

كطفل !

• •

اقرأ هذه الأسطر فاجدنى اتكلم عنه أحياناً بصيغة الماضى كما لو كان شخصاً ميتاً وانا اجلس الآن لادون سيرة حياته ، وأحياناً أشير إليه كما لو كان حاضراً معى . قبل أن أمضى فى قصتى يجب ان أصل إلى حل لهذا التناقض . انا اومن بان اللغة هى التى تحل المتناقضات ، وليس المنطق . فى جميع اللغات التى اعرفها « الموت » فعل يسند إلى فاعله البشرى كما يسند إليه فعل الضحك والبكاء والوقوف والجرى .. ويجهد المناطقة انفسهم ليفسروا هذه الظاهرة التى تبدو لهم شاذة : أن يكون الانسان هو فاعل الموت الذى ينزل به هو نفسه . واخيراً ـ أخيراً جداً يحدثنا فرويد عن غريزة الموت ، ويقول تويني إن موت أى حضارة يقيمها البشر إنما هو فعل انتحارى . مسألة الحضور والغياب ، مثل مسألة الحياة والموت ، يجب أن تحل لغوياً لا منطقياً . الموت فى اللغة يعنى إرادة ، إذن فهو يعنى حياة . الحضور والغياب فى اللغة كذلك . لا يوجد بينهما حد فاصل . الحضور لا يعنى إلا « انا » او « انت » . عندما يتحول « انا » او « انت » إلى « هو » يصبح الحضور غياباً ، كما تصبح الحياة موتاً . وعندما تنهار الحدود هكذا يصبح الزمن لا قيمة له ايضاً . فاما ديمومة وإما لحظة واحدة تتكرر إلى الأبد . نحن فى اعماق نفوسنا لا نعترف بالزمن ولا نعترف بالواقع . اتذكر قصة حدثت لى منذ سنين كثيرة ، ولا تزال تخطر على بالى ، بمناسبة او بدون مناسبة ، فتبعث قشعريرة فى جسدى . كنت مرة واقفاً على رصيف محطة . وقع نظرى على إنسان . أصابنى الذهول . انه اخى ابن امى وابى . اقتربت منه اهم بان اعانقه . تذكرت فجاة انه مات منذ سنوات . سمعت صفير القطار وغاب وجهه فى زحمة المسافرين . لم اعرف إن كان ما رايته خيالا او حقيقة . صورة نفضها الذهن من مخزوناته او إحساساً واقعياً مباشراً . ماضياً او حاضراً او شيئاً انخلع ببساطة من مجرى الزمن فليس بماض ولا حاضر . وكل إنسان اتفقت له حوادث من هذا النوع ، ولكننا ننساها لأننا لا نرتب عليها شيئاً عملياً . وإذا كان قصدى من تسويد هذه الصفحات هو أن اكتب قصة طارق ، دون أى غرض عملى اخر ، ليقراها قارىء لا يرمى ـ بدوره ـ من قراءتها إلى أى غرض عملى ، فلست مضطراً لأن التزم بالمنطق . إنما المشكلة هى اننا ـ طارق وانا ـ كنا فى مناقشاتنا الطويلة ننتقل بلا حذر ولا احتشام بين حقائق العلم وومضات الشعور : كان مطمحى الاكبر هو أن أجعل من دراسة اللغة والادب علماً ، وكذلك كان يحاول فى تاريخ الحضارات . وكلانا كان يعتقد أن للانسان ، وكل ما ينتجه الانسان ، قوانين خاصة لا تشبه قوانين سائر العلوم ، واكثر من ذلك : أن قوانين الحياة الانسانية لا يمكن أن تصاغ فى أى لغة معروفة ، لانها إذا صيغت فى مثل هذه اللغة ، فقدت صدقها فى نفس اللحظة . ومع ذلك يجب الا يكف الانسان عن المحاولة . هل يستطيع غير ذلك . ؟

• •

لا أدرى هل كان لمناقشاتنا بعض التاثير فيما اعتزمه طارق من اقتحام الماضى او الغوص فى بطن الأرض كما عبرت له ، ام لننى انا الذى تاثرت بافكاره عن الحضارة البشرية ، حتى ترجمتها إلى نوع من الفلسفة اللغوية ؟ المهم انه لم يجد صعوبة كبيرة فى إقناعى بمشروعه ، وشيئاً فشيئاً جعلت الفكرة تلح علينا بحيث لم نجد وسيلة للتخلص منها إلا تنفيذها . والذى اخشاه الآن ، وقد جلست لاكتب قصة هذه المغامرة ، أن تكون شخصية طـارق نفسها ، مثل صورة اخى الميت ، قد خرجت من مجرى الزمن ، فهو غائب كالحاضر ، او لا غائب ولا حاضر ، فاكتب قصة لا هى بالحقيقة ولا الخيال ، مع أننى أردتها حقيقة خالصة ، فقد كنـا نفكر اننا بصدد كشف علمى يمكن أن يهز العالم . ولو تم الأمر كما تصورناه آنذاك لكان الشىء الذى بين يديك الآن وصفاً تفصيلياً واقعياً لا يخلو من بعض اللمسات المستمدة من الحياة اليومية ، كالوصف الذى كتبه احمد حسنين باشا عن رحلة فى صحراء مصر الغربية (حتى يكون لمصر والعرب رحالة مثل لفنجستون) واكتشافه لواحة مجهولة . اما وقد حدث ما حدث ، فلابد من الاعتراف باننا لم نكن نفكر دائماً مثل احمـــد حسـنين (او لفنجستون) ، فقد كانت افكار الغياب والحضور والماضى والمستقبل والموت والحياة وآلاف الأفكار الأخرى التى تصعب تسميتها تراودنا ايضاً ، كجنيات الأساطير ونحن نخطط بطريقة علمية للعمل الجنونى الذى اقدمنا عليه فعلا ، وهانذا بعيد عن لفنجستون واحمد حسنين بعـد السماء عن الأرض ، لم احمل من رحلتنا العجيبة اى اثر ، ولم ادون اية يوميات ، لا املك إلا ذاكرتى المشوشة استمليها ، واخشى ما اخشاه ان تثمر افكارى الغريبة عن اللغة عملا ادبياً (معذرة إذا سميت محاولتى بهذا الاسم الفخم ، فالحقيقة انه لم يعد له اى احترام فى هذه الايام) شبيهاً بادب اللامعقول الذى اكرهه ، وقد تعرضت له فى رسالتى التى حصلت بها على درجة الماجستير مع مرتبة الشرف وتوصية بطبعها على نفقة الجامعة لانها اتصفت بميزة نادرة وهى اسلوبها العلمى الدقيق .

حقاً إن لدى بعض الأوراق التى كتبها طارق على إثر عودتنا من الرحلة المشئومة ،

ولكننى لست سعيداً بهذه الأوراق ، بل إنها هى بالذات سر المشكلة التى اجدنى فيها منذ قررت أن « اخلد » رحلتنـا من اجـل « الحقيقة والتاريخ » . فلا انا استطيع ان اهملها (وطارق ، كما سبق ان اعلمتك ، هو البطل وصاحب الدور الأول ، ولكنه كتب هذه الأوراق وهو فى حالة غير طبيعية ، ولا أستبعد أن عقله كان قد خولط فعلا) ولا انا استطيع ان اترجمها بلغتى ، وهى لغة عادية بالرغم من شطحاتى الفكرية فى موضوع اللغة . وإذن فلابد لى من ان اقتبس منها اقتباسات طويلة . والافضل ـ بكل تاكيد ـ الا اترك منها شيئاً ، لانها الوثيقة الوحيدة عن رحلة لم يقم بمثلها ولا تخيلها احد من البشر . ومع يقينى بان النتيجة ستكون نشازاً هائلا ، فان هذه هى الطريقة الوحيدة التى استطعت أن اطمئن إليها ، إن كان لهذه الرحلة ان تكتب على الاطلاق .

« ٢ »

هانذا أشرع فى تدوين وقائع « رحلتى » الغريبة ، مع اننى يائس تماماً من قدرتى على إتمامها ، اعنى المذكرات لا الرحلة . وهذه هى الأولى فى سلسلة المتناقضات التى أصبحت واقعاً فيها : إما أن اتمم المذكرات وإما أن اتمم الرحلة فلن تكون ثمة ضرورة لكتابة المذكرات ، وإذا كان من الضرورى أن اكتب مذكرات فالأفضل ان تتوقف ، اى اكتفى بما كان ، أن اكف عن الغوص واسترد نفسى التى اعرفها . فانا لم أعد ذلك المراقب المحايد،ذلك المكتشف ،ذلك الباحث عن الحقيقة . لم أعد قادراً على احتواء مشاهداتى بل هى التى تحتوينى ، كانى أرى بعيون الوهم ، او اخبط فى ارض مسحورة .

كهف الأخيار

لعل هذا هو السبب الحقيقى فى تصميمى على أن اكتب هذه المذكرات ، فانا لم اعد واثقاً من قدرتى ، فى المستقبل ، على ان اكتب شيئاً مفهوماً . هل أصبحت على عتبات « الحقيقة » نفسها (حقيقة اكبر واعمق مما حاولت اكتشافه) أم ان كل ما يربطنى بالحقيقة يوشك أن ينقطع ؟ لا ادرى ، وقد لا يكون ثمة فرق بين الأمرين ! نعم ، لقد لعبنا كثيراً بالجمع بين المتناقضات ، وهانذا اشعر أن أصابعى احترقت وانتهى الأمر ، وبالكاد أستطيع أن ادون هذه الكلمات ، لا لأعلن كشفاً تاريخياً هائلا كما كنت احلم ، بل لأسجل تجربة لم اعد — بكل أمانة — قادراً على تمييز الحقيقة والخيال فيها .

الحقيقة والخيال ؟ ... هـــذه هى النقيضة الكبرى التى اكاد اسقط منهـــا بلا أمل فى العودة . لماذا لا اكون صريحاً من أول الأمر فاقول إنى لم اعد ابالى بالتفرقة بين هذين « المتناقضين » ؟ إذا بدأت مع ديكارت « انا افكر فانا موجود » فوجودى ينبغى أن يكون أجدر الأشياء بأن يسمى « حقيقة » . ومع ذلك فكم فى هذه الحقيقة من الخيال ؟ لابد أن ابى وامى ، ربما قبل أن يلتقيا ، تخيلانى كل بمفرده ، على نحو من الأنحاء . ثم حين وقعت الواقعة واشتعل الخيال ، تجسد الحلمان فى التقاء بويضة صغيرة وحيوان منوى أصغر . وما زال الرجل والمرأة يلحان على بخيالهما ، دون رحمة ، مذ كنت جنيناً تتخبط فى ظلمات سجن ضيق . ثم ماذا انا الآن ؟ كما اظننى انا نفسى ؟ كما يظننى صديقى سليم ؟ كما يظننى مدير المدرسة ، تلاميذى ، إنسان جلست بجانبه فى طيارة أو قطار ، الفتاة التى يمكن أن التقى بها يوماً ، وتسمينى « فتى احلامها » ؟ كل ظن من هذه الظنون خليط مهوش من الحقيقة والخيال . لقد اغرمت فى وقت ما بدراسة الأساطير ، ووجدت نفسى أسأل : إذا كان البشر لا يطيرون فى السماء ولا يسكنون فى أعماق البحر ، ولم يعرف قط انهم استخدموا الجن فى بناء قصورهم ، أو محاربة أعدائهم ، فمن أين جاءتهم هذه الأفكار الغريبة ؟ ليس هناك إلا واحد من أمرين : إما أنها تحققت فعلا ، بكيفية ما ، فى زمن ما ، وإما أنها مجرد رغبات سيعملون على تحقيقها يوماً . الغرض الأول لا يمكن إثباته أو نفيه . لا يمكن إلا أن « يحفظ لعدم كفاية الأدلة » أو يبقى لغزاً محيراً للمساكين الذين يعانون من مرض البحث عن الحقيقة ، ولو كانت على جبل قاف ، أما الغرض الثانى فلابد أن يلد سؤالا : من أين جاءت الرغبة ؟ ما هذا الشيء الغريب الذى نسميه رغبة إنسانية لماذا يكون شيء ما مرغوباً وشيء آخر مكروها ؟ لم اقتنع بما يقوله علماء النفس من أن رغبات الانسان مرتبطة دائمـــاً بضرورات بيولوجية ، يسمونها احياناً غرائز ، واحياناً حاجات . فقد كانت الأساطير تحدثنى باشياء اعمق من الوجود البيولوجى للانسان ، ومن يدرى : لعلها كانت فى اعماق الوجود البيولوجى نفسه . لقد وجدت نفسى اجزم بأن ثمة رغبة واحدة اساسية للانسان ، تنبع منها كل الرغبات : تلك هى رغبته فى الحرية . وما الحقيقة والخيال إلا وسيلتان للوصول إلى الشعور بالحرية ، تتداخلان وتمتزجان بحيث لا يمكن التمييز بينهما ، وتنتجان دائما اختراعاً ما : أسطورة أو بدعة من بدع التكنولوجيا . أيهما أهم للانسان : الأسطورة أم التكنولوجيا ؟ انا شخصياً لا استطيع أن اجزم . المقياس الوحيد الذى أراه صالحاً لتقييم اختراعات الانسان هو مقدار ما تنتجه من الشعور بالحرية . فلابد من الاعتراف بأن الانسان — وا أسفاه ! — لم يولد حراً ، ولكنه ولد وفى رأسه ، أو قلبه أو شيء آخر من كيانه الذى لا نعرفه على وجه التحديد ، شوق محرق إلى الحرية ، يتفق له بين الحين والحين شبع مؤقت ، فكلما زاد الشبع أو طال الوقت كان ذلك افضل ، ولو أن الانسان يعود فيندفع — لاهثاً ومفتوناً — وراء سراب الحرية .

لماذا اقول ذلك الآن ؟ الآن رحلتى التى لم تعد رحلة ، بل أصبحت مجرد تجربة ، كانت فى حقيقة أمرها اختباراً لمعنى الحرية

« ٣ »

أما انا فاظن أن الهوس بفكرة الحرية هو الذى ولد النظرية العلمية ، ولعل من المبالغة وعدم الدقة أن أسميها نظرية ، فطارق نفسه لم يسمها بهذا الاسم ، ولعل الأصح انها كانت مجرد احتمال ، وكان من الممكن أن نختبر صحة هذا الاحتمال بالف طريقة أخرى ، ولكن طارق اختار هذه الطريقة المباشرة ، ولو أنها كانت تتطلب شجاعة هائلة ، وإذا كان ما رآه فى تلك الليلة حقيقة ولم يكن مساً من جنون ، فلاشك أنه أصاب فى اختياره .

بدأت القصة عندما كان طارق يقرأ فى « صفة جزيرة العرب » للهمداني. دخل على ذات مساء ، أشعث الشعر كعادته ، وفى عينيه لمعان أكثر من المعهود ، وصاح بانفعال :

— اسمع هذا :

« ثم تمضى فى بطن الفقى ، وهو واد كثير النخل والآبار فتلتقى قارة بلعنبر ، وهى مجهلة ، والقارة أكمة جبل منقطع فى رأسه بئر على مائة بوع ، وحولها الضياع والنخيل . قال راجزهم :

إنـــا بنينـــا قارة وسط الفقى
من الدبابيب ومن ســـح المطى

... هذا ياسيدى هو ما يسمونه جبل قارة لقد ذكر الهمدانى عدة جبال من هذا النوع ولكنى بدأت أشك فى صحة تسميته إياها جبالا . أولا : لاحظ انه لم يذكر هذه القارات إلا فى الأطراف الخصبة من شبه الجزيرة . ثم ما رأيك فى هذا الشعر : إنا بنينا قارة ؟ طبعاً يمكنك أن تقول إنه كالشعر الذى ينسبه إلى هود ثم لا يتورع أن يقول إن يعرب — حفيد هود — هو أول من تكلم بالعربية . أنا لا تهمنى صحة الشعر وإنما تهمنى الأسطورة التى يرويها . فالأسطورة لاتنشأ من العدم . ودلالة الأسطورة واضحة : ان هذه القارة — ولعل هناك قارات أخرى مماثلة — ليست جبلا إلا بقدر ما يمكنك أن تسمى الأهرام جبالا . إنها مدن بالغة التحصين ، بناها الأحياء ليحافظوا على حياتهم ، كما بنى قدماء المصريين الأهرام ليحافظوا على موتاهم .

وشرد ببصره إلى الأفق المصطبغ بما يشبه الشفق الدائم ، تلونه شعل الغاز التى تنفثها مداخن جبارة فى حقول النفط ، وتمتم :

— تخيل أن هذه المداخن التى ترمز لعصر النفط ، يمكن أن تكون مجاورة لأثر من أقدم ما خلفه الانسان ؟

شعرت بالقلق . فليست هناك حدود لما يمكن أن يشطح إليه خيال هذا الفتى . وقد علمنى أساتذتى العظام ألا أتسرع فى استخلاص النتائج ، وخصوصاً حين يتعلق الأمر بالتاريخ . نعم إننى أجد متعة خاصة فى فلسفة اللغة ، ولكن هذه الفلسفة تتعلق بوقائع ذهنية ، الدليل الوحيد على صدقها هو أن يجدها الآخرون مقبولة ، أما الوقائع الخارجية ، والوقائع المادية ، فشيء آخر !

قلت له :

– لا تتعجل الحكم . إن كلمة واحدة وردت فى الهمدانى لا تصلح دليلا على واقعة تاريخية .

احنقته ملاحظتى ، فقال بشىء من الضجر تعودت أن أغتفره له :

– ومن قال لك إننى الآن بصدد البحث عن دليل ؟ نحن نتخيل أولا ، وعندما نأتى إلى مرحلة البحث عن دليل ، فلن نقنع إلا بالدليل القاطع الذى نستطيع أن نلمسه بأيدينا .

لاشك أن الصورتين المتناقضتين مستا أوتاراً خفية فى نفسه : صورة القارة – الحصن ، وصورة الشعلة التى لا تخبو ليلا أو نهاراً فى رأس المدخنة السامقة . أى معنيين للحرية ! الحركة المكتفية بنفسها ، التى تختار أن تقطع كل صلة لها بالعالم ، آنفة أن يمسها ظلم لا تقدر على رفعه ، ولا تطيق السكوت عليه ، والحرية التى تنفض أغلالها وتطلق طاقاتها الحبيسة وإن هى ذهبت بددا . الحرية التى تطبخ الصلصال صخراً يصمد لهوج العواصف وعدوان البشر ، والحرية التى تنطلق من سجنها الأرضي وتخرج لسانها الأحمر للسماء . أهذا هو الذى أشعل خيال طارق أم معان أخرى لا أدريها ، ولعله هو نفسه لا يحسها بوضوح ؟ كان طارق من أولئك الأشخاص الانطوائيين الذين يعانون كثيراً من مشاعرهم الباطنية ، أو بالأحرى من عجزهم عن إعطاء هذه المشاعر الشكل المناسب فى عبارة أو سلوك ، ولهذا تراهم دائما مستوفزى الأعصاب ، ساخطين على أنفسهم أو على أقرب الناس اليهم .

– هنا بعض المشكلات اللغوية التى يمكنك أن تساعدنى فى العثور على حل لها : سح المطى – يقصد بها ولاشك الجمال أو النوق المغيرة التى تهبط عليهم أرسالا كما يسح المطر . وهنا مسألة مهمة : يبدو أن العرب استعملوا الجمال والنوق فى الحرب قبل أن يستعملوا الفرس ...

– كلمة المطي يمكن أن تطلق على الجياد أيضاً . ومع ذلك فأنت على حق . فالاستعمال يربطها غالباً بالنوق . وزهير ابن أبى سلمى رمز للحرب بناقة هائجة . وجدت بعض النقوش أيضاً ...

– حسن جداً . ستحدثنى عن هذه النقوش فيما بعد . ولكن هناك مسألة ثانية : كلمة «الدبابيب» : بحثت عن معناها فوجدت أنها لا يمكن إلا أن تكون جمع «دبابة» ، وكانت قديماً آلة من آلات الحرب تستخدم فى هدم الحصون ، والظاهر أنها كانت أشبه بترس عظيم يختبىء تحته المهاجمون . ولكن متى عرفت «الدبابة» فى هذه المناطق ؟

بعد مناقشات طويلة ، وبحث فى معاجم اللغة وكتب التاريخ ، كان الفرض الذى بدا لنا معقولا جداً هو أن القارة – أو هذه القارة بالذات – هى فعلا نوع من المدن المحصنة أنشئت فى عصر تميز بنشاط حربى غير معهود . فهذا هو المعنى المركزى فى الأسطورة ، الذى لا يمكننا التخلى عنه اذا اعتبرنا أن لهذه الأسطورة أصلا فى الواقع التاريخى على الاطلاق . أما أدوات الحرب – كهذه الدبابيب أو المطى – فتفصيلات قد يكون من المشوق بحثها على اعتبار أنها جزء من ذلك الأصل القديم ، ولكن من الجائز أيضاً أن تكون إضافات أدخلها الراجز المجهول ، وكنا نسلم ضمنا بأنه لابد أن يكون متأخراً عن عصر الأسطورة بزمان بعيد .

بقى تخمين العصر الذى بنى فيه هذا الأثر العجيب . رجح طارق أول الأمر أنه بنى حوالى القرن السادس قبل الميلاد ، عندما كانت جيوش الأشوريين تثير الذعر وتنشر الخراب فى المنطقة كلها . ولكنه ما لبث أن جاء بفرض أكثر جرأة : ان ما نعرفه عن تاريخ البشرية جد قليل . لقد أصبح من شبه المؤكد الآن أن الانسان (الهوموسا بينس) عاش على ظهر هذا الكوكب منذ قرابة خمسين الف سنة . هذا ما تدل عليه الحفريات ، أما النقوش المكتوبة فلا تصعد إلى أكثر من سبعة آلاف سنة ، ولذلك نسمى عشرات الألوف من السنين التى سبقت هذه الفترة عصور ما قبل التاريخ ، لأنها مجهولة لدينا جهلا تاماً . ولكننا إذا نسقنا الحقائق الجيولوجية والمعلومات الاثنوغرافية المتوافرة لدينا الآن أمكننا أن نصل إلى نتيجة أو فرض ممكن على أقل تقدير : وهو أن هذه المنطقة من العالم شهدت حضارة مزدهرة أثناء العصر الجليدى الأخير ، ولكن تغيرات كونية هائلة محت هذا التاريخ محواً يوشك أن يكون تاماً .

– تصور ما يحدث لو أن حرباً ذرية قامت الآن فى أوربا وأمريكا الشمالية . ولنفرض أيضاً أن تأثيرها كان محدوداً بالنسبة للأقاليم البعيدة عن هاتين القارتين – هذا ممكن ، أليس كذلك ؟ .. لاشك أن الحضارة سترتد إلى عصر الزراعة البدائية والصناعة اليدوية . ولكن الأجيال التالية ستعرف – على الأقل – متى وقعت الكارثة وكيف . لأن سكان القارات المتخلفة المحظوظة فيهم من يمكنه أن يسجل ما حدث . أما إذا كانت الكارثة الكونية قد حدثت فى أثناء العصر الجليدى الأخير أو أعقابه فستبقى الحقيقة مطمورة تحت ركام الأساطير . لأن الأقاليم الأخرى كانت خالية تقريباً من الجنس البشرى ، وإذا كانت قد وجدت فى بعضها كائنات قريبة الشبه بالانسان ، فقد كانت كائنات بلا حضارة . وهكذا يمكن أن تمر الكارثة الكونية الأولى بدون تسجيل ، فلا يكون لدينا إلا مصدر واحد لدراستها ، وهو قراءة الأساطير .

وأردف بعد تفكير :

– وربما أيضاً بعض الحفريات .

أشفقت عليه من الاسترسال فى مثل هذه الفروض ، فهمست مبتسماً :

– لاشك أن قراءة الأساطير لعبة مسلية ..

ولم يفته معنى السخرية فى ابتسامتى وكلماتى ، فاضاف كالمعتذر :

– أعلم أن لغة الأساطير ليست شفرة



كهف الأخيار

« ٤ »

يمكن تحديد رموزها بشكل قاطع ، ولكن هل ادعيت انى اقدم نظرية علمية ؟ هذا مجرد فرض ... احتمال ... هل تستكثر ان اسميه كذلك ؟

وشعرت انى يجب ان اتصلب اكثر ، فقلت :

ـ إن الفروض او الاحتمالات التى من هذا النوع لا يمكن ان تحصى . وكلما زاد عددها قلت قيمتها . بالطبع انت تعـــلم هذا .

قال :

ـ انت تبالغ . لدينا بعض الادلة .

فسالته لاعجزه :

ـ كم تقدر عمر هذه القارة ـ الحصن كما تقول :

اجـــاب :

ـ عشرين الف سنة تقريبا . لقد عاش الهرم الاكبر اكثر من خمسة آلاف سنة . والمرجح انه سيبقى إلى نهاية عمر الأرض . منطقتنا محظوظة من هذه الناحية ، لأن جفاف الطبيعة يسمح للآثار الانسانية بالبقاء ، حتى توشك ان تصبح جزءاً من الطبيعة نفسها .

قلت له وانا احاوره :

ـ وراء كل كشف علمى دافع ما . يقال إن فرويد كان يعانى هو نفسه من عقدة اوديب وانا اسال نفسى الآن : ترى ما الدافع الذى يجعلك تشغل نفسك بهذه القضية ؟ لا يغيب عن فطنتك ان تحقيق هذا الغرض او الاحتمال ـ سمه ماشئت ـ صعب جداً . وكان فى استطاعتك ان تختار مشكلة اخرى اكثر تشجيعاً للباحث . كان بامكانك ان تدرس فترة تاريخية سبقت دراستها فعلا ، وتقارن بين بعض الأقوال وترجع إلى بعض المصادر ، وتحصل على الدكتوراه . فلماذا تنام وتصحو على التفكير فى حضارة اجدادنا هؤلاء ـ إن صح انهم وجدوا ، وانهم اجدادنا ؟

لم يجب عن تساؤلى . ولم اهتد انا إلى تفسير معقول . واخيراً ايقنت انها فكرة متسلطة لا سبيل إلى زحزحتها إلا «بفعل» ما . ثم ... كان هناك اعتقاد يشع من كيانه كله بان ثمة حقيقة غائبة ستتجلى له يوماً!

اخيراً جاء اليوم :

ـ لابد ان ادخل .

وكان من العبث ان اقنعه بتاجيل الفكرة فقد بدا ان هذه هى اقرب وسيلة لتحقيق صحة فرضه . اليس من الجائز ان يجد على الجدران كتابة ما ، نقوشا ، ربما ايضاً لن يعثر على آنية او ادوات او ... عظام بشرية ؟

نعم ... هذه هى اقرب طريقة لاختبار « الفرض » . لم استطع ان اقنع طارق بانه يعرض نفسه لمخاطر لا يمكن التنبؤ بها ، وحاولت ان اخفى جزعى من قضاء ليلة بمفردى ... الحق ان الامر ، بالنسبة لى ايضاً ، لم يكن يخلو من نشوة ... تذكرت تلك الصبى الذى كان يتسلل مع جماعة قليلة من رفاقه إلى المقابر القديمة ، التى لا يعرف احد تاريخها بالدقة ، حتى ولا عجائز القرية ، وهناك ينبش القبور ، ويقلق عظام الموتى ، طمعاً فى الحصول على كنز مخبوء ..

عندما سكنت الأصوات تماماً ، وشعرت انى منقطع عن العالم ، اطفات الكشاف ، فساد ظلام حالك ، وجدت نفسى اتحسس يدى « وساقى » ووجهى ورأسى ، كانى اتاكد انى لا ازال موجوداً . شعور غريب فاجانى وجعلنى اضحكمن قول ذلك الفيلسوف : انا افكر فانا موجود . فقد بدا لى انى كنت طول عمرى اعتقد انى موجود لان الآخرين يروننى . كنت دائماً انظر إلى نفسى بعيون الآخرين ، حتى عندما اعتزل ، عندما اختبىء من الناس . هم حولى دائماً . الآن وقد اصبحت قطعة من الظلام ذابت كينونتى فيه ، مازلت افكر ، ولكننى لم اعد واثقاً من وجودى . وهانذا المس اطرافى مرة اخرى . يبدو اننى ساحتاج إلى فترة كى اتاقلم مع هذا الوضع . ومضت فى ذهنى فكرة غريبة . لعل المشكلة الكبرى التى يعانيها العميان ليست عدم رؤيتهم لما حولهم ، بل الاقتناع بان الآخرين يرونهم فعلا ، مـــع انهم ، لا يرون الآخرين . من هنا ياتى شعورهم بالاختلاف قد يكون هذا الشعور عزلة ، قد يكون استعلاء ـ ما نسميه عقدة النقص ـ قد يكون خبثاً او دهاء او قسوة . لا لابد لى لن اضيء هذا الكشاف .

بالكاد افلحت فى منع يدى من تحريك الزر الصغير . أن اذوب فى الظلام اللامتناهى ـ هذه ايضاً تجربة يجب ان امتصها ـ او تمتصنى ـ حتى النهاية .

اغمضت عينى وكففت عن تحسس اطرافى شعرت انى اصغر واصغر حتى اصبحت اصغر فى الحجم من ذرة . وإذا بهذه الذرة تكبر كانها تحولت إلى الحالة الغازية . سبحت فى الفضاء بسرعة هائلة كانى نيزك وعن يمينى ويسارى تنطوى مساحات شاسعة متوهجة من نيران متراقصة وبقع معتمة لابد انها الكواكب . كان حلماً رائعاً ورهيباً تملكنى وانا فى تمام اليقظة ، صحوت منه وانا واقف فى مكانى ، ممسك بكشافى ، اتصبب عرقاً . وما زلت ارتعد كلما تذكرته ، مع انى استطعت ان استرجع حالات كانت اشبه بارهاصات لهذا الحلم الكبير ، عندما كنت اغمض عينى وانقطع عن العالم ، ودائماً كان ثمة وعى مادى ساخر يقول لى إن آثار الاحساسات البصرية عند إغماض العينين تكون اشبه بومضات فى الظلام ، يمكن ان يتخيلها الحس المريض نجوماً وشهباً .

بعد ان هدات اضات الكشاف وادرته حولى . كنت فى شبه ممر ضيق يتسع لشخصين او ثلاثة على الاكثر . ووقع ضوء المصباح على جانب من الجدار لمحت عليه نقشاً ، خفق قلبى بشدة ، اقتربت ، وقرات :

النهضة بطل الدورى

حمـــد الفرحان

١٣٧٨

إذن فما زلت عند الابواب . لعل هذا الفرحان توغل إلى هنا معتمداً على كشافه واصوات رفاقه . ولكن المؤكد انه لم يجاوز هذه النقطة ، واقدر انها لا تبعد عن فوهة الكهف باكثر من مائة متر .

اهل البلدة يتحدثون عن هذا الكهف دائماً بنوع من الفخر . كلما جاءهم سائح طافوا به حول القارة ، ثم اخذوه إلى هناك . وبعد مدخل مكون من صخور غير منتظمة ، يبلغ طوله خمسة عشر متراً تقريباً يقودونه إلى فجوة صغيرة معتمة ، لا تكاد تزيد مساحتها عن حجرة متوسطة ، ويقولون له بنوع من الزهو : ما رأيك ؟ وإذا كان جاهلا ، فسروا له السؤال : كيف تشعر بحال الجو ؟ وإذا كان الفصل شتاء فيجب ان يقول لهم إنه ادفأ كثيراً من الخارج ، وإذا كان صيفاً فيجب ان يقول لهم إنه الطف كثيراً . وقد كان ذلك صحيحاً إلى حد ما ، ولكنهم ـ كعادة الناس جميعاً ـ يبالغون ، ولعلهم اصبحوا اكثر ميلا إلى المبالغة بعد ان عرفوا اجهزة التكييف . وإذا كان الزائر طلعة ، واراد ان يتوغل اكثر ، حذروه واشاروا إلى الظلمة المتكاثفة فى الداخل ، وربما حكوا له حكاية الفرنسيين الستة الذين قرروا ان يستكشفوا اعماق الكهف ، ولكنهم لم يستطيعوا الخروج منه . وقد اهتم طارق بهذه الحكاية ، وحاول أن يستقصى خبر الفرنسيين الستة المزعومين

لعلهم جمعوا ـ قبل الاقدام على مغامرتهم ـ بعض المعلومات التى يمكن ان تفيده ، ولكنه لم يهتد إلى شىء ، وبقى حائراً : هل القصة كلها من اختراع العامة لتحذير امثاله ، أو ان لها أصلا من الواقع ؟ ولعله تذكر قصة الفرنسيين الستة حين راى تلك الكتابة السخيفة فى اول رحلة ، ولعله خاف ان يكون اكتشافه التالى مجموعة من القمصان والشورتات والايشاربات مع كومة من العظام يرجع تاريخها إلى عشرين سنة أو ثلاثين ، بدلا من عشرين أو ثلاثين الفا . ولكنه لم يشر إلى هذه القصة إطلاقا فى الأوراق التى خلفها .

كان طارق فى رجوعه إلى المصادر الحية ملتزما جانب الحذر ، لأسباب مفهومة : فالسؤال عن مثل هذه الامور يمكن ان يليق بالافرنج المهووسين ، ولكن ابناء العرب لايهتمون بالكهوف والجبال إلا إذا كان لديهم معلومات عن كنز مخبوء ، أو فى نيتهم ارتكاب جريمة ما . ولذلك وضع خطة عملية بسيطة للرحلة التى قرر ان يقوم بها وحده ، وبكيفية لا يمكن ان يلحظها احد .

ذهبنا إلى الكهف قبل الغروب بساعة ، وهى فترة يقل فيها المتفرجون ، ولم يكن منظرنا يوحى باية ريبة : شابان فى ملابس إفرنجية خفيفة ، يحمل كل منهما حقيبة يد متوسطة الحجم . غريبان جاءا للنزهة أو للفرجة على المكان . انتحينا ركنا فى فجوة الكهف وتربعنا كمن يستريحان بعد جولة طويلة ، ناويين ان يستمتعا بعض الوقت بجوه اللطيف المشهور . واخرج طارق شطيرتين وعلبتى عصير من حقيبته ، واخذنا ناكل ونشرب على مهل ، ونتبادل بين الحين والحين كلمات قليلة لا صلة لها بما قدمنا من أجله ، بينما كان كلانا مشغولا بخواطره . كنت افكر فى سخافة الأمر كله ، وبدات اشعر بالخوف ، أما طارق فكان وجهه جامداً ، وعيناه تنظران إلى الفراغ . انقطعت الرجل، واشتدت العتمة ، وسمعنا اصوات الزرازير فى الحقول المجاورة ، وتمنيت لو أسرع بالخروج لأرسل عينى فى النجوم والسماء والأفق ، واغسل وجهى بعطر الليل الناعم ، ولكن طارق وقف واخرج طرف الحبل من الحقيبة التى كنت اعلقها بكتفى ، وربطه حول وسطه ربطا محكما ، ثم اخرج الكشاف من حقيبته هو ، وضغط على الزر وراح يحرك دائرة الضوء حتى ابتلعها الظلام ، فسار مبتعداً فى تلك الاتجاه .

●●

قال لنا البائع وهو يشير الى اللفة الضخمة : هذه أكبر واحدة الف متر .



فرفعها طارق وكانت ثقيلة . وساله إن كانت لديه واحدة بيضاء ؟ فقال له إن هذه اللفة الوحيدة عنده من هذا الحجم . وكانت بنفسجية . استطعنا بعد لأى أن نعثر على الطرف الآخر للحبل كى اربطه حول وسطى

وهكذا كان فى استطاعة طارق ان يتحرك داخل الكهف فى دائرة نصف قطرها كيلومتر ، وهو مطمئن الى انه يستطيع العودة كما عاد ثيسيوس من قصر التيه .

●●

كنت شديد الخوف والانقباض . نظرت الى طارق وهو يغيب عن عينى فى الظلام ، وكانى انظر الى زورق صغير يغوص فى الموج .

« ٥ »

كانت الساعة تضىء فى معصمى فقربتها من عينى وقرأت الثامنة وعشر دقائق . لم يعد الظلام يزعجنى ، بل على العكس كنت أشعر بما يشبه الفزع كلما اضات الكشاف لأنظر حولى وفوقى وأسفل منى . لا أزال فى الممر الضيق . كانت هذه الملاحظة تزيدنى اطمئنانا الى صحة افتراضى انى هنا فى حصن ولست فى كهف طبيعى . فقد رأيت بعض هذه الكهوف فى لبنان والجزائر ، والشىء الذى استرعى نظرى فيها هو تلك الخشونة الطبيعية التى تتكشف هنا وهناك عن أعجوبة من أعاجيب الجمال الهندسى : تلك التكوينات البلورية التى تتدلى من السقوف كالثريات .أما هذا المكان فلا يمكننى أن أسميه إلا نفقا . وهو بهذه الصورة عمل تكنولوجى محكم فى باب الانشاءات الدفاعية . فسح المطى يقف أمامه عاجزاً حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، والجيش العرمرم لا يمكنه أن يتقدم إلا اثنين اثنين ، وببطء شديد ، بحيث يمكن أن يتصيد عند فتحة الممر ولو لم يكن لدى المدافعين من السلاح إلا الفئوس أو العصى . وكان الخطر الاكبر الذى لم يبرح ذهنى هو احتمال أن يحتوى على هوة أو اكثر ، كوسيلة إضافية من وسائل الدفاع ، ولذلك كنت اسير ببطء متحسساً مواقع قدمى ، محنياً راسى ، متلمساً جانبى النفق بيدى . وكنت اشعر أحياناً أن النفق لا يسير فى خط مستقيم وخصوصاً حين كنت اضىء الكشاف وأوجهه الى العمق فاجده يصطدم بالسقف أو الأرض أو احد الجانبين . ولم اعرف الحكمة من ذلك ، ولكن تاثيره فى كان واضحاً ، وهو انى سرعان ما فقدت الشعور بالاتجاه . غير انى لم اهتم بذلك كثيراً ، فقد كان الحبل فى وسطى يؤمن عودتى متى شئت .

شعرت بتصلب فى اعضائى . فجلست ممددا ساقى ، مسنداً ظهرى الى جدار النفق ، مندهشاً مما فعلت وما يجرى .

عندما كنت اتحرك ، كان تفكيرى منحصراً فى الاحساسات التى اتلقاها من الخارج . كانت خلايا المخ تعمل بطريقة تلقائية فى ترجمة هذه الاحساسات واصدار ردود الأفعال المناسبة . عندما جلست تركز إحساسى فى باطنى . سمعت دقات قلبى . تلذذت بنبض الدم فى عروقى . شعرت بترطب فمى وتفتح بلعومى وتحلب العصارة فى معدتى . اخرجت شطيرة وجعلت الوكها ببطء وتلذذ . استنشقت بقوة وشعرت بهواء عجيب الطعم والرائحة يتخلل خياشيمى . خيل الى ان الهواء سائل وانى سمكة وانى انزلق فيه بنعومة . لم يساورنى اى خوف : على العكس ، كان يملؤنى شعور بالرضى والاكتفاء ، انغماس تام فى اللحظة وفى ذاتى ، حتى خفت ان انام وانا جالس فى مكانى .

●●

بعد هذه الصفحة يصف طارق خروجه من النفق ، وهنا يبدأ الشطر العجيب حقاً من رحلته أو من تجربته كما قال .

إن طارق نفسه لايستطيع ان يحدد لنا نصيب الحقيقة ونصيب الخيال فيما راه . وحتى فى احاديثه معى لم يستطع ان يجزم بشىء ، مع ان الذى جمعته من أوراقه واقواله ليس مستحيلا ولا حتى خارقاً للعادة ، انه لايشبه قصص الف ليلة وليلة ولايمكن تحويله الى قصص علمى ، ولكنه كان يتكلم عنه بانفعال شديد ، كما كانت كنايته مضطربة

كهف الأخيار

ومهوشة ، ولذلك أجدنى مضطراً لأن أتولى عنه مهمة السرد فى هذه النقطة بالذات . ومع أن الكتابة ترهقنى إرهاقاً شديداً ـ أنا الذى كنت أعد نفسى لأكون كاتباً ـ فلا أظننى قادراً على التوقف الآن ، لا من أجل « الحقيقة و التاريخ » ـ أعترف انهما فقدا أهميتهما بالنسبة الى ـ بل لأن هذه القصة الحت على بما فيه الكفاية ، ولااجد وسيلة للتخلص من القلق سوى أن أحوله إليك .

● ●

أدرك طارق انه وصل الى آخر النفق عندما لاحت له فتحة كبيرة يسيل منها نور بنفسجى باهت . كان القمر فى أوائل التربيع الثالث ، وكانت ساعته تشير الى العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة ، وقدر انه قطع حتى الآن ما يقرب من ثلثمائة متر . ما زال لدية سبعمائة متر ليرى ويكتشف ، وهى تعنى الكثير ما دام قد خرج من ظلمة النفق الى ما يبدو انه ساحة واسعة يمكن أن يعثر فيها على بعض آثار الحياة .

طرفت عيناه بشدة . فمع أن الضوء كان لينا وخافتاً فقد سقط كالشلال على مقلتيه اللتين ألفتا ظلمه النفق ، وعندما استطاع أن يجعلهما حوله ، ندت منه صرخة دهشة .

كانت أمامه ساحة ممتدة غير منتظمة الشكل ، ولكنه قدر أن مساحتها تقرب من كيلومتر مربع . وكانت مؤلفة من تجاويف مختلفة السعة ، تظللها طنوف نائتة كشعاف الجبل ، وكأنها أعدت لمراقبة أى غاز يمكن أن يتسور الحصن

أما الذى راعه فهو الأرض؛كانت مكسوة بألوان متفاوتة بين الخضرة والصفرة ، وعندما دقق النظر استطاع أن يتبين عيدان الشعير وأوراق الكروم ، وكأنما أراد أن يثبت لنفسه أن ما يراه حقيقة وليس وهماً ، فاندفع يقتطف عنقوداً مكتنزاً راح يلتهمه حبة حبة وهو مبهور منتش ، وكأنه يأكل من ثمر الجنة .

لايزال يسأل نفسه : أحلم هذا أم حقيقة ؟ ولكنه يتفق مع نظريته كل الاتفاق . فلم يعد ثمة شك أن هذا حصن بناه البشر ! عالم قائم برأسه إنما الأمر العجيب ـ بل كان يجب أن يتوقعه على الأقل ليكون منطقياً مع نفسه ـ أن ههنا بشراً ! أحياء ! سلالة أولئك القوم الذين تحدث عنهم الهمدانى !

لم يعد يفكر فى نقوش أو عظام نخرة ! هنا أحياء ! ناس مثلنا ، يزرعون ويحصدون ويأكلون ! .

ولكن كيف يصل اليهم ؟

« ٦ »

قررت أن أبقى حتى الصباح . فلينتظر سليم. فلتنتظر الدنيا كلها . فليجتمع أهل القرية بقضهم وقضيضهم عند باب الكهف ، فما عاد يعنينى شىء ولا أحد ، ولا حتى الكشف العلمى العظيم . كلى شوق الى أن أرى هؤلاء الشجعان الذين استطاعوا أن يقولوا لا قبل آلاف السنين ، بل ربما قبل بضع عشرات من آلاف السنين ، وبقوا هنا خلفاً بعد خلف ـ رافضين ، ولكنهم يعيشون ! بينهم وبين مواكب الحياة التى تغدو وتروح مسافة أقل من نصف كيلومتر ـ ولا يعنيهم شىء ! لم يفلتوا فحسب من «جائر لا يرعوى» ولكنهم أفلتوا أيضاً من فضول المؤرخين ، واقتحام الجغرافيين ، وجشع الجشعين لا يراهم أحد من أرض ولا سماء ، ولا تطأ ديارهم قدم غريبة ! هنا انقبض قلبى فجأة : ما أدرانى كيف يستقبلوننى ؟ لعلى أنا أقبلهم بلا قيد ولا شرط ، ولكن هم ... ؟ اصبر واهدأ يا فتى ، أليس الصبح بقريب ؟

كنت شديد الانفعال ، ومع ذلك كان يفعمنى شعور غريب بالتحقق والامتلاء . وتحت دثار لين من نور القمر البنفسجى الذى كان يسيل من الشعاف ـ كما ينحدر الماء من نبع صاف ـ نمت ، ولكنى انتبهت على شىء يلمس جبينى ، حسبته ورقة من ورق الشجر ، ولكنه كان أنعم وأكثر ليناً . وعندما فتحت عينى كانت بجانبى مفاجأة أخرى لم أستعد لها :

لعلها فوجئت فأبعدت يدها عن جبينى وتراجعت قليلا ، ولاحظت أنها كانت تتمتم بنغمة تشبه الغناء ، ولكن عينيها الواسعتين بقيتا شاخصتين الي .

لم يكن فزعى أقل من فزعها ، ولكن قوة لا قبل لنا بمقاومتها كانت تدفع كلا منا نحو الآخر . من الحماقة أن أسميها حباً ، إنما هى رغبة عارمة فى الاكتشاف .

كانت عيناها شديدتى السعة شديدتى الاحورار ، فى وجه مسنون الملامح شمعى البياض ، رقيق البشرة حتى انى أبصرت الدم يجرى تحته فى الشعيرات . كذلك كانت ذراعاها ـ اللتان انحسر عنهما الكمان ـ ظرفين من نور ناصع يشفان عن مثل تعاريج الرخام . من الصعب أن أصف المشاعر المبهمة المختلطة التى هاجت فى نفسى ، ولكن إحساساتى الجسمية كانت واضحة كل الوضوح : كان قلبى يدق دقاً شديداً حتى أكاد أختنق من عنف ضرباته ، وكنت أحس ألماً شديداً فى أطرافى وكأنما أصيبت بالشلل فجأة . وكنت أحدق كالمأخوذ فى ذلك الكائن العجيب ، ولاحظت أن كل شىء فيها باهت : بشرتها الشمعية البياض ، شعرها الكتانى الصفرة ، عيناها اللتان لم يكن لهما لون واضح ، فهما أشبه بحقل من القمح كاد يدرك ، يميل مع الريح فتختلط خضرته الشاحبة بصفرته الباهتة . لعلي لو رأيت صورتها على لوحة رسام لقلت إنها جميلة ، وتمنيت فقط لو أنه عمق الصفرة الباهتة ليكون لها بريق الذهب وسحره . ولكنى وأنا أتأمل شخصها سيطر علي إحساس عجيب بأنها حية . بعد قليل تمنيت أن أعانقها ، فى شوق مستبد الى الهلاك بين ذراعيها .

أدركت أن تمتمتها المنغمة كانت رقية سحرية وأنها تشجعت حين رأت أن لمساتها الأولى لم تحفزنى الى إيذائها . لعلها شعرت أيضاً أنها الطرف الأقوى . كفت شفتاها عن التمتمة ولاحظت أنهما رقيقتان جداً وباهتتان جداً . غلبنى النفور من جديد .

أشارت بيمناها الى بعيد ورفعت حاجبيها الكتانيين وجعدت جبينها ، فأدركت أنها تسألنى : هل جئت من هناك ؟ وحين أومأت برأسى عادت تسأل بإشارة من سبابتها : وحدك؟

أومأت برأسى مرة أخرى ، فزالت التجاعيد من جبينها ، ولاح على وجهها طيف ابتسامة ، وأحسست فى عينيها نوع حرارة . ولاحظت أنها تنظر الى وسطى ، وكنت قد نسيت أمر الحبل ، فضحكت وضحكت ، وأومأت برأسى عدة مرات (نعم ، يمكننى العودة) فالتصقت بى وعانقتنى بلا كلفة .

فهمت أنها تقول : سأذهب معك .

لاباس يا فتاتى ، كل شىء ممكن ، ولكن ليس قبل أن أتمم ما جئت لأجله . حاولت أن أفهمها بالاشارة أنى يجب أن أعرف عالمها قبل أن آخذها الى عالمى ، فأجفلت منى فزعة وهى تشير بيديها أن اذهب ، إذهب .

أدركت أنها تحذرنى من خطر محقق . ولكن لماذا تحرص على سلامتى ، الى حد أنها نزلت عن رغبتها الأولى فى الانضمام إلي ؟ هل معنى هذا أنها أحبتنى ؟ أنا نفسى لم أعد أخافها أو أشعر بأنها حية . ولذلك قررت أن أعبر الجسر الأخير الذى يفصل بيننا حتى يكون تفاهمنا كاملا . وضعت يدى على صدرى وقلت :

ـ طارق .

فأومأت برأسها .

فتشجعت ، وأشرت الى كرمة قريبة ، وقلت :

ـ كرمة .

فأومأت برأسها ثانية وهى تبتسم .

فجعلت أشير وأنطق : أرض ، سماء ، قمر ، نجمة ، وبسمتها تزداد اتساعاً ، حتى أغربت فى الضحك . وغاظنى أنها لم تفلح فى ترديد كلمة واحدة ، بل عمدت الى هذا الضحك السخيف كأى تلميذة غبية . وهممت بأن أوبخها ، ولكنى لم أدر كيف أفعل ، ولعلها لاحظت همي ، فكفت عن الضحك ، واكتسى وجهها سيماء الجد ، وأشارت الى المكان الذى نجلس عليه ، وقالت ببطء وتمعن :



ـ صخرة .

فعانقتها وانا اكاد اطير فرحاً ، وضحكنا معاً كطفلين . ولكنها قطعت ضحكتها فجاة ووضعت يدها على فمى ، وتخشب جسمها كله .

وفى الصمت العميق ، سمعت سعلة تاتى من مكان غير بعيد ، ومالبث ان لاح شبح يستند الى إحدى فتحات الساحة ، ونادى بصوت أجش :

ـ نجمة !

هممت ان اتوارى ، ولكنها همست فى اذنى : إبق حيث انت . إنه لا يبصر . وتاملت الشبح فاذا هو شيخ مسترسل الشعر ، ولاحظت ان ملامحه جامدة كملامح العميان ، وإن كانت اجفانه مفتوحة وحدقتاه كبيرتين . ورايت فى ضوء القمر ، الذى اخذ يسطع ويكتسب لوناً فضياً ، ان شعره الاشمط المرسل على ظهره وصدره مرجل بعناية . نادى ثانية بصوت زحفت اليه رنة قلق :

ـ نجمة !

فاجابت بشىء من الضجر :

ـ قادمة يا رجل !

ومشت اليه متثاقلة . فقال وهو يضغط على كلماته ـ وشعرت فى نبراته بمزيج عجيب من الشفقة والوعيد :

ـ والله تفتئين تخرجين فى الليل هكذا حتى يصيبك مكروه !

قالت متصنعة الحنق كطفلة خبيثة :

ـ اى مكروه يا رجل ؟ تعلم انى لا اطيق البقاء فى ذلك الجحر !

قال :

ـ أليس هذا خيراً من ان تخطفك الجن ؟ والله إنهم لخاطفوك فى ليلة من هذه الليالى !

قالت بخبث وتحد :

ـ أواثق انت ؟

فتغيرت لهجته الى قسوة محضة :

ـ مع من كنت تتحدثين الساعة ؟

ارتجفت ، ورايت من الحكمة ان اتوارى رغم ما اكدته لى . ولكنها ضحكت ضحكة صافية وقالت :

ـ اجننت يا رجل ؟ مع من عساى اتحدث ؟ (وبعد لحظة صمت !) من اجد فى هذه الدنيا كلها اجمل منك ؟ (ومسحت على خديه وشعره) أو اقوى (وضغطت باصابعها على كتفيه وذراعيه وزنديه) أو ارق عاطفة . لولا انك تغار !

فراح يتحسسها بامعان وكانه فنان يعيد تشكيل اعضائها باصابعه وراحتيه ، واختفيا متخاصرين داخل الفتحة التى كان يقف عندها . وبقيت فى مخبئى خشية قادم جديد يبرز الى الساحة فيلمحنى فى ضوء القمر ، الذى بدا لي

ـ بعدما الفت عيناى الظلام والغبش ـ باهراً فضاحاً . خبت حماستى لهؤلاء القوم الذين تمنيت ـ قبل ساعة واحدة ـ لو اترك العالم كله ورائى لابقى بينهم . بدا لي رجلها منفراً الى اقصى حد ، وكان واضحاً انه يسيطر على الفتاة سيطرة مالك مستبد ، ويتحكم فى حياتها وعواطفها تحكم السيد بالأمة ، على الرغم من انها تخادعه كلما استطاعت وتعبث به جهد ما تطيق . وحمدت الله لانى لم اخلع الحبل من وسطى فى لحظة طيش . ربما اشتد الخطر مع انسلاخ الليل ، فيجب ان افكر فى العودة . ولكنى لم اعرف بعد كل ما اردت معرفته ـ او بالاحرى : لقد عرفت اكثر مما توقعت ان اعرف ، ولكن هذا الذى عرفته فتح الباب لاسئلة لا نهاية لها ، ولا يمكن ان احيط باجوبتها فى ليلة . ووجدتنى انتظر نجمة ، فى شبه يقين من عودتها . لاشك انها ستحل لي كثيراً من هذه المشكلات التى اثارتها بظهورها . ولماذا لا اقول صراحة إنى شعرت بشوق اليها ؟ الم اجد فيها كل ما تخيلته فى ذلك الجيل القديم الرافض ، الذى ضحى بكل شىء حتى لا يقع فى العبودية؟ الم اجد فيها «المراة» بكل معانيها ، ولتكن ايضاً خادعة ومراوغة ؟

ولكنى كنت واثقاً انها لن تراوغنى انا . لابد ان تعود . إنها احرص منى على الخروج من هذا الكهف . ووجدتنى افكر : كيف اعود بها الى العالم الفسيح ؟ كيف نتجنب الصحفيين والاذاعيين والفضوليين بالوراثة ؟ كيف تتقبل حياتها الجديدة ـ حياة مليئة ، رغم كل شىء ـ بقيود من نوع مختلف ؟ كيف امسكها حتى لا تنطلق مع كل رجل اخر يظهر فى حياتها ؟ هل يمكن ان اضمن الا يقع ذلك ، و «الحب من اول نظرة» لا يخرج ـ فى اعتقادى ـ عن كونه شغفاً بالمغامرة وشوقاً الى المجهول ؟ وسالت نفسى : هب ان ذلك حدث فما الذى اخشاه ؟ هل اخاف مثلا ان تصبح فتاة يتداولها الرجال ويستمعون الى قصتها التى لا تشبه شيئاً مما تعلموه فى كتب التاريخ والجغرافيا ، ويضحكون كما يضحكون من هذيان امراة مخبولة ذهبت الخمر بعقلها ؟ ام ترانى اريد ان امتلكها كما امتلكها ذلك العجوز القبيح ـ انا محررها اريد ان اغدو سجانها ؟ ...

لم يخب ظنى . فقد عادت ، متهللة خفيفة الخطو فى ثوبها الابيض الهفهاف ، كانما صاغها القمر من اشعتها ذات نزوة . همست : لقد نام .

قلت : الا تخافين ان يستيقظ مرة اخرى ؟

قالت : لا .

عادت تهمس : لا تفكر فيه الآن . لا تفكر فى شىء. هى التى قررت ذلك . غمرتنى كموجة . ضاع الزمان والمكان ، وغرقنا فى ابدية متوهجة هى ذى تنفض راسها كمهرة ، وتقبض على عضدى ـ لم اكن احسب ان فى يدها كل هذه القوة : «هيا بنا» .

خلت انى ملكتها . سالتها بحقد :

ـ هذا الرجل زوجك ؟

هزت كتفيها غير مبالية :

ـ زوجى ... ابى ...

فعدت اسالها :

ـ ابوك ام زوجك ؟

صمتت قليلا ، واربد وجهها . ثم قالت بذل :

ـ هو ابى وزوجى .

لعل اعترافها الخجل محا شناعة الجرم الذى لم تكن لها يد فيه . وكنت انصت فى هلع ، ولكنى الآن امتلأت إشفاقاً عليها . سرنا متخاصرين ، ومع ذلك فان الشك يعذبنى ...

« ٧ »

وانا ايضاً لا استطيع ان اجزم : هل كان هذا كله حقاً وواقعاً ام وهماً سيطر على خيال طارق وهو داخل الكهف ؟ ولو انى لا اتردد فى تبرئته من تهمة الكذب ، ولا اقول إن الفزع اصابه بما يعده الناس مساً من الجن عندما وجد نفسه وحيداً فى ذلك الكهف الرهيب ، ليلة بطولها . ولكننى لا املك دليلا واحداً على صدقه ، اعنى

كهف الأخيار

دليلا يقينياً واحداً ، وإن اعتقد هو أنه يملك هذا الدليل . هناك شيء واحد أستطيع أن أشهد بصحته أمام الملأ : وهو أن طارق وحيد دخل ذلك الكهف مساء الخميس الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ ، الموافق للثانى من يونية ١٩٧٧ ، الساعة السابعة والنصف مساء زوالى ، ولم يخرج منه إلا فجر اليوم التالى ، وإن كنت لا أستطيع تحديد الوقت بالساعة والدقيقة ، لسبب سوف أبسطه بعد قليل .

ولكننى لا أستطيع أن أشهد على صحة ما ادعى أنه رآه داخل الكهف . فقد قرأت فى نظريات التحليل النفسى عند فرويد ويونج ما أفسد قدرتى على تصديق مثل هذه الرؤى ،وإن كنت أجدنى غير قادر على تكذيبها أيضاً . فمن الجائز جداً أن طارق كان يعانى من عقدة أوديب . ويخيل إلي أن معظم المكتشفين والزعماء والقادة كانوا كذلك . هذه على الأقل هى نظريتى الخاصة . وسواء صحت أم لم تصح فان عقدة أوديب لا تلغى المكتشفات والمخترعات ولا تكذب أحداث التاريخ ، وكذلك لا يلزم من كون طارق مصاباً بعقدة أوديب أنه لم ير داخل الكهف سوى أوهام عقله الباطن . وليتنى رأيته لحظة خروجه من الكهف لأستطيع أن أصف حاله بدقة ، فان ذلك كان حرياً أن يلقى بعض الضوء على ما رواه فى هذه الأوراق .

لقد قضيت عند باب الكهف ما يسمونه ليلة ليلاء . لم يكد يمر الهزيع الأول من الليل حتى سمعت أصوات بنات آوى تتجاوب فى الحقول المجاورة ، وعواء ذئب ياتى من بعيد . كان الناس فى قريتى يقولون إن الذئب يشم رائحة الآدمى ، وإنه ــ أكثر من ذلك ــ يعرف إن كان وحيداً أو فى جماعة . وهكذا ثبتت استحالة ما منيت به نفسى من أنى سوف أنام عندما يحين موعد نومى المعتاد ، فبقيت يقظان وإبهامى على زر كشافى الذى لم أكن أملك سلاحاً غيره . نظرت الى ساعتى مرات لا أحصيها ، وكنت أجدها كل مرة لم تتقدم إلا دقيقة أو دقيقتين ، فأخالها واقفة وإن كان عقرب الثوانى مثابراً على حركته الدءوب . وأخيراً عولت على أن أنسى أمر الساعة نهائياً حتى أتمكن من ضبط أعصابى . وعندما سمعت صياح الديكة الثانى عرفت أن الليل قد انتصف فتنفست الصعداء ، فقد علمتنى سنوات التدريس أن النصف الثانى من كل شيء يمر دائماً بسرعة . أو هكذا كنت أزعم لنفسى . ومع أنى هدأت قليلا فقد بقى النوم احتمالا غير وارد ، لأنى حتى لو شعرت بالنعاس ــ ولم أشعر به ــ فقد كنت مصمماً على أن أوقظ نفسى خوفاً من عدوان الذئب . فأخذت أقطع الوقت بمحاولة ترتيب الأحداث فى ذهنى ، مقدراً أنى سأجلس يوماً لأكتبها . وهنا فقط فكرت فيما عساه يجرى لطارق الآن داخل الكهف . وتحسست اللفة فوجدت أنها لم تنقص إلا قريباً من نصفها . وأرحت عليها يدى فوجدتها ثبتت عند هذا الحد . معنى هذا أن طارق توقف بعد أن قطع ما يقرب من نصف كيلومتر (هذه الحقيقة تتفق مع القصة التى رواها ، ولكنى أكرر أنها ليست بالدليل الكافى) . بدأت أشعر بالقلق . إذا كان قد أصابه مكروه فماذا أقول حين أعود وحدى الى المدرسة؟ ؟ أليس من الجائز أن أتهم بقتله وإخفاء جثته ؟ بل هذا هو المرجح . بل إنه مؤكد ولا عقوبة له إلا أن يطيح رأسى بالسيف . سمعت صياح الديكة الثالث ، وبدت غبشة خفيفة عند الفتحة الخارجية . ذهب رعب الليل وجاء رعب النهار . أنهكنى الانفعال فغفوت ، وحين انتبهت كان طارق ممدداً بجوارى . لم يكن يبدو نائماً ولا مغشياً عليه ، ولكنه كان أشبه بميت .

لم أصدق أن مغامرتنا الصبيانية انتهت بسلام إلا حين وضعت يدى على صدره وشعرت بحركته . حركة مضطربة نعم ، ولكن حمداً لله ! بعد ذلك كان فى وسعى أن أحتمل أى شيء .

تنهدت مستريحاً واستلقيت متوسداً حقيبتى ونمت أعمق نومة نمتها فى حياتى ، على الرغم من خشونة مرقدى . ولما استيقظت دهشت إذ رأيت نور الشمس لم يكد يتسلل الى الركن القصي من الفجوة ، وطارق يجلس بجانبى ، ممدد الساقين ، وكأنه استيقظ من فوره ، وهو يجيل فيما حوله عينين زائغتين .

أمسكنى من ذراعي وهزنى بشدة وهو يسألنى :

ــ أين هى ؟

لم أفهم شيئاً . فضرب كفا بكف وصاح بصوت كالعويل :

ــ كنت نائماً عندما خرجنا من الكهف . وأنا سقطت من الاعياء فلم أشعر بشيء . ولكنها كانت معى ! كانت معى حتى باب الكهف ! أين تراها ذهبت ؟ هذا ما كنت أخشاه ! ان لا تطيق الانتظار لحظة أخرى ! أن تجن حين ترى الأفق واسعاً الى هذا الحد ! أن تذهب بلبها روعة السماء حين تتجلى بدون حجاب ! أن تأخذها النشوة بمنظر الحقول فتنطلق مع لرياح الأربع! ضاعت وأسفاه !

نكس بصره كمن يقرأ شيئاً فى الأرض ، ثم نفضه فجأة وقد تغيرت ملامح وجهه فارتسمت عليها دهشة مفعمة بخيبة الأمل :

ــ أم تراها ذعرت حين وقفت على عتبة الكهف ؟ حين أوشكت أن تطرح وراءها ماضيها كله ؟ لعلها شعرت بأرواح أسلافها تناديها من تلك الفجاج المظلمة ، لعلها حنت الى لمسات الأعمى ، تبعث الرعشة فى أعضائها كأنها تخلق من جديد؟ ؟ أيكون عناؤنا كله ، وهذه الليلة التى تشيب الوليد ، قد ذهبا باطلا وقبض الريح ؟

وازدادت تعاسته وهو يردد :

ــ ليتنى أستطيع أن أوفق على الأقل أنى رأيتها وحدثتها ! أنها لم تكن مخلوقة من وهم !

فجأة التمعت عيناه كعينى مجنون ، وراح يفتش فى حقيبته ويتجسس حوله :

ــ الكشاف ! الكشاف !

ناولته كشافى وأنا أشعر بالفزع ، فدفع يدى بحركة عنيفة وهو يردد :

ــ كشافى أنا ! أنا أبحث عن كشافى أنا !

قلت له مهدئاً :

ــ وما يعنيك منه الآن ؟ لعلك فقدته داخل الكهف !

فأجاب بعنف لم أدر له سبباً :

ــ لا ! بكل تأكيد لم أفقده ! لقد أصرت على أن تمسكه . وتعلمت كيف تشعله ونحن نقطع النفق ! كان بيدها طول الوقت أ وهأنذا لا أجده!

إذن فهى حقيقة ! حقيقة !

صمت طويلا ، ثم قال وهو يهز رأسه بحكمة :

ــ إن كانت قد خرجت فلن يمسكها أحد . وإن كانت قد بقيت فى الكهف فلابد أن تخرج منه يوماً . معها الكشاف ، وقد تعلمت كيف تستعمله

وأردف بعد هنيهة :

ــ لا أظنها تتخذه لعبة .

ثم أضاف مؤكداً :

ــ ستخرج من الكهف قبل أن تنفد كهرباؤه .

● ●

كان هذا الحديث كله يبدو لي مرعباً وغير مفهوم . ولكننى أحسبنى كنت أسعد أهل الأرض حين عدنا الى شقتنا ، صباح يوم الجمعة ١٦ جمادى الآخرى سنة ١٣٩٧ ، وحين ذهبنا الى المدرسة معاً فى اليوم التالى . كنت سعيداً الى درجة أنى لم ألاحظ التغير الخطير الذى طرأ على رفيقى . بعد أيام كنا نستعد للسفر وقد ودعنا عاماً دراسياً آخر وبدأنا نتطلع لعطلة نقضيها بين أهلنا . ولكن طارق قرر أن يتخلف بعض الوقت . ومع أنه روى لي كل ما حدث له فى تلك الليلة ، وسمح لي بأن أنسخ صورة من مذكراته التى أوردت هنا أجزاء منها ــ أو بالأحرى شجعنى على ذلك ــ فانه لم يصرح لي بما انتوى عمله فى تلك العطلة ، إلا قوله إنه قد لا يعود الى هذه المنطقة مرة أخرى ولذلك يود أن يتجول فى أنحائها جولة أخيرة . وحين سألته ــ سؤالا قصدت به التحذير ــ هل يفكر فى العودة الى الكهف ، أنكر ذلك بشدة . ولكننى مازلت أشك فى أنه فعل ، وحين أكتب هذه القصة ، بعد أن مضت عليها ثلاث سنوات أتمنى أن يطلع عليها ، وعساه يكتب إلي ، حتى أطمئن إلى أنه لايزال ــ كما يقولون ــ حياً يرزق أو حتى لا يرزق .

د.شكرى محمد عياد

مطلوب من المؤرخين العـــرب أن يناقشـــوا هـــذا المقـــال

سعد زغلول في قفص الاتهام

بقلم : فتحي رضوان



سعد زغلول ... اتهمه مؤرخ معاصر بالنزعة الشخصية والطمع فى السلطة والمال وضيق الصدر ، مخالفا بذلك صورته المعروفة كزعيم وطنى شجاع

مؤرخ يخالف الاجماع الشعبى عن سعد زغلول وهو الاجماع الذى وضعه فى مقام الزعامة والقيادة الوطنية المخلصة

ـ المؤرخ يتهم سعد زغلول بالنزعة الشخصية والطمع فى السلطة والبخل ، حيث لم يدفع للحركة الوطنية إلا مائة جنيه عاد فاستردها ، بينما دفع زملاؤه الآلاف ولم يستردوها ـ المؤرخ يتهم سعد زغلول بانه صرف مئات الآلاف من أموال الوفد بايصالات موقعة بخطه وقلمه ولم يردها ، وبانه ضيق الصدر ، لا يطيق المناقشة ، وبانه عاشق لذاته ولا يسمح بأن يتردد اسم آخر إلى جانب اسمه ـ ويرى المؤرخ أن سعد زغلول متقلب لا يثبت على رأى ، فحيثما لاحت المصلحة جرى وراءها ناسياً ما قاله من قبل وما أعلنه وأكده واعتبره حقا لا ينزل عنه ولا يساوم فيه .. له رأى فى العلن ، ورأى آخر مناقض يخفيه فى السر ، وقد رفض سعد زغلول أن يسمح للوفد بدفع تكاليف إعادة جثمان الزعيم الوطنى محمد فريد من المانيا إلى مصر ، بينما أصر على أن يدفع الوفد تكاليف اعادة جثمان صهر سعد « مصطفى فهمى باشا » ـ رجل الانجليز المعروف ـ من باريس إلى مصر ـ ويشتد المؤرخ على سعد فيقول : إنه جحود حقود .

هذه الصورة التى يرسمها المؤرخ مخالفة تماما لصورة سعد فى أذهان العرب جميعاً ، والتى هى صورة الزعيم الشجاع المخلص الأمين المستعد للتضحية من أجل مبادئه ، المؤمن بشعبه وعروبته وعقيدته والذى لا يلين ولا يهادن .

فأين الحقيقة فى هذا التناقض ؟

وما هو موقف المؤرخين .. ؟ إننا نطرح مقال الأستاذ فتحى رضوان للمناقشة الحرة الصريحة :

سعدزغلول في قفص الاتهام

نشر المركز العربى للبحث والنشر بالقاهرة ، كتاباً بعنوان : « ذكريات اجتماعية وسياسية » . وذلك فى خلال شهر مارس الماضى ، وكان ترقبى وانتظارى لهذا الكتاب ، سواء كان عنوانه ذكريات أو مذكرات ، حاراً . ذلك لأنى ممن يحتفلون أعظم الاحتفال بما كتبه الذين ساهموا فى العمل العام ، وكانوا من أقطاب الحركات التى غيرت تاريخنا الحديث .

من هو علوبة باشا . ؟

ومحمد علي علوبة باشا ، واحد من كبار هؤلاء العظماء بأكثر من مقياس . فقد اتصل بالحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ ، والذى خلفه فى زعامته محمد فريد . وكان عضواً فى اللجنة الادارية لهذا الحزب العظيم ، أى عضواً فى مجلس إدارته . وقد سافر مع الزعيم الثانى لهذا الحزب « محمد فريد » إلى تركيا ، عقب عزل السلطان عبد الحميد عن عرشه سنة ١٩٠٩ ، ليقدم لحزب الاتحاد والترقى ـ الحزب التركى الحاكم آنذاك ـ تهانى الحزب الوطنى فى مصر لاعلان الدستور العثمانى . فلما دعا اللورد كتشنر القائد العسكرى البريطانى ومندوب حكومة الاحتلال فى مصر ، إلى هيئة نيابية قاصرة وعاجزة ، أسماها « الجمعية التشريعية » ، رشح نفسه عن مدينة أسيوط التى كان يعمل فيها محامياً ذاع صيته ، وارتفع مقامه ، واتسع رزقه ، فانتخب فى سنة ١٩١٣ عضواً فى هذه الجمعية ، وعدته دوائر الاحتلال البريطانى ، من نواب الحزب الوطنى الذى آلت زعامته آنذاك للزعيم محمد فريد ، ولما كان صديقاً لسعد زغلول ، يحمل فى نفسه الاعجاب والتقدير له ، فقد أيده وانضم إليه وروج لانتخابه وكيلا عن الشعب فى هذه الجمعية ضد منافسه ومرشح الحكومة « عدلى يكن » ولما ثارت معركة التفضيل بين الوكيل المنتخب من الشعب ، والوكيل المعين من الحكومة ، حشدت الحكومة كل قواها لتنصر مرشحها وشغل الناس فى مصر بهذه المعركة ، وانتصر سعد ، وفرح بهذا الانتصار المحامى محمد علي علوبة .

فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، كان الخاطر الذى شغل أذهان الصفوة من أهل الرأى فى مصر ، أنه لابد أن توفد وفداً إلى مؤتمر فرساى الذى انعقد فى تلك الضاحية الباريسية ، والذى سمى مؤتمر السلام ، لتصفية المشكلات التى خلفتها الحرب لا بين المنتصرين والمنهزمين ، بل بين المنتصرين بعضهم البعض ، وبين دول جديدة نشأت ولم يكن لها وجود ولا اسم معلوم ، كتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ، وألبانيا ، بل كبولندا ودول البلطيق : لتوانيا واستونيـا ، ولتفيا ، وفنلندا .

وكان الدكتور « ودرو ولسون » رئيس الولايات المتحدة ، قد بشر بعالم جديد يسود فيه سلام على ما يشبه مبادىء السيد المسيح ، مبادىء تسوى بين القوى والضعيف والغنى والفقير ، ومن كان عريقاً فى السلطة والسيادة ، ومن كان محدثاً لم يظفر بالقليل منهما الا قريباً . وكان ضمن ما بشر به ولسون فى أربعة عشر شرطاً ذاعت شهرتها ، وشاعت على الألسن والأقلام نصوصها ، أن لكل دولة مهما ضعفت الحق فى تقرير مصيرها ، بغير ضغط ولا عنت ولا إرهاق ، وان الاستيلاء على الأرض بالحرب ، حرام . وان حل المشكلات بالقوة باطل ، ورقصت الشعوب ، ورتلت أهازيج الفرح بالسلام الذى طال انتظاره ، ولما وصل « ولسون » إلى أرض أوروبا ، بعد أن قطع المحيط الأطلسى ، استقبلته شعوب أوربا ، استقبال الفاتحين والأبطال وأصحاب الدعوات الانسانية الكبرى .

وتواصى زعماء مصر السياسيين ، بانه لا مفر من أن يطرقوا أبواب مؤتمر السلام فى فرساى ، وأن يحشدوا حجج بلادهم الضعيفة ، فى حقها الواضح فى ان تكون حرة ، وان تنفض عن نفسها عار الحماية البريطانية ، التى فرضت عليها فى الأيام الأولى للمجزرة البشرية التى وقعت ١٩١٤ بين المانيا والنمسا وتركيا فى جانب ، وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ثم الولايات المتحدة أخيراً فى جانب آخر .

وكان ظن زعماء مصر ، أنهم ما ان يطلبوا من ممثل بريطانيا ، ومندوب احتلالها العسكرى الاذن بالسفر إلى فرنسا حتى تعطى لهم التصريحات المطلوبة ، فما أن يصلوا إلى فرنسا ثم يقصدوا فرساى ، حتى تفتح لهم أبواب المؤتمر العظيم ، فيهزوا أعطاف مندوبى الدول ، ببلاغة فياضة عن ماضى مصر الذى امتد سبعة آلاف سنة ، كانت أوربا خلالها تتخبط فى بياجير الظلام ، بلا علم ، ولا فن ، ولا حرية ثم يردفون هذا كله بما قدمته حكومة مصر لجيوش الحلفاء ، جيوش بريطانيا وفرنسا ومن دار فى فلكهما ، من عون بشرى ، تمثل فى عشرات الألوف من ضحايا الحرب ، فضلا عن الأقوات والأرزاق ، ومتاعب الاحكام العرفية العسكرية التى جعلت حياة المصريين عذاباً وحرماناً والما .

آمـال خائبة

ولكن هذه الآمال خابت جميعاً ، فالانجليز فى صلف وكبرياء وجحود وتعال أنكروا فضل المصريين عليهم ، وابتلعوا وعود الحرية وتقرير المصير ، التى زعموا أنها المبادىء التى حاربوا من أجلها ، ولم يكتفوا بهذا الخسران المبين ، بل زادوا ذلك كله ، باعتقال زعماء المصريين وفى مقدمتهم أربعة ، هم سعد زغلول ، ومحمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وحمد الباسل ، اختارتهم السلطة البريطانية من باشوات المصريين ، متخطية عدداً من زعماء مصر من البكوات ذوى المكانة والصدارة ، وأهل العلم أمثال عبد العزيز فهمى ، لطفى السيد ، محمد على علوبة . ولما أرسلت هذه السلطة الجائرة الغشيمة ، هؤلاء الزعماء الى مالطة فى التاسع من مارس ١٩١٩ ، خيل لها ، لقصر نظرها ، وجهلها باخلاق مصر ، وأهل مصر ، أن كل اضطراب ينتهى فاذا الثورة تندلع ، كاقوى ما تكون : مظاهرات تنتظم الشباب ، والشيوخ ، طلاب الجامعة وطلاب الأزهر ، وأصحاب المهن الحرة ، والموظفين والمثقفين والمتعلمين ، والحوذية ، وعمال السكك الحديدية ، والمواصلات العامة فى القاهرة



ودرو ويلسون
كان موقفه صدمة للحركة الوطنية فى مصر



محمد فريد
مات غريبا مشردا فى المانيا ورفض سعد المساعدة فى نقل جثمانه إلى مصر



الخديوى عباس حلمى الثانى
هرب إلى تركيا خوفا من الانجليز فخلعوه !



عدلى يكن
سياسى ارستقراطى يتكلم الفرنسية ولا علاقة له بالشعب

وانتقلت جذوةمن شعلة الثورة الى جميع مدن مصر ، فى الريف والصعيد ، وبذل الشعب من الرجال واحيانا كثيرة من النساء دماءهم رخيصة ، وعرفت هذه الحركة بثورة سنة ١٩١٩ .

وقد عرف عن هذه الثورة تاريخ رسمى ، حددت فيه الخطوط العامة لها ، متى بدات ومن هم الذين كونوا قيادتها ، ثم ماذا فعلوا حتى وصل وفد هذه القيادة الى باريس ، ثم ماذا حدث عندما انتقل الوفد نفسه الى لندن ، وكيف اصبح زعيم الثورة سعد زغلول زعيما للبلاد ، انبسط سلطانه على القلوب والنفوس ، بصورة لم تشهد مصر شيئا مثلها ولا فى عهد مصطفى كامل ، الذى احبه المصريون اقصى الحب ، ثم جاء فى الصف التالى لسعد ، عدلى يكن ، فتزامل الرجلان حينا ، ثم اختلفا ، ثم اختصما ، ثم اندلعت بين انصار كل منهما ما يشبه الحرب الداخلية ، وتوقفت الثورة الشعبية ، وتحولت سيوف وخناجر الشعب من صدور الاعداء إلى صدور المتنافسين من ابناء مصر .

وقد بقى هذا التاريخ وخطوطه الرئيسية لا يتغير كثيراً ، ولا يعرف الناس سواه ، حتى لو اختلفت مذاهب وميول المؤرخين ، فيما عدا التفاصيل الصغيرة .

ولذلك كانت ثورة سنة ١٩١٩ ، فى اشد الحاجة إلى مدد من المعلومات والحقائق والتعليقات ، تقتحم الحجرات المغلقة التى ضمت زعامة هذه الثورة ، والتى ترددت فيها أصداء المناقشات التى اججتها الخلافات ، كما كانت فى اشد الحاجة إلى من يصور لنا ، شخصيات هذه القيادة ، التى كتب عن زعيمها الاكبر ، شىء يعتبر كثيراً ، لا لانه كثير فى ذاته ، بل لانه كثير بالنسبة لانه لم يكتب شىء مطلقا عن الآخرين .

فماذا يكون عدلى ، ورشدى ، وصدقى ، وعلوبة ، وعبد العزيز ، ولطفى السيد ، والمكباتى ، وحمد الباسل ، وما هو دور كل منهم ، واسلوبه فى تناول الاحداث ؟ وكيف كانت الامور توجد ، والمناقشات تدور ، والقرارات تصدر ؟

وقد بقينا نحن قراء التاريخ المصرى الحديث ، نعرف هذا التاريخ من الظاهر ، دون ان نتجول فى قاعات هذا التاريخ ، وطرقاته وساديبه المظلمة ، وشرفاته المضيئة حتى اصدر الاستاذ « محمد كامل سليم » ثلاثة كتب منذ بضع سنين ، اولها عنوانه « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها » والثانى بعنوان « ازمة الوفد الكبرى .. سعد وعدلى » ، والاخير اسماه « صراع سعد فى اوروبا » .

ومحمد كامل سليم كان قد تخصص فى اللغة الانجليزية فى لندن ، بعد ان اتم دراسته فى مدرسة المعلمين العليا ، ثم اختير مدرسا لاحدى المدارس ، فلما قامت الثورة ، طلب سعد من قائد الثورة فى مصر الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، ان يختار له امينا للسر خاصا به ، ممن يتقنون العربية والانجليزية معا ، فوقع اختياره علي محمد كامل سليم ، الذى بقى ملازما لسعد خلال إقامته فى باريس ولندن ، عقب سفر الوفد المصرى فى العاشر من ابريل سنة ١٩١٩ ، وعرف بسبب قربه هذا من سعد فى جميع الاطوار التى وقعت فى العـــــاصمتين الاوربيتين « لندن وباريس » ، حتى عـاد سعد إلى مصر ـ بعد سنتين طويلتين ـ بقى فيهما بعيداً عن مصر ـ فى الرابع من ابريل سنة ١٩٢١ (ص٤) ، لذلك كان فى مقدوره ان ينقل لنا صورة عن الجانب الحميم او الشخصى لزعماء ثورة سنة ١٩١٩ ، بين الرضا والغضب ، والخصام والسلام ، والاتفاق والاختلاف ، وتنقلهم جميعاً او تنقل اكثرهم بين التشدد والتساهل ، وبين اليأس والأمل .

مقارنة بين زعيمين

ولكن « محمد كامل سليم » كان شديد الاعجاب بسعد ، عظيم الايمان بقدرته ومواهبه وإخلاصه ، وحسن قيادته للثورة ، وشدة مراسه مع الاعداء ، وتحمله للشدائد وصبره على اذى زملائه ، بل إنه انتقل من هذا الاعجاب ، إلى الحط من قدرة واخلاص وقصر نظر زملاء سعد الذين خاصموه ، واختلفوا معه ، ثم خرجوا عليه .

فكان لابد من ان يكون بين ايدينا كتاب اخر يكتبه كاتب آخر ، له نفس الصلات بزعماء الثورة ، ولا سيما فى فترة وجودهم فى باريس ولندن ، وعند إجراء المفاوضات مع مندوب الحكومة البريطانية ، وهو « اللورد ملنر » وزير المستعمرات آنذاك ، ولذلك كان صدور كتاب « محمد على علوبة» هو المقابل المطلوب ، لانه كان صديقا حميما لعدلى يكن ، ند سعد ومنافسه ، كما قضت

تطورات الحوادث المؤلمة .

وهو يقول عن نفسه ، إنه كان قبل ثورة ١٩١٩ صديقاً حميماً ومواظباً على زيارة سعد ، ولم يكن يعرف عدلى ، بل لم يجتمع به ولا مرة واحدة ، بل إنه كان سيىء الرأى فيه لأن عدلى قليل الاتصال بالناس ، حتى رماه علوبة بالكبر والتعالى ، وقد اكد هذا الظن عنده ، أن عدلى كان صهراً للعائلة المالكة فى مصر ، وكان اسمه يدل على هذه الصلة ، لأن (يكن) لفظ تركى معناه (ابن الاخت) فراس عائلة « يكن » كان ابن اخت محمد علي باشا الكبير ، مؤسس الاسرة المالكة المصرية ، إلا أن علوبة يقول إن رأيه هذا قد تغير ، حينما اجتمع بالرجلين فى العمل ، فرأى فى صمت عدلى وقلة اتصاله بالناس ، تواضعاً وخجلا وزهداً فى عرض نفسه ، او تزكية مواهبه . وانه يحسن الصبر على إساءة الظن به ، وتعجل الانصار ، وعجزهم عن تبين عواقب الأمور .

وبين ايدينا مقارنة اجراها محمد كامل سليم فى الكتاب الأول من كتبه الثلاثة وهو الكتاب المعنون «سعد وعدلى كما عرفتهما» وسننقل بعضها هنا كنموذج لما احتوته هذه الكتب من آراء شخصية .

قال محمد كامل سليم فى المقارنة :

«سعد : رجل الشعب .ديمقراطى ، فلاح ابن فلاح ، نبت فى بيئة المحكومين ، واشتعل قلبه وعقله بمشاعرهم ، وكان يتحرق الى الحرية للشعب والاستقلال لمصر .

وعدلى : ارستقراطى ، فيه دم تركى اجنبى ، عظيم الثراء ، نبت فى بيئة الحكام . وليس فى قلبه ما يضرم الشوق الى الحرية والاستقلال .

سعد : ثقافة عربية ادبية دينية اسلامية تعلم الفرنسية على كبر واتقنها كلاما وكتابة ، وعرف الحضارة الغربية بكثرة اطلاعه وقراءاته وكثرة اسفاره إلى الخارج .

وعدلى : ثقافة فرنسية ، ونشاته وتربيته وعاداته فرنسية ، وتعلم الانجليزية على كبر ، وكان اقدر على الكلام بالفرنسية اضعاف قدرته على الكلام بالعربية العامية ولم يعرف العربية الفصحى ولم يقرأ كتاباً من كتب الأدب العربى .

سعد : رجل اخلاق ومبادىء ، مطبوع على الصراحة والشجاعة ، والثقة بالنفس والصدق والامانة .

وعدلى : رجل له مصالح اولا واخيراً ، ولا يعنى بسواهما . وكل وسيلة تحقق مصالحه هى مقبولة فوراً مادامت لا تعرضه للمتاعب والاخطار ، ويرى ان المساومة وحدها هى سر النجاح فى الحياة ، والنعومة والمكر وانتهاز الفرص خير الوسائل فى الحياة .

سعد : رجل عاطفى مشبوب العواطف ، يحب بكل قلبه مع العطف والحنان ، ويكره مع السخط والاحتقار . ويغضب فى عنف على كل منحرف عن الصدق والامانة ، ويحزن فى عمق على ما يصيب احبابه ومن يثق فيهم ، لهذا كان حزنه اشد ما يكون سواداً وعمقاً عندما علم بالقبض على (عبد الرحمن فهمى) ومساعديه من شباب المصريين والابرياء .

وعدلى : متكبر لا يترك اية عاطفة تسيطر عليه . فهو يقلد الانجليز فى البرود ولا يسمح لاية عاطفة ان تفوت عليه مصلحة يريدها ، وهو يحكم مزاجه البارد وطبيعته الجامدة وبيئته ونشاته ، ولا يعترف بالمثل العليا ، ولا يعرف الفداء ولا يتاثر كثيراً بما يصيب الآخرين . سلوكه يتوقف على ما يراه، فان كان ما يراه مفيداً وممكناً بمجهود يسير ، اقبل عليه ، ودافع بالعمل لتحقيقه. ومصلحته الشخصية هى الهدف الاول والاخير على الدوام » .

ثم انتقل كامل سليم الى جانب آخر من الرئيسين سعد وعدلى ، وهو أسلوب الكلام وطريقة المناقشة .

« فسعد ـ عنده ـ يمارس أسلوب المحامى القدير ، يصغى لما يقوله محدثه في صبر واناة ، ويسجل كل ما سمعه فى ذاكرة قوية ثم ينقض على النقط الضعيفة ولكن فى هدوء واناة ، وقد يسخر من كلام محدثه قبل ان يسحق حججه سحقاً ، فى سلسلة من الحجج القوية المتماسكة، فى وضوح عجيب ، يدعمه المنطق ، ويزينه جمال الأسلوب وروعة الفصاحة فى الاداء والادلاء .

اما عدلى فكان من طراز مخالف تماما لسعد ، فاسلوبه اسلوب السياسي الناعم الملمس الذى لا يؤذى ولا يجرح ، وكان يفضل الكلام بالفرنسية ، حتى إذا اضطر إلى الكلام بالعربية العامية فان الايجاز كان ميزته الظاهرة ، وهو على العكس من سعد لا يتناول اية حجة ضعيفة من خصمه ليرد عليها . وإنما كان يبدأ بتلخيص ما سمعه من خصمه مما يهمه ويعلق عليه فى رفق وابتسام بغير كلمة نقد او تجريح ، فيرضى بذلك صاحبه ، وكان يتكلم دائما فى هدوء وصوت خفيض » .

لعل القارىء قد تبين بغير عناء ان رأى محمد كامل سليم ـ وهو رأى الاكثرية العظمى من انصار سعد وخصوم عدلى ـ ان سعداً هو الانسان المثالى الذى ، لا تكاد تعيبه نقيصه ، ولا يعلق بذيله شائبه ، وهو مخلص غاية الاخلاص ، صريح إلى اقصى حدود الصراحة ، متعلق بالمثل العليا ، لا يصرف نظره عنها ، ولا يخفف من جهده فى الوصول إليها ، وانه لا يعفى مخطئا ولا منحرفا ولا فاسداً ولا متلكئا ، من نقده القارص ،وهجوه اللاذع . وهو الوطنية والفداء .

فاذا انتقل الى عدلى ، فقد انتقل الى النقيض فى كل شيء ، فعدلى لا صلة له بالمروءة ولا بالفضيلة ولا بالصراحة ، وهو لا يتذوق المصلحة العامة ، ولا تخطر له على بال ، وهو خبيث مداور ، يخفى عاطفته إن وجدت ، لانه لا يعرف هذا الضعف الانسانى الذى نسميه عاطفة ، لا هم له ولا غاية إلا المصلحة ، ومن ثم فهو يتحدث فى رفق وهدوء لكيلا يغضب خصمه او يفقده .. وبالجملة فعدلى هو الشيطان .

الاخوة الأعداء

وتعجب ان يكون سعد وعدلى قبل الثورة ، وخلال حكم الخديو عباس ، وبعده في ظل الاحتلال البريطاني ، صديقين لا يفترقان ، ويحف بهما جميع اعضاء الوفد الذين سافروا مع سعد إلى عاصمة فرنسا ثم عاصمة الانجليز . وتعجب اكثر من ذلك ان عدلى كان رئيس وزراء الائتلاف الذى تزعمه سعد سنة ١٩٢٦ ، وان سعداً غضب على انصاره واشتد عليهم حينما ضايقوا عدلى وحملوه على الاستقالة فى ديسمبر ١٩٢٧ .

ولكن قد يبدو من المفيد ان نعرف رأى

سعد فى جميع اعضاء الوفد ، بعد ان عرفنا راى السكرتير الخاص لسعد ، فى عدلى ، وادركنا الى اى حد بلغ هذا الراى من الضيم والسوء .

روى لنا « محمد كامل سليم » وقائع جلسة عاصفة من جلسات الوفد فى باريس كان سببها ارسال برقية من صحفى يدعى محمد نجيب كان متصلا بسكرتارية الوفد ، اى بسعد ، الى جريدة « الاخبار » التى كان يصدرها ويراس تحريرها المرحوم « امين الرافعى » . وقد وصف الصحفى فى هذه البرقية وجود عدلى مع الوفد بانه كارثة ، وقد هاج الاعضاء وماجوا ، واحتد سعد واشتد ، فلما انصرف الجميع وخلا سعد إلى سكرتيره وامين سره « كامل سليم » قال له « سعد » فى حق هؤلاء الزملاء : « والله ان فراقهم خير واولى » . وفى مناسبة اخرى قال سعد لسكرتيره : « إنى اصبحت لا اثق باحد من اعضاء الوفد » . وفى مناسبة اخرى قال سعد : « كيف اتحمل الهوان ممن لا احترم لهم رايا ، ولا انتظر منهم فى العمل عونا ولا نفعا ، ولا اجد فى صحبتهم إلا ضرا وشرا ؟ » .

وقال فى مناسبة اخرى عن هؤلاء الزملاء انفسهم : « رجال من اسوا الناس صفات ، ليس فيهم رجل واحد وطنى رشيد ، إنهم ما بين منشىء للحماية او مجند لها ، او مؤيد للانجليز او هو صنيعة لهم ، إنهم جميعا خونة ومجرمون ، وانا اربا بنفسى ان اجلس معهم فى وليمة ، فما بالك بالاشتراك معهم فى اى عمل يمس البلاد » .

ما هذا الهراء ؟ وهذا التخريف ؟

وفى مناسبة اخرى قال عن رايه فى عدد من اعضاء الوفد ، فقال عن عبد العزيز فهمى الذى كان آنذاك محاميا ذائع الصيت ونقيبا للمحامين ، وعضوا فى الجمعية التشريعية ، ثم اصبح بعد ست سنوات من وجوده فى باريس ولندن مع سعد ، وزيرا للعدل ، ثم رئيسا لحزب الاحرار الدستوريين ، ثم عضوا فى المجمع اللغوى بالقاهرة ، وقد ذاع له اقتراح باستعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية قال عنه سعد: «ما رايت رجلا مغرورا بنفسه فى تواضع ، ولا خبيثا فى صالح ، ولا عسوفا فى عادل ، ولا كذوبا فى صادق ، ولا جبانا فى شجاع ، ولا متقلبا فى ثابت ، ولا مرائيا فى صريح اكثر من هذا الرجل » .



صفية زغلول

زوجة سعد وبنت مصطفى فهمى « رجل الانجليز فى مصر »

وقال عن لطفى السيد ، الذى تواضع الناس فى اخريات حياته على نعته « باستاذ الجيل » والذى رقى الى منصب الوزير اكثر من مرة ، ثم تولى رياسة الجامعة ، فرياسة مجمع اللغة العربية : « متواضع فى كبرياء ، صالح فى خبيث ، قوى فى عجز ، ماكر فى بساطة ، قليل الكلام كثير التفكير ، واسع الخيال بليغ القلم والبيان ، متسامح فى متصلب ، وله فى نفسه احسن راى » .

سعد ... متهماً

فاذا انتقلنا إلى ذكريات محمد علي علوبة (باشا) المولود عام ١٨٧٥ فى مدينة اسيوط والمتوفى سنة ١٩٥٦ ، فكانما انتقلنا من عالم إلى عالم ، فسعد الذى عرفناه فى كتب « محمد كامل سليم » : زعيما ساحرا ، يؤمن بوطنه ، ويجاهد فى سبيله ، ويتحمل الاذى من اجله ، الثابت الراى ، المجرد من الهوى ، الذى يبلغ الغاية فى الاخلاص والتضحية ، رايناه فى كتاب « محمد علي علوبة » ، على النقيض فى كل شىء .

فسعد زغلول فى كتاب علوبة ، ليس له إلا غاية واحدة ، هى شخصه ، وبروزه على الانداد ، وتداول الالسنة لاسمه ، وهتاف اصحاب الحناجر له ، واتصاله بالسلطة ، وهو بخيل لم يدفع للحركة الوطنية إلا مائة جنيه ، لم يلبث ان استردها ، ومع ذلك فقد مد يده الى مال الوفد ، واخذ من علوبة الذى كان امينا لصندوقه ، مئات الالوف من الفرنكات الفرنسية ، إبان وجود الوفد فى باريس بايصالات موقع عليها منه بخطه وقلمه ، ولم يردها . وهو جبان يخاف الاخطار الموهومة ، وهو ضيق الصدر ، نافد الصبر ، لا يطيق مناقشة زملائه الذين اختارهم الشعب اعضاء فى الوفد وقادة للحركة الوطنية ، وهو عاشق لذاته ، يريد لها التقديس والخضوع والاذعان . وهو لا يطيق ان يذكر اسم غير اسمه ، ولا ان ينسب فضل إلى غير شخصه ، ثم هو متقلب لا يثبت على راى . فحيثما لاحت المصلحة الشخصية جرى وراءها ، ناسيا ما قاله من قبل ، وما اعلنه واكده ، واعتبره حقا لا ينزل عنه ، ولا يساوم فيه . وهو حقود جحود ، استعان بعدلى ، واستدعاه الى باريس ، فى إلحاح وتوسل ، ثم نسب إليه كل موبقة ، وعدلى : لم يسابقه إلى منصب ، ولم ينافسه فى شهرة ، ولم يقاومه لغرض .

وسنورد اشياء مما جاء فى كتاب علوبة. قال فى صفحة ٨٠ ما ننقله بشىء قليل من التصرف :

« نقلت سكنى إلى القاهرة اثر انتخابى فى سنة ١٩١٣ عضوا بالجمعية التشريعية وكثر اتصالى بسعد زغلول باشا بسبب اشتراكنا فى العمل واتفاقنا فى مبدا المعارضة بالجمعية ، فلما اوقفت الجمعية اعمالها صرت انا وبعض اعضائها نتردد على منزله من آن لآخر ، نتداول الآراء ، وكان منها ان « الدكتور ولسن » رئيس الولايات المتحدة قد اعلن مبادئه الاربعة عشر التى تنص على مساواة الامم كبيرها وصغيرها ، وحقها فى الحرية وتقرير المصير ، لذلك خطر ببالى ان اقابل سعد باشا فذهبت إليه فى منزله يوم ٨ نوفمبر ١٩١٨ ولما لم اجده كررت الزيارة فى اليوم التالى فالتقيت به وقلت له إن الحرب انتهت بظفر انجلترا وحلفائها ، وان علينا واجبا كاعضاء فى الجمعية التشريعية ونواب عن الامة نحو هذه الامة ، وانت كوكيل منتخب عن الجمعية التشريعية اصبح واجبك اكبر من واجبنا ، فسالنى سعد ، وما الذى تبغى ان نعمله ؟ فاجبته ان الفكرة فيما يجب ان نعمل ـ اى فى الوسيلة ـ لم تتبلور فى ذهنى ، ولكن

المحقق هو أن من الواجب علينا أن نعمل شيئاً لمصلحة بلادنا بتكوين جمعية مثلا تسعى فى تحقيق ما تصبو إليه البلاد ، اعتماداً على المبادىء التى أعلنها ولسن ، فاجابنى إن بعض أصدقائنا قد فكروا فى هذا الأمر وانه لم يتداول معهم فيما يتبغى أن يعمل وعند اتفاقهم على الفكرة يخبرنى بالنتيجة . واعلنت الهدنة يوم ١١ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وفى اليوم التالى اتصل به سعد تليفونياً ودعاه للحضور إلى بيته ، وفى صباح يوم ١٣ نوفمبر ، وصل علوبة إلى منزل سعد فوجد فى حجرة مكتب سعد ، علي شعراوى ، ومحمد محمود، وعبد العزيز فهمى، واحمد لطفى السيد ، فاخبره سعد بانهم الستة أصبحوا هيئة تسعى فى تحقيق ما فاتحه فيه علوبة وانهم اتفقوا على مطالبة العميد البريطانى بمقابلته ، وان العميد وافق على المقابلة وحدد لها يوم ١٣ نوفمبر اى نفس اليـــوم وحدد الساعة الحادية عشرة لها ، وانهم ينتوون المطالبة بالاذن بالسفر ، وان الذين سيذهبون للمقابلة هم سعد، وشعراوى وعبد العزيز فهمى ، وان الثلاثة الباقين سينتظرون عودتهم فى مكتب سعد .

مهادنة سعد للانجليز

وكان أول ما لاحظه علوبة أن الذين ذهبوا للمقابلة ارتدوا « الردنجوت » وقد كان فى ذلك الوقت الزى الرسمى الذى يلبسه الوزراء والعظماء عند مقابلة السلطان ، فلم تكن هناك حاجة لارتدائه وهم ذاهبون لمقابلة ممثل الدولة المحتلة والحامية ، ولكنه مركب النقص ، فان باشوات وبكوات ذلك العهد كانوا يشعرون بهيبة الموظف البريطانى أيا كانت مرتبته ، دع عنك عميد البريطانيين واعلى مندوب لهم .

ولما ذهبوا إلى السير « ونجت » ، رحب بهم ، وافضى إليهم بان الصلح اقترب وان مصر سينالها خير ، ولكن لابد من الصبر ، وان الله مع الصابرين .

ودار الحديث بين المصريين الثلاثة والسير ونجت على الوجه المعروف ، ولكن علوبة اثبت فى كتابه ماخذ على (سعد) بعد أن اعلن إعجابه بموقف كل من شعراوى الذى لم يكن متعلماً ومع ذلك كان ما وجهه للمندوب البريطانى (رائعاً وجديراً برجل وطنى شجاع دفعته شهامته ووطنيته الصادقة إلى أن يواجه السير ونجت بما لم يقله سواه ، فقد قال له : إننا نطلب من انجلترا صداقة الحر للحر ، وليست صداقة الحر للعبد ، وان مصر ترفض العبودية لبريطانيا أعظم الدول ، كما ترفضـــها لرجـل لا قيمة له ولا شان . كما كان عبد العزيز فهمى وطنياً قانونياً ، أراد بعلمه أن يقنع سير ونجت بحق مصر فى الاستقلال وبنضجها سياسياً واهليتها للحرية .

ثم قال :

أما سعد زغلول باشا فانه مع طلبه الاستقلال كزميليه ، تطوع وعرض على المندوب السامى أموراً خطيرة دون أن يتفق مع زملائه ودون أن يكون له تفويض منهم ، ودون أن يحصل الوفد على توكيل من الأمة فقد ذكر فى كلامه ما ياتى : متى ساعدتنا بريطانيا على الاستقلال التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين اى دولة من استغلالنا والمساس بمصلحة انجلترا ، فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهى قناة السويس ، بان نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود .

وقد أورد علوبة ، بعد هذا ، حديثاً عن دور لحسين رشدي باشا الذي كان طوال فترة الحرب العالمية الأولي ، أي من منتصف سنة ١٩١٤ حتى وضعت الحرب أوزارها في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، قائما مقام الخديوي عباس حلمي الذي اعلنت الحرب وهو خارج مصر ، يصطاف كالعادة سنوياً ، فمنعه الانجليز من العودة لمصر ، أو هو لم يفكر في هذه العودة لخصومته الشديدة المعلنة مع الانجليز ، وخوفه على حياته لو وقع في أيديهم . وقد قبل رشدي اعلان الحماية البريطانية على مصر ، ولم يستقل ، ودافع عن هذا الاجراء واعتبره لصالح بلاده لكيلا تتعرض لغزو الألمان ، عدوة بريطانيا ، وقد أخذه الوطنيون على هذا المسلك ، واعتبروه خائناً للأمانة التي عهد بها إليه سيده عباس حلمي ، ولعله احس بان خطاه يحتاج إلى التكفير عنه ، فبادر عقب اعلان الهدنة بطلب سفره ومعه عدلي يكن إلى فرنسا بوصفهما معاً وفداً رسمياً عن حكومة مصر ، يدافع عن حقها في الاستقلال وتقرير المصير ، وأراد أن يعزز مسعاه ، بالايعاز بتكوين وفد شعبي ، وافضى رشدي برغبته هذه لسعد ، بوصفه وكيلا للجمعية التشريعية ، وألح رشدي في عرض هذه الفكرة على سعد ، وسعد يتلكأ ، ولا يجد عنده حماسة لتنفيذها لضعف إيمانه بجدوى هذا المسعى ، ويروي « علوبة » أن محمد محمود ، وقف في وجه زملائه ذات يوم وهم خارجون من اجتماع مجلس إدارة الجامعة المصرية الأهلية ، ومد عصاه في طريقهم وقال لهم : لا تخرجوا من هنا حتى نقرر تاليف وفد يطالب باستقلالنا ، وكان مجلس الادارة يضم سعداً ولطفى السيد ، وعبد العزيز فهمي ، وقد اجتمع هؤلاء في منزل سعد ، حتى تم اجتماع المندوب السامي بسعد وزميليه في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، على الوجه المعروف .

وقد أوعز بعد ذلك « رشدي » بكتابة توكيل موقع عليه من أفراد الشعب ، يفوض أعضاء الوفد المذكورين ، ومن يضمونه اليهم ، وذلك سداً لذريعة المندوب السامي الذي أنكر على الثلاثة الذين قابلوه وطالبوه بالاستقلال ، أن لهم صفات تخولهم هذا الطلب . وقد نجحت حركة التوكيلات ، وأصبحت مظاهرة شملت الشعب كله بجميع طبقاته ، في ريفه وحضره ، حتى أدركت السلطات البريطانية خطرها ، وما تحدثه من تعبئة للرأي العام وراء الوفد ، فامرت بايقافها ، فتدخلت السلطات الادارية المصرية لتنفيذ الأمر ، وكان العمد والمشايخ وموظفو الادارة قد تحمسوا لحركة التوكيلات لما أحسوا أن رئيس الوزراء حسين رشدي باشا وهو وزير الداخلية في الوقت نفسه يرضى عنها ويشجعها . ولكن توقفت هذه الحركة العظيمة بامر السلطات ، فارسل سعد في ٢٣ نوفمبر ١٩١٩ إلى حسين رشدي وزير الداخلية ، يحتج على منع توقيع التوكيلات ، فرد رشدي على خطاب سعد على الفور ، معلناً انه لم يصدر أمراً بهذا

المنع ، وأن المنع آت من جانب السلطات العسكرية البريطانية .

ويريد « علوبة » من ذكر هذه الوقائع بيان الحقائق التالية : ان فكرة تأليف الوفد لم تصدر عن سعد ، وانه تلقاها من رشدي ، وعلى أن السلطان أحمد فؤاد راض عنها ، وانه تردد في تنفيذها ، حتى اطمأن . ثم إن فكرة التوكيلات لم تصدر عنه كذلك ، ثم إن موقفه في مقابلة السير « ونجت » المندوب السامي البريطاني كان أضعف من زميليه . وقد تطورت الأمور حتى صدر أمر السلطة العسكرية باعتقال أربعة من باشوات مصر ، هم سعد زغلول ، ومحمد محمود باشا ، واسماعيل صدقي باشا ، وحمد الباسل باشا في ٨ مارس سنة ١٩١٩ ، ثم نفتهم الى جزيرة مالطة لمدة شهر ، ثم أفرجت عنهم في ٩ أبريل سنة ١٩١٩ ، فسافروا إلى فرنسا على الباخرة كليدونيا ، التي أبحرت من الأسكندرية ، وقد سافر عليها أعضاء الوفد وهم أحمد لطفي السيد ، ومحمد علي علوبة ، ثم علي شعراوي وعبد اللطيف المكباتي ، وكان الوفد قد ضم إلى اعضائه كلا من : مصطفى النحاس وحافظ عفيفي وواصف غالي ، وويصا واصف ، وسينوت حنا .

النزاهة المالية

وما كاد الوفد يصل الى فرنسا ويطأ اعضاؤه باقدامهم أرضها حتى تم إعلان اعتراف « الدكتور ودرو ولسن » رئيس الولايات المتحدة بالحماية البريطانية على مصر ص (١٣) بعكس ما كان قد اعلنه من حق كل الأمم في الحرية وتقرير المصير . وقد صدم أعضاء الوفد بهذا الاعتراف أعظم صدمة ، حتى زلزلت ثقتهم لفترة بالرسالة التي جاءوا من أجلها .

ويقول علوبة انه دخل ذات يوم الى الحجرة التي كان مجلس ادارة الوفد يجتمع فيها ، فرأى سعداً وهو يوجه الخطاب بحدة إلى علي باشا شعراوي – وكان أمين صندوق الوفد – ويقول له : « يا باشا انت غنى ولكن الثروة ليست كل شيء، وانت في الوفد لثروتك » . وكان علي باشا شعراوي هادئا هدوءاً ممزوجاً بالآلام لا ينطق بأكثر من « ما ضرورة هذا الكلام يا باشا » . وقد فهم علوبة من بعض الأعضاء أن سعداً طالب علي شعراوي أمين الصندوق ببعض المال ، فلم يجبه إلى طلبه ، لعدم تبينه المصلحة في صرف هذا المبلغ ، فاشتد في مخاطبته على هذه الصورة الجارحة. على الرغم من أن علي شعراوي كان له موقف عظيم في يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ وكان قد تبرع بثلاثة آلاف جنيه للوفد في بداية الحركة في حين أن تبرع كل عضو آخر بما فيهم سعد لم يزد عن مائة جنيه . فلما كثرت تبرعات الشعب للوفد استرد كل عضو المائة جنيه التي دفعها ، ولما كان الفرنك الفرنسي ضعيفاً في تلك الأيام فكان يتارجح ، فهبطت فيه الفرنكات التي تبرع بها علي شعراوي من ثلاثة آلاف إلى الفين ، ولكن شعراوي كان وفياً بما يتعهد به فدفع بالفرنكات ما يساوي ثلاثة آلاف جنيه ، فلما رأى علي شعراوي أن ينسحب من الوفد ، ويعود إلى بلاده ، لما لحقه من إهانه ، حمل عليه سعد حملة شعواء ، واتهمه بانه كاذب لانه وعد بدفع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه في حين أن ما تبرع به لم يزد عن الفي جنيه . وكان الرجل يسمع الهجوم عليه وهو صامت دون أن ينبس ببنت شفه .

وفي ذلك الحين توفى (محمد فريد) رئيس الحزب الوطني الثاني في برلين ، بعد مرض مضن ، وكان وحيداً شريداً ، لا يجد بعد هزيمة المانيا وتركيا – قوت يومه ، ولا ثمن دوائه ، فلما توفاه الله ، اقترح أعضاء الوفد أن ينقل جثمانه على حساب الوفد وكانت أمواله قد كثرت ، وكانت إعادة جثة فريد إلى مصر في تلك الأيام مما يؤجج لهيب الثورة ، ويزيد من اشتعالها ، إلا أن سعداً رفض باصرار ، بحجة ان مـــا جمع للوفد كان بقصد إنفاقه على العمل السياسي ، لا على نقل جثث الموتى .

ويقول علوبة – الذي اختير أميناً للصندوق بعد علي شعراوي – إن سعداً اقترض من مال الوفد ١١ الفاً من الفرنكات الفرنسية ، لارسال جثمان صهره مصطفى فهمي باشا الذي رأس الوزارة المصرية في ظل الاحتلال البريطاني ثلاثة عشر عاماً متصلة ، لا يعصي فيها أمراً للانجليز ، مما جعله في نظر الوطنيين العميل الأول للاحتلال البريطاني . وقد نقل جثمان صهر سعد على حساب الوفد ، ولم يسدد سعد هذا الدين .

ويروي علوبة أنه تقرر سفر أعضاء الوفد من باريس إلى لندن لمفاوضة اللورد ملنر ، فسأل حمد الباسل باشا عضو الوفد بهذه المناسبة عما إذا كانت قرينته ستصحبه إلى لندن ، فانفجر غضب سعد وصاح في وجه زميله عضو الوفد : « هذه سفاهة » وكررها ، فرد عليه حمد الباسل بقوله : « هل أنا سفيه ... أنت السفيه » .

فاخذ سعد ولم يحر جواباً . ولما تقرر سفر الوفد إلى لندن ، أعلن سعد أنه لن يسافر ، وأبدى الأعضاء دهشتهم من امتناع سعد عن السفر ، فاصر على عدم السفر دون أن يذكر سبباً ، فلما ألحوا عليه ، قال : إنه يخشى أن يقبضوا عليه في انجلترا . فلما استنكر الأعضاء هذا التصور ، وان الانجليز لو فعلوا ذلك لسقطت سمعتهم عند جميع الناس وفى نظر كل الدول . فقال : « انا مش مسافر إلا إذا حصـــلت على تعهد من اللورد ملنر بعدم المساس بشخصي » . ولم يعدل عن هذا الطلب إلا بعدما واصل الأعضاء رجاءه أن يصرف ذهنه عن هذا الطلب .

مواقف متناقضة

ويقول علوبة أن الحكومة البريطانية ، لما تكون الوفد ، سافر الوفد إلى فرنسا واستمر هناك حتى بعد إعلان (ولسن) موافقته على الحماية البريطانية على مصر جرياً على عادة الولايات المتحدة مع قضايا العرب جميعاً . أرادت بريطانيا أن تحط من قدر الوفد وتشكك في سلامة تمثيله لمصر ، فأرسلت لجنة برياسة أحد وزرائها وهو اللورد ملنر وزير المستعمرات آنذاك ، فأرسل سعد إلى عبد الرحمن فهمي سكرتير اللجنة المركزية للوفد في مصر ، لتأليف لجنة من أعيان المصريين لاستقبال لجنة ملنر ، ولكن عبد الرحمن فهمي طرح الفكرة جانباً ، وأمر أعوانه من الشبان بمحاصرة اللجنة البريطانية ومنع الاتصال بها في مصر ، مع إعلان شعار ! « لا ممثل لنا إلا الوفد في فرنسا » وقد تم حصار اللجنة بفضل حسن قيادة واخلاص عبد الرحمن

سعد زغلول في قفص الاتهام

فهمي من جانب ، وتضامن حسين رشدي رئيس الوزراء من جانب آخر . إذ قال لملنر : « إنكم لن تجدوا قطبين اثنين في مصر ، يستمعان اليكم ويردان عليكم » .

ومع ذلك ، فان سعداً لم يعف حسين رشدي من اتهامه بالخيانة والتامر مع الانجليز بالتعاون مع عدلي ضد الوفد

وقد رأى سعد في مرحلة من مراحل العمل السياسي وهو في الخارج ، أن تؤلف وزارة وطنية موثوقاً بها برياسة عدلي يكن لتفاوض الانجليز ، ثم يعرض ما تنتهي اليه المفاوضة على نواب ينتخبهم الشعب ولكن عدلي تباطأ في تنفيذ تاليف الوزارة فارسل اليه سعد برقية في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ يدعوه للحضور إلى باريس فرفض عدلي الحضور فاردفها بثانية في ١٨ مارس يطلب نفس الطلب ومع ذلك لم يحضر عدلي ، فارسل إليه برقية ثالثة في ٢٢ من مارس ثم رابعة يطلب منه التعجيل في الحضور وخامسة في ١٣ من ابريل يقول فيها إنه حجز له حجرة في الفندق .

وسافر عدلي إلى لندن ، وقام اتصال بين لجنة ملنر والوفد بعد ذلك . وظاهر من هذه الحقائق كما يقول علوبة – ان سعداً هو الذي طلب عدلي ، وان سعداً كان متهافتاً على الاستعانة بعدلي ، في حين أن الاخير كان الأهدأ في الاتصال بالوفد . فلما وقع الخلاف بين فريق سعد الذي كان فريق الاقلية ، وفريق عدلي ، اتهم سعد (عدلي) بانه لم يكن مندوب الوفد عند الانجليز ، بل وسيط الانجليز عند الوفد . وقد ردد هذه التهمة محمد كامل سليم في كتابه بصراحة.

انا وحدى ممثل الشعب

والكلام فيما جاء بكتاب علوبة يطول جداً ، ولذلك فنحن نكتفي كختام لهذا العرض ، أن ننقل في إيجاز ما جاء في صفحة ١٥٨ ، ١٥٩ مما يعتبر أقوى وأعنف ما نسبه علوبة لسعد زعيم ثورة ١٩١٩

قال « إن الاتفاق كان قد تم على حضور عدلي ليعين الوفد بمواهبه الدبلوماسية وقدرته على ضبط النفس ، والصبر والأناة والبحث عن اللفظ اللين ، وتحاشي العبارة الجارحة ، وتمكنه من اللغة الانجليزية التي لا يعرفها سعد ولا يفهمها حينما يتكلم الانجليز . وهذه كلها صفات لا يتمتع بها سعد ولا يحرص على التمتع بها ، لانه زعيم جماهير ، وقائد ثورة ، يلزمه أن يكون صريحاً ، غير مداور ، واضحاً غير غامض وأن يؤلب الشعب ويثيره ، لا أن ينيمه ويهدىء ثائرته . وأن سعداً ارتفع اسمه عند الشعب حتى أصبح لا يكف عن الهتاف به في كل وقت ، في حين اختفت أسماء أعوان سعد وزملائه الذين سافروا معه من مصر إلى فرنسا وهم أنداد ، فلما عظم الفارق بين مكانة سعد عند الأمة ، ومكانة زملائه ، تغير موقف سعد منهم ومن إدارة المفاوضات ، ومن اصدار القرارات فاصبح لا يطيق معارضة ، وزاد عنف سعد حينما علم من « ملنر » أن الذي يجريه الوفد ، ليس سوى محادثات ، وأن المفاوضات التي ستجري بعد ذلك ، لابد أن تكون بين وزارة مصرية ووزارة بريطانية ، فهذا هو المالوف الدولي والعرف المستقر . ولما كان سعد يعلم أن السلطان لن يكلفه تاليف الوزارة لكرهه ، وأن المفاوضات التي قد تجرى بعد ذلك ، وقد تنيل الشعب مطالبه كلها ، أو بعضها ، ستنسب إلى غيره ، وسينال مجدها ، هاج وماج ، وأخرج يومها ببطاقته المكتوبة باللغة الفرنسية ، والمذكور فيها « وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، ورئيس وفد الأمة المصرية » وقال « يجب أن أوقع انا المعاهدة بين مصر وانجلترا بهذه الصفات الواردة في بطاقتي ولست أقبل أن يوقعها أي شخص آخر ، وسأحارب كل شخص مهما يكن مركزه يفاوض ويوقع المعاهدة دوني » . وأضاف علوبة انه في منتصف يوليو سنة ١٩٢٠ ذهب أعضاء الوفد ومعهم سعد في يوم أحد ، إلى ضاحية من ضواحي لندن ، التماساً للراحة والاستجمام ، وقد تبسط الأعضاء في الحديث ، فاذا بسعد يحدث زملاءه بدخيلة نفسه فقال إنه لا يرى مانعاً من التساهل مع « ملنر » في بعض طلبات المصريين بشرط أن يعد ملنر باسم حكومة بريطانيا بعزل السلطان، وانتظر سعد أن زملاءه سيبادرون إلى الموافقة ، ولما لم يؤيد أحد هذا الطلب العجيب ، نظر إلى لطفي السيد وكان من الصق الأعضاء بسعد وقال له : يا لطفي ! لم لا تتكلم وتتركني أتحمل المسئولية وحدي . فاجابه لطفي : ماذا أقول يا باشا . فغضب سعد وقال له : روح يا شيخ » .

ويقول علوبة إن ملنر قدم المشروع الانجليزي النهائي ، فتردد سعد في إبداء هذا الرأي قبولا أو رفضاً ، فابدى علوبة دهشته من هذا الموقف ، لأنه زعيم الأمة ، وأن واجبه أن يدعو الأمة لما يراه الأنفع ، ولو كان في قبوله مرارة ، فقال سعد : لن اتفق مع الانجليز مطلقاً ، فما من اتفاقية سيرضاها الانجليز إلا وفيها ما يدعو إلى التحفظ لعيوب خفيفة بها أو ثقيلة ولو ارتضيناها جميعاً لتفاهة عيوبها فاني أخاف أن يقتلني أولاد الحزب الوطني » .

ورأى سعد في ٥ من سبتمبر بعد أن قدم ملنر مشروعه ، وأصبح لا مناص من إبداء الرأي ، رأى أن يوجه إلى الأمة بياناً يعلن فيه أن له تحفظات على مشروع ملنر وأن ملنر أعلن أن هذا المشروع هو أقصى ما تذهب اليه بريطانيا ، ولكنه رأى ، نظراً لاشتمال هذا المشروع على مزايا لا يستهان بها ، وتغير الظروف التي حصل التوكيل فيها ، وعدم العلم بما يكون من الأمة بعد معرفتها بمشتملاته ، وقياس المسافة التي بينه وبين أمانيها . رأى إخواننا معنا ، خروجاً من كل عهدة ، وحرصاً على كل فائدة ، الا يبتوا فيه بما يقتضيه توكيلهم قبل عرضه عليكم أنتم نواب الأمة .

وفي نفس الوقت الذي يتحدث فيه سعد إلى الأمة ، بان مشروع ملنر المعروض على الوفد به مزايا لا يستهان بها ، كتب خطاباً إلى ثلاثة من أعضاء الوفد هم مصطفى النحاس وحافظ عفيفي وويصا واصف ، وصفه علوبه في ص ١٨٠ من كتابه بانه خطاب سري ، جاء فيه على حد عبارة علوبة – رحمه الله – بانه يتنافى كل المنافاة مع ندائه العلني ، وجاء في هذا الخطاب أنه يخالف سراً ما جاء بندائه علناً ، ويقرر لهم أن المشروع الانجليزي المعروض هو (حماية) . وغاية ما يريده علوبة من إيراد هذه الواقعة أن لسعد رأيين:رأياً يخفيه عن الناس ورأياً يعلنه ، لأنه يخشى على مكانته السياسية إن صارح الناس بالرأي . وهو يتهمه بذلك ، بانه لا يؤدي أمانة الزعيم ، الذي أؤتمن على قضية الوطن ، ومصلحة البلاد ، فهو يقدم مصلحته الشخصية على المصلحة العامة ، ويكون له في المسألة الواحدة رأيان ، رأي يعلنه ورأي يضمره .

ما رأي المؤرخين ؟

ولسنا هنا بصدد عقد مقارنة بين سعد وعدلي ، ولا ترجيح رأي أنصار سعد على رأي أنصار عدلي لأن غايتنا من كتابة هذا البحث ، هو عرض كتاب المرحوم محمد علي علوبة باشا الذي لعب دوراً عظيماً في خدمة بلاده ، محامياً وسياسياً ووطنياً مصرياً ، ومجاهداً عربياً ، وصاحب قلم . وللقارىء بعد مطالعة ما نقلناه عن الكتاب ، وما نقلناه عن غيره ، أن يكون له رأيه ، وللمؤرخين أن يناقشوا هذا الرأي ويردوا على ما جاء فيه ضد سعد زغلول أو يؤيدوه.

فتحي رضوان

دعـــوة العـاشـــق

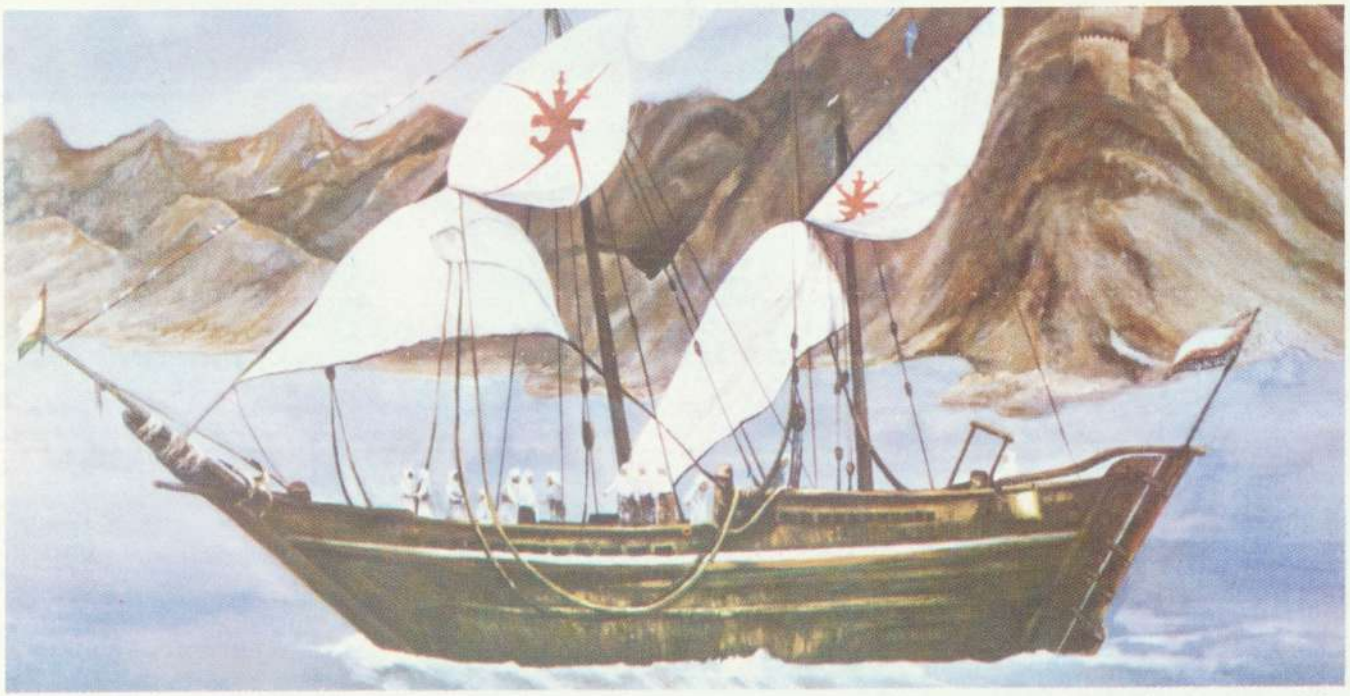
شـعر: حســن طلب



أَ « صَبَاباتُ » رُويداً
أَعْيُونَ « صَبَابَاتَ » حَنَانَيْكِ
أَسُلْطَانَ عُيونِ « صَبَابَاتَ » أَمَانَا
كُونُوا فى الصـــدِّ
كما كُنَّا فى الوَصْلِ
وخلّوا أَسِرَكُمْ يُطْلِقُ أَسْرَانَا
أَحبَبْنَاكُمْ واسْتَصْفَيْنَاكمْ أَبَداً
فأحِبُّونَا واسْتَصْفُونَا أَحْيَاناً
قولوا : نعشقكُمْ
أو قدْ نعشقكُمْ
قولوا صِدْقاً
أو كَذِباً قُولُوا
إنَّا لا نَطْلُبُ منكمْ برْهَانَا
أتلفْتُمْ منَّـــا الكَبِدَ
وخلَّفْتُمْ فى عَيْنَيْنَا الرَّمَـــدَ
ألا فليتْلِفْكُمْ معشـــوقٌ
ويخلِّفْ فى عينيكُمْ
فتصيرُونِ سواءاً فى الوجْدِ وإيَّانَا
فاذا شَرَّقْتُمْ غَرَّبَ
أو أَتْهَمْتُمْ أَنْجَدَ
أو بالْبَوْحِ هَمَمْتُمْ
.. يتَوانَى
فَتكُونُونَ ـ وِصالاً :
ما وُوصِلْتُمْ فَوَصَلْتُمْ
ونكُونُ ـ وِصَالاً : ما وُوصِلْنَا فَوَصَلْنَا
ويكون شهيداً فى العِشْقِ كِلانَا

أول فنانة تسجل

تراث الخليج في لوحات



سفينة « صحار » التى ابحر بها العمانيون حتى الصين

فنانة خليجية النشأة .. عربية الانتماء .. اختارت الفرشاة والألوان لتجرى من خلالها تحقيقا اجتماعيا تسجل به واقع حياة الخليج قبل النفط .. والواقع المتمثل فى الصراع مع البحر ومواجهته أثناء الغوص

اختارت الفنانة الكويتية موضى الحجى هذا الطريق ايمانا منها بضرورة المحافظة على تراث هذه الفترة من التاريخ الخليجى ، وحرصا على أن يعرف النشء ماضى الأجداد قبل أن يضيع .. ولذلك استلهمت الفنانة فكرة اقامة معرض يضم صور الرواد الأوائل ، والجو الذى كانوا يعيشون فيه ، من خلال خطاب لسمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت الذى طالب فيه بالوفاء لأبناء الرعيل الأول الذين قامت على اكتافهم وسواعدهم الحضارة الحديثة .

البحث عن الماضى

وقد دفعها حماسها لتسجيل التراث الى البحث والتنقيب لدراسة كل ما يتعلق بالماضى ، فجمعت المعلومات ، وقابلت الشخصيات ، كما سافرت عدة مرات الى بعض بلدان الخليج مثل قطر والبحرين وعمان لدراسة أنماط بناء السفن فى ذلك الوقت ، والاحاطة بالجو العام الذى كان الرواد الأوائل يعيشون فيه ، واستغرقت تلك الدراسة عامين ونصف ، لتعود عقب ذلك وتسجل ما اختزنته ذاكرتها فى لوحات فنية !

لوحات الرعيل الأول

وقد قامت الفنانة موضى الحجى بجولة خليجية لمعرضها ، فعرضت فى البحرين ، الكويت ، الامارات ، عمان ، وانتهت جولتها فى دولة قطر التى جاءت اليها بدعوة من وزارة الاعلام ، لتقيم معرضها ، الذى قام بافتتاحه سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام والأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام ..

لقد ضم المعرض ٤٤ لوحة زيتية للعديد من شخصيات الرعيل الأول مثل عبد الوهاب القطامى الذى قاد سفينة الى الهند وهو مازال دون السادسة عشرة ، ومنحته البحرية الملكية البريطانية شهادة تقدير نتيجة لجهده فى تاليف العديد من الكتب عن الطرق البحرية فى ذلك الوقت بين الخليج والهند ، واحمد الغانم الذى لقب ايامها بالطبيب لاشتهاره بعلاج مرضاه بالأعشاب !

وغير هؤلاء هناك هلال بن فجحان المطيرى وهو من اكبر تجار اللؤلؤ .



لوحة تمثل قوة الصقر



للمركب القديم « فتح الكريم » اثناء إعدادها لاحدى الرحلات



احمد الغانم .. واحد من الرواد الاوائل



موضى الحجى مع لوحة للشيخ احمد الصباح

وضم المعرض صوراً للعديد من مراكب الغوص التى كانت تبحر فى ذلك الوقت ، ومن اشهرها سفينة صحار التى بنى مثلها العمانيون سفينة مماثلة فى وقتنا الحاضر ، وابحروا بها الى الصين ليثبتوا ان المراكب الخليجية وصلت الى هناك .. وهذه السفينة لا تحتوى على مسمار واحد بل صنعت كلها بواسطة الألياف !

ذكريات البحر

وقد لاقى المعرض نجاحاً كبيراً فى دولة قطر ، وكان الشىء الملفت للنظر هو اقبال العديد من كبار السن الذين رسمت التجاعيد على وجوههم قسوة الأيام ، لقد جاءوا وكانهم يتذكرون بعضاً من ملامح الماضى عندما كانوا يعتلون تلك المراكب ليواجهوا الموت القابع خلف محارات اللؤلؤ ، ومن ثنايا الموج العاتى ، وبين الرياح القاسية التى تعاند الرجال ومراكبهم !

المعرض القادم

ولا يبقى إلا ان القى الضوء على الفنانة الكويتية موضى الحجى ، فهى حاصلة على بكالوريوس فنون جميلة بعد تخصصها فى التصوير الزيتى عام ١٩٦٩ من القاهرة ، كما حصلت على دبلوم الفنون والتصميمات عام ١٩٧٥ من بريطانيا .. وقد شاركت فى معارض عربية وأجنبية مثل معرض الكويت السادس والسابع للفنانين التشكيليين العرب عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .. كما شاركت فى معرض الخليج للفنون التشكيلية بالدوحة عام ١٩٨٠ وفى معرض بالعراق عام ١٩٨١ ، وعرضت لوحاتها فى الأسابيع الثقافية بالمغرب والعراق وباريس .

والفنانة الكويتية موضى الحجى بدأت اتجاهها الفنى بالأسلوب التجريدى ثم التعبيرى التاثيرى ، وهى الآن لا تتبع مدرسة فنية معينة ، بل موضوع اللوحة هو الذى يفرض الأسلوب الذى تتبعه ..

وتتميز لوحات معرض موضى الحجى بالأسلوب التعبيرى ، مع استعمال الألوان الباهتة الرقيقة التى توحى بدفء المنطقة ، وخلفيات واضحة لابراز دلالة كل صورة .

وتستعد الفنانة بعد انتهائها من تلك الجولة الخليجية لعمل معرض يضم كل شخصيات بلدان الخليج التى كان لها فضل المساهمة فى بناء ماضى وحاضر ومستقبل المنطقة !

نادية رزق

النوم الصحي

بقلم : الدكتور عزالدين فراج



النوم ضرورة لا غنى عنها ، فيه راحة للجسم وتجديد للقوى وصيانة للأنسجة والأعضاء من الضعف والانحلال .

ويستطيع الانسان أن يعيش بغير طعام بضعة أسابيع ولكنه لا يعيش بغير نوم بضعة أيام ، فالنوم ضرورى لتعويض وبنيان ما تهدم .

وفى أثناء النوم تبطىء ضربات القلب ، وحركات التنفس ، وتقل كمية الدم فى المخ وتنقص حركة الأمعاء ، وتقل إفرازات الغدد ، إلا الغدد الجلدية فانها تزداد افرازاً .

ففى ذلك راحة وهدوء للأجهزة . فتتمكن من استرجاع قوتها وبناء انسجتها والتخلص من السموم المتراكمة فيها .

ويؤدى عدم النوم إلى تغير الطباع وانحراف المزاج ، والاجهاد العصبى .

وتتأثر الحواس فتقل الرؤيا ويقل التمييز والادراك وتفقد العضلات توازنهـــا (تناسقها) . وتزداد حساسية الجلد ، وتقل القدرة على التركيز والانتباه وتضعف الذاكرة ، ويقل اتقان الانسان لعمله ويحتاج لوقت أطول لتاديتـــه وتـكثر اخطاؤه .

وعمليات الترميم والتجديد فى الانسجة أسرع فى وقت النوم عنها فى اليقظة ، فخلايا الجلد مثلا تتضاعف سرعة انقسامها أثناء النوم .

والنوم ساعة الظهر يزيد كفاية المـرء وانتاجه سواء كان ذهنياً أو بدنياً .

إن الجسم تعتريه فترتا خمول خلال النوم : الأولى بين الساعة الواحدة والثالثة بعد الظهر ، والثانية قبل وجبة المساء بنحو ساعة . والنوم ظهراً ، يقلل من فعل موجة الخمول الأولى ، ويفيد فى مقاومة الموجة التالية التى تاتى فى المساء وقد وجد أن سرعة الانتاج لا تتحكم فيها العزيمة أو الارادة وحدها وانما العقل الباطن أيضاً ، فاذا أصر المرء على الاستمرار فى العمل وهو متعب ، فان عقله الباطن يضغط على « فرامل » نشاطه فيبلد الذهن ويعمل على نقص الانتاج .

والنوم ظهراً ، يمهد السبيل لنوم عميق



اثناء الليل ـ بعكس ما يظن كثيرون فقد دلت البحوث التى اجريت فى هذا الصدد على أن نوم الظهر لا يحول دون النوم الهادىء ليلا إذا كانت مدته لا تزيد عن الساعة بل ان بعض الاخصائيين الآن يعدون النوم علاجاً مفيداً للأرق ، لأن المرء حين يسترخى مرة اثناء النهار ، يصبح من السهل عليه ان يسترخى بسرعة ساعة النوم ليلا .

نوم العافية

ولنستمتع بنوم صحى هادىء ينبغى مراعاة الأمور الآتية :

اولا : ينبغى تناول العشاء قبل النوم بوقت كاف .

ثانياً : تنظيم مواعيد النوم ليصبح النوم عادة بمجرد الذهاب للفراش . ولا يمكن تكوين هذه العادة اذا ذهب الانسان إلى فراشه فى اوقات مختلفة .

ثالثاً : الامتناع عن تناول الشاى والقهوة قبيل النوم ، مع تجنب الافراط فيها

رابعاً : الامتناع عن استعمال العقاقير المنومة حتى ولو كان المقدار ضئيلا ، إلا إذا نصح بها الطبيب ، مع استعمالها لمدة محدودة من الزمن إذ أن الاستعانة بالعقاقير المنومة يجعلها عادة لا يمكن العدول عنها ، وفى ذلك كل الضرر .

خامساً : إظلام غرفة النوم فالضوء يفسد النوم ويقلق النائم .

سادساً : يفضل النوم على الجانب الأيمن لأنه يسهل عمل القلب ويمنع ضغط الكبد على المعدة . وليس من المعتاد أن يبقى النائم السليم البنية فى وضع واحد .

سابعاً : يجب أن ينال كل فرد قسطاً كافياً من النوم يتناسب مع سنه .

يحتاج الفرد البالغ الى نوم ثمان ساعات يومياً وتطول هذه الفترة عند الصغار . ويمكن فى هذا الصدد الاستعانة بالجدول التالى :

العمـــــر	مدة النوم الكافية
فى السنة الأولى	١٨ ـ ٢٠ ساعة
٢ ـ ٤	١٤ ساعة
٤ ـ ٨	١٢ ساعة
٨ ـ ١٢	١١ ساعة
١٢ ـ ١٤	١٠ ساعات
١٤ ـ ١٨	٩ ساعات
١٨ ـ ٨٠	٨ ساعات

النوم على الجانب الأيمن

يدعونا نبى الاسلام إلى النوم على الجانب الأيمن .. وقال الصحابى الجليل البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« اذا اتيت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم اسلمت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك إلى آخر الحديث الشريف .

هذا ما نادى به رسولنا الكريم من اربعة عشر قرناً من الزمان ينادى به العلم الآن .. وكانه لم يات بجديد . وإليك ما يثبت ذلك علمياً . ينام الانسان على اربعة اوضاع :

فالوضع الأول : وهو النوم على البطن . وفيه يشعر الانسان بعد فترة بضيق التنفس ، لعدم استطاعته التمدد والانكماش .

الوضع الثانى : وهو النوم على الظهر يسبب زيادة التنفس فى الفم ، لأن الهواء يمر على الشعيرات الدموية فيه فتدفئه والمتنفسون من انوفهم اقل تعرضاً فى الشتاء للاصابة بالزكام من المتنفسين من افواههم .

والنصيحة لمن يتنفس من فمه أن يدهنوا لثة الاسنان الأمامية العلوية منها والسفلية بالفازلين حتى لا تتعرض اللثة للجفاف .. وعموماً النوم على الظهر يعوق مجرى التنفس ، فيكثر اصحابه من الشخير والغطيط المزعج .

والوضع الثالث : حيث يكون النوم على الجانب الأيسر وضع غير مقبول .. لماذا ؟ لأن القلب فى الجانب الايسر وهذا يجعل الكبد وهو أثقل الاعضاء يضغط عليه . ويجعل الرئة اليمنى الكبيرة تضغط على القلب وتقلل من نشاطه .

والوضع الرابع : هو النوم على الجانب الأيمن وهو الوضع العلمى الصحيح بعد ان ثبت عدم وجود عيوب الأوضـــاع السابقة .

وما لجا اليه العلم والطب الآن هو الذى نادى به نبينا الكريم من اربعة عشر قرناً من الزمان .

والنوم الهادىء يريح الأعصاب . ومتى ارتاحت الأعصاب وهدات كان هذا من العوامل الرئيسية لصحة النفس وسلامة الاعصاب من الأمراض العصبية .

واذا كانت وسائل الضجة الحديثـــة كالســـيارات والميكروفانات والـــراديو والتليفزيون لم تعرف فى عصر النبى الكريم ، فقد جاء الاسلام بالأسس العامة التى تصلح لكل زمان والتى تبين أن من يحدث الضجة أو يزعج غيره .. انسان قد ضاعت عنده مبادىء التعاطف مع الناس والمراعاة لمشاعر غيره .

ويشترط فى غرفة النوم ان تكون واسعة نسبياً ، وأن يتخللها الشمس والهواء النقى ، مع خلوها من الشقوق والحشرات وعدم ازدحامها باثاث وفير . هذا مع وجوب اختيارها فى موضع هادىء لا ضوضاء فيه ولا تتصاعد منه روائح أما فراش هذه الغرف فيجب أن ينظف على الدوام مع تعريضها للشمس والهواء مدة كافية لتطهيرها .

هذا مع جعل « ملة السرير » ثابتة ، فلا تهبط الحشية « المرتبة » تحت ثقل الجسم فينغرس مما يعوق الدورة الدموية ويضر بالعمود الفقرى .

والواقع أن اللين الزائد مضر للجسم ، فهو يعطيه أوضاعاً كثيراً ما تكون غير طبيعية الشكل . وكذلك الفراش الجامد ، إنه غير مريح . وخير الأمور الوسط دائماً .

وعلاج لين سريرك اللين ، يكون بان تضع تحت المرتبة ، الواحاً من الخشب ثم جرب النوم اياماً ، لترى ما أثر ذلك فى حمل جسمك . بهذا كثيراً ينصح أغلب الأطباء .

والمخدة اللينة ، الزائدة اللين تضر . يجب أن تكون المخدة لا واطئة جداً فتضر ، ولا عالية جداً فتضر . إنها يجب أن تملأ الفراغ الذى بين رأسك والفراش ، وأنت نائم على جنبك . أى تكون بارتفاع كتفك عندما تنام على جنبك .

ويجب أن تكون الأغطية كافية وتغطى النائم من القدم إلى الرقبة وأن تكون البطاطين خفيفة ومن الصوف .

ويجب أن ألا يقل عرض الفراش للشخص الواحد عن متر ، ويفضل نوم كل شخص فى فراش مستقل .

أجرى الحوار : نادر أصفهاني

الفنان وليد حجار



هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربي الإسلامي ؟

●● وليد حجار ، فنان قدم لوحات رائعة فى مجال الوجوه الانسانية ، ومعالجة الحرف العربى ، والزخرف الاسلامى ، وهو كاتب رواية.صدرت له حتى الآن روايتان كبيرتان « السقوط إلى اعلى » و « مسافر بلا حقائب » ، وهو ناقد فنى ، استطاع عبر برنامجه التليفزيونى « روائع الفن » الذى يقدم منذ ستوات أربع ، أن يقدم وجهات نظر جديدة كل الجده فى مجال النقد الفنى ، اضافة إلى أنه استطاع أن يعرف بالاتجاهات العالمية للفن التشكيلى من خلال الأسماء الأكثر قيمة وشهرة . وألقى أيضاً الضوء بقوة على الفن الاسلامى ، وعرف بأعمال كانت شبه مجهولة من الغالبية العظمى لمتابعى الفن

الموضوع الذى يثيره وليد حجار أكثر من غيره هو السرقات التي قام بها الفنانون الغربيون من الفن الاسلامى ونسبوه إلى الحضارة الأوروبية ، واهتم بكشف العداء المبطن المسموم من قبل المستشرقين لكل ما هو عربي واسلامي ؟ !!

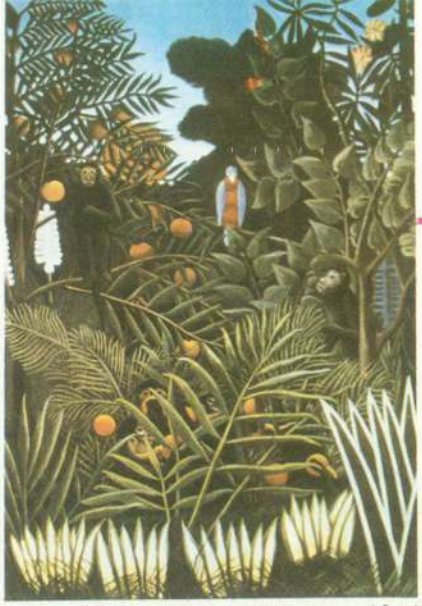
وليد حجار متميز بافكاره العلمية البعيدة عن أى تعصب ، يتميز بثقافة موسوعية تتيح له أن يناقش الآراء التى تطرح عليه بشموليه واضحة .

حول آرائه الهامة فى مجـــال الفن التشكيلي ... كان لنا معه هذا الحوار :

● استاذ وليد حجار ... إن موسوعة « اللاروس » الفرنسية تعرف النقد على أنه شرح ، واطلاق حكم على العمل الفنى أو الأدبى ... ما هو رائدك حين تناولت هذه الأعمال ؟ لا سيما وان ما تقوله من نقد يقدم وجهة نظر لم نالفها فيما نقرا من نقد

برج « جيتو » الاسلوب الاسلامى فيه ظاهر وليس بحاجة للتاكيد





لوحة لـ « روسو » الذى صفق الغرب لأسلوبه ، وليس هناك ما يشير إلى المصدر الاسلامى الذى استقى منه روسو فنه !



من روائع الفن الاسلامى الهندى الذى نقل عنه كثير من الفنانين الغربيين !



لوحة تشكيلية رائعة من الفن الاسلامى الذى سرقه الغربيون ونسبوه إلى الحضارة الاوربية



أسلوب الفن الاسلامى داخل اشهر كنيسة فى فلورنسا

غربى . وأخص بالذكر اهتمامك بتفنيد المزاعم المألوفة حول سمو درجة الابداع فى الفن الغربى وتخلفها النسبى لدى باقى الشعوب .

قال : إن فى التراث الاسلامى أعمالا فائقة الروعة الفنية .. أعمال يكاد لم يبق فى الغرب من يشكك فى قيمة الابداع فيها ! لكن فى الشرق مثقفين لا يملكون موهبة الاكتشاف ! تعلموا أن الغرب هو كعبة جميع الفنون ، فباتوا يكرهون هذا الأسلوب التشكيلى الغريب على ثقافتهم الهجينة ... يكرهونه دونما تحيز واع ، يرون فى الأسلوب المسطح فى الرسم الشرقى سطحية فى الاحساس الفنى ، وفى أهمال الحركة الطبيعية للاجسام ، نقصا فى الدرامية التشريحية للحركة . هؤلاء لا يزالون يحملون أفكار الغرب فى القرن التاسع عشر فهم مع الغرب فى ثقافتهم ، لكنهم متاخرون عن ثقافة الغرب المتطور اليوم بمائة عام !!

ما من ناقد ابتكر أصول النقد من بنات أفكاره ، أو وضع بمفرده أسسا مطلقة من مفاهيم الجمال ... إن جميع ما يقال ، أو ما يقاس به اى عمل ابداعي ، من مفاهيم انما هو حلقة تضاف إلى سلسلة حلقات مترابطة مع ما حولها ، وما قبلها مما قيل ، أو ما سن من قواعد الذوق والجمال ! والمرء حين يقول : ما أجمل هذا أو ما أقبح ذاك . انما يردد ما تفاعل فى نفسه ، مما فرض عليه من ثقافة ، أو ثقافات ، لم يكن له شأن فى اختيار اوائلها ! وفي حال بيئة كبيئتنا ، ثقافة لا شأن لتاريخنا أو حضارتنا بها !

سعيدة هى المجتمعات النابضة بالتفاعل ، الذى من خصوصيته أن يساعد على التحرر من قيود الذوق المتعارف عليه لا سيما حين تكون هذه القيود تشريعات وقيما لا تمت لبيئتها بصلة ! مفاهيم هى فى شرقنا العربى اليوم ، خلاصة ثلاثة قرون من الأهمال ، وقرنين آخرين من الاستعمار الغربى الثقافي ، مباشراً كان هذا الاستعمار أو غير مباشر .

حرب الفن والجمال

وهنا قلت له : إن ما تقوله يتوافق مع ما كتبه ادوار سعيد حول تحيز المستشرقين الواعي الغربي ، وكرههم المبطن المسموم لكل ما هو عربى واسلامى ، فهل شمل هذا التحيز الجوانب الفنية كذلك ؟ ..

قال : إن أوروبا اللاتينية ... فى محاولتها لضرب آخر معقل من معاقل بيزنطيه والاندلس ، فى القرن الخامس عشر ، وضعت لفنانيها قيوداً فنية جمالية صارمة ، قيوداً مدروسة هادفة ... فرضت عليهم التطلع ، بل والاقتباس المباشر من الفن الاغريقى الرومانى ، للتخلص مما كانت القسطنطينية ثم صقلية ، قد أدخلتهما على الفن الغربى من تاثير الحضارات الشرقية والاسلامية المجاورة ! كانت حرباً لدوداً مع الشرق ! ظاهرها ميدان الفن والجمال ، وباطنها خوف الغرب مما يختفى وراء قيم الجمال الشرقية من جذور روحية وفلسفية ! ألم يكن شاعر الغرب الكبير بتراك، قد نادى :

« أيها الايطاليون متى تتخلصون من عقدة أن لا فن أو ابداع الا فيما هو عربي ، أو من أصل عربي ؟! » .

ان النهضة الأوروبية قامت على أشلاء حضارة العرب والاسلام فى الاندلس ! وشاء القدر ان يزامن عصر النهضة ، دك آخر حصون العرب الحضارية ، على يد المغول وسقوط غرناطة ، آخر كنوز الرقي والثقافة فى الاندلس ، على يد التعصب والهمجية !

ليس هنالك فى الغرب من يذكر بوضوح

هل قامت أوربا بالسطو على الفن العربي الإسلامي؟

ما سرقته أوربا من تراثنا ، لقد غنمت أوربا من الاندلس ارثا حضاريا فنيا ، وادبيا ، وفلسفيا . هضمته فى بطء ، وتمثلته ، ثم راحت تفاخر الكون بغنيمتها ... مدعية انه من ابداعها ... بعد ان اطلقت على سرقاتها تسميات غربية (...) .

● إذن هل لك ان تذكر لنا امثلة على ذلك ؟ .

ـ نعم .. فمعظم النقاد الغربيين يجمعون على ان اجمل ما ابدعته أوربا بعد عصر النهضة هو الفن القوطى .

إن الفن القوطى الذى تفاخر به أوربا والذى كاد يسيطر على أسلوب بناء جميع كنائسها وكاتدرائياتها على مدى ثلاثة قرون ليس الا امتدادا مباشرا للفن العربى الاسلامى الذى اقتبست أوربا أسلوب بنائه وزخرفته من بعض جوانب الفن العربى الاسلامى فى الاندلس ، بعد ان اضافت العلو الشاهق . إن أوربا ، حين اخذت الفلسفة من المسلمين ، جاهدت فى اظهار المصادر الفلسفية الاغريقية الأولى التى استفادت منها الفلسفة الاسلامية ، ذلك بهدف نفي ما للاسلام من فضل على الفلسفة ، فلماذا لا يذكر الغرب اليوم نسب الفن القوطى الى جذوره الاسلامية الواضحة ؟ والجواب على ذلك قد يبدو بسيطا فى ظاهره ، لكنه مذهل فى مدى عمق معناه . إنه بكل بساطة يعني ان أوربا لو جردت من فنها القوطي ، لما بقي لها من فن معمارى يذكر ، تفاخر به ! أى ان خمسمائة عام من الحضارة الصناعية لم تسفر فى النهاية الا عن قبح وبرودة ناطحات السحاب التى لا روح او فن فيها ، والتى تمخضت عنها الحضارة الغربية فى امريكا .

مازالت الجذور

● إن المرء يفهم ان أوربا الناهضة فى القرن الخامس عشر ، أرادت لنفسها حضارة متكاملة غربية لا علاقة لها بالشرق الاسلامى او البيزنطي المسيحي ، الذى ناصبته العداء ، (ولا يخفى على احد انها اضطرت خلال احدى الحملات الصليبية لاحتلال وهدم مدينة القسطنطينية المسيحية التى كان سكانها قد سئموا همجية الأوربيين ، كذلك إن ملك صقلية المسيحي انحاز إلى المسلمين فى بعض الحروب ضد الحملات الصليبية) ، لكن ، لماذا تغيرت معالم الفن الرمزية فى أوربا ؟ وكيف ابتعدت عن الرمز ، واتخذت شكلها الحسى المعروف الذى نشاهده فى اللوحات الكلاسيكية ؟ .

قال : ان الفن الغربى قد استقى من « الميثولوجيا » الاغريقية ، اى الأساطير السالفة فلا غرابة ان سيطرت قيم هذا الفن فى أوروبا عصر النهضة ، على ابداعها ، فتسارع فيها نمو « فن الشكل » ، أو ما نلقبه اليوم « بالفن التشكيلي ، منذ مراحله الكلاسيكية ، وعبر مدارسه الواقعية ، والانطباعية والتجريدية .

إن جميع الحضارات تناولت جميع المخلوقات فى فنها ... نحتت ، او رسمت اشكالها بصورة رمزية ، لكل من هذه الحضارات أسلوبه وطابعه الفني المبدع ... إن السم فى الفن الغربى يكمن فى جذوره ... وبنيانه ، إنه فن يود لنفسه أن يكون ساميا كاملا ، ولا يعرف من طريق للكمال سوى الصورة الطبيعية للانسان ، التى يظنها فوق صفات البشر (....) هنا تكمن عقدة الفن الغربى ، لذلك ركز الفن الغربى جهوده على صورة الانسان ... فما تزعزعت هذه العقيدة ، حتى اهتز بنيان الفن الغربى ، وراح الفنان الغربى يهيم فى البحث عن قيم مجردة شخصية ، لا تعكس سوى بلبلته الفكرية والروحية .

لقد فاضت عبقرية الصنعة عند فناني أوربا على مضمون فنهم الضحل ، فغطت وهنه بالجمال الخارجي ، وسترت فحواه بالصنعة المتقنة ، إلى أن تحررت أوربا من هذه القيود ، قيود الشكل المبالغ فيه للانسان ، لكنها كانت ، حتى القرن التاسع عشر قد فرضت هذه القيم على معظم سكان الأرض ، على انها القيم الاقوى ثباتا ، والاكثر حضارة ، لانها قيم أوربا ، الاقوى عسكريا ، والأكثر تقدما صناعيا .

لقد كانت أوربا الشمالية قد اكتشفت الصلب .... وهل كان لها ان تفعل ذلك لولا ان الحديد والفحم يفيضان من مناجمها ، لقد سيطرت بصناعتها على معظم بقاع الأرض ، وفرضت على سكانها ، إلى جانب الأفيون والاحساس بالمهانة والضعف ، فرضت نظم مؤسساتها ، وجميع مفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية والابداعية .

لاشك ان ما نحن بصدده الآن هو الفن ، وليس محاضرة عن الاستعمار ... لكن هذا الاستعمار السياسي إن زال ، او كاد ان ينحسر عن معظم بقاع عالمنا ، فان جذوره الثقافية مازالت فى أرضنا ، تهيمن على ما لا حصر له من تصرفاتنا الاجتماعية ، وتسيطر تماما ، باسم الحداثة على مفاهيمنا الجمالية والابداعية ... والا فلماذا ينظر شذرا إلى اللباس الشرقي ؟ والفن الشرقى ؟ كانهما من مظاهر التخلف ولا يقبل العديد من مثقفينا الا قواعد الاناقة ، واطر مفاهيم الفن الغربى ، المغرقة فى المرحلية ، والغارقة فى المادية الحسية والمباشرة .

ثم عادت جيوش أوربا الى بلادها ... ونسيت ان تاخذ افكارها معها !

اللوحات المنقولة

وسكت الفنان وليد الحجار قليلا ، ثم استمر فى الاجابة على سؤالى السابق قائلا :

لكن أوربا قد تخلت عن هذه الاطر المحددة فى الفن ، وليس من يعايش ازمتها الحضارية من لا يعرف مدى الضياع الذى تجرى لاهثة فيه ، تبحث لنفسها عن سبل ابداعية حديثة الاصالة ، فلا تجد ... انها

لزمة أوربا الروحية والحضارية . أزمة تقدم صناعي اعمى ، خرب فى الكون اضعاف ما أصلح ...

اما الغريب فى الأمر ، فهو أن يعيش بعضنا أزمة لا علاقة لنا بها ، ولا تفاعل روحى لنا مع مقوماتها المادية البحته ! وان تضيع القيم التراثية عند الكثيرين ، فيصبح الجرى واللهاث ، وحالة الضياع عندهم صنواً ومرادفاً للإبداع الفنى !! كان الفن ليس فناً ان لم يجار فن التائهين فى معارض « نيويورك » و « باريس » .

لسنا ننبه الفنان الفرد ، بقدر ما نحن نخاطب ذوق المثقف ، او الناقد الذى يشجع او يقيد فعالية الفنان ، والذوق العام بأفكاره ، لئن كان بعض الفنانين ، فى معاناتهم الفردية يجارون الحركة الفنية الغربية املا فى خطوة او سعياً وراء غزو اسواق النقد الفنى الغربى ... او طمعاً فى الربح المادى ، فهذا شانهم ! اما ان ينظر المثقف العربى شـــذراً إلى الفن الشرقى (....) لأن أوربا ، فى حماة جهلها وفرديتها لم تكن قد تنبهت بعد الى ما فى هذا الفن من الابداع الفنى ، لأن المثقف تتلمذ على يد المستشرقين والارساليات الغربية الذين ما زالوا إلى اليوم يكنون الحقد الأسود لكل ما هو اسلامى أو عربى . نقول .... اما ان يصبح المثقفون اداة طبيعية طيعة لهذه القيم والتصانيف الواهية ، رغم حسن نواياهم ورغم ان معظم هؤلاء لم تطا اقدامهم عتبة المعاهد الغربية ، فان هذا لأمر محير ، مخجل مشين !!

لقد تعلم الذوق العام عندنا ، عبر اجيال طويلة من السيطرة الثقافية الغربية ، ان لا مفهوم يصلح للشكل أو الحركة فى الفن ، الا المفهوم الطبيعي الغربى ، فقلدنا أوربا فى كره الأسلوب الرمزى الاسيوى الاسلامي الهندى منه والفارسي . وتعلم المثقف منا ، ان ينظر إلى هذا الفن من منظار غربى ، فيرى فى بعد هذا الأسلوب عن الواقع الملموس ضعفاً فى المقدرة الفنية ، أو قصورا فى دراسة الحركة الطبيعية .

وفجاة !! تعرف الفنانون الغربيون على روائع الفن الاسلامى ، الاسيوى منه والعربى . وراحوا يستقون من أسلوبه الرمزى ، ومن حركته التلقائية المدركة ، وينهلون من معنى الوانه الصافيـــــة الحارة !!

لقد صفق مثقفو الغرب فى النهاية لأمثال هؤلاء المجددين ، أمثال « غوغان » و « روسو » و « ماتيي » وكثيرون غيرهم ، فصفق المثقفون عندنا لهم ، اسوة بحركة سوق اسهم الثقافة الغربية !!

لقد تعلم مثقفونا التصفيق للنفحة الآسيوية الاسلامية فى الفن الغربى الجديد ، ورغم ذلك ، فهم مازالوا يعرضون عن فننا الأصيل !! فننا الاسلامى الذى استقى منه كل من « روسو » و « مانيس » هذه الأعمال .

ان لوحات « روسو » تكاد تكون صفحات منقولة عن الفن الاسلامى الهندى !!



فن تجريدى لا يعكس سوى حالة الفوضى الفنية ، وتباع منه الملايين اليوم ، وليس هناك من يجرؤ على القول بانحدار مضمونه الفنى والروحى

التراث يغذى الحداثة

وكان لابد أن أساله عندئذ :

أفهم من جوابك انك ترى ان الحركة الفنية المعاصرة عندنا ، تسير فى اتجاه خاطىء لمجاراتها لما يجرى فى أوربا من مذاهب ومدارس فنية !! وان على الفنان العربى والمسلم أن يقتصر على التراث الشرقى كمحرض على الخلق الفنى ... تماماً كما نهج الفنانون الغربيون فى عصر النهضةحين استقوا من تراث الاغريق الذى صنف بانه غربي لوجود اليونان ضمن حدود القارة الاوروبية - ؟

وقال لى : نحن لا ندعو لعصبية أو اقليمية ثقافية أو ابداعية ، فالحـــدود السياسية والثقافية اليوم لا يمكن لها ان تقف دون تفاعل الاتجاهات الفنية المختلفة فى العالم ... ان أوربا ، حين بدأت نهضتها وارادت لهذه النهضة ان تكون غربية خالصة ... وضعت الفن الاغريقى ، أى المقاييس الاغريقية للانسان الخارق ... نصب اعينها ... وظلت تستقي منه ، بشكل واع مباشر ، حتى افلست هذه المقاييس وانهارت فى بداية القرن العشرين ، فلماذا نحمل نحن مفاهيم تخلى اصحابها عنها منذ قرن من الزمن - ؟ ! لماذا لا نرى ذلك فى الصين واليابان . ومثل اليابان جلي واضح فى مدى تعلق الشعوب الأصيلة بتراثها الفنى والثقافى - ؟ وبرهان ساطع على أن التراث الروحى الأصيل لا يتنافى مع الحداثة ، بل يغذيها ، ويدعمها فى اعطائها اسساً عريقة تميزها عن الحداثة الغربية الصناعية الصرف .

وهكذا تم الحوار مع الفنان وليد الحجار الذى فجر فيه عدة قضايا فنية هامة تستحق منا المناقشة !

نادر اصفهانى - دمشق



المراة فى سيناء تتقن كافة الفنون البدوية الشعبية التى من اهمها صناعة الاكلمة والسجاد المتميز بالالوان الزاهية

سيناء

أرض الأنبياء

التى عبرتها جيوش صلاح الدين والظاهر بيبرس !

بقلم : كمال سعد

كان لسيناء اهمية خاصة لدى المصريين منذ فجر التاريخ ، وكانت جزءا لا يتجزأ من جسد مصر ، وفى اوقات كثيرة كانت مدينة غزة نفسها قلعة امامية لحماية امن مصر .

وقد اطلق على وادى العريش فى التوراة اسم وادى مصر ، وعندما وصل عمرو بن العاص بجيوشه – بعد فتح سوريا – إلى رفح اعتبر نفسه فى ارض مصر ..

وكانت سيناء دائما مصدراً لثروة مصر المعدنية الهامة منذ ايام الاسر المتعاقبة فى مصر القديمة .. وكانت بمثابة مفتاح مصر الشرقى ، فقد عبرتها قوافل التجار وموجات الهجرة العربية القديمة والحديثة ، وجيوش الاسكندر وهى فى طريقها إلى مصر ، وجيوش صلاح الدين اثناء حملتها لطرد الصليبيين من الشام واسترداد بيت المقدس ، وجيوش السلطان قطز والظاهر بيبرس لصد جيوش التتار ، وايضا جيش نابليون ، وجيش الجنرال اللنبى الذى كان مكلفا – من قبل انجلترا – بتصفية النفوذ التركى فى البلاد العربية اثناء الحرب العالمية الاولى !

اهم الآثار

وقد عرف الاقدمون سيناء باسم «توشيت» اى الارض الجدباء ، واختلفوا حول تسميتها ، فقال بعضهم ان اسم سيناء اشتق من اسم جبل ، وقال اخرون ان سيناء تعنى الحجارة ، غير ان اغلب المؤرخين اكدوا ان سيناء او «سينين» كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، ترجع الى «سين» الذى كان يعبده الساميون قبل نزول الاديان السماوية !

وكما نعرف ، كان لسيناء اتصال وثيق بمصر القديمة قبل التاريخ ، عبرتها ايزيس باحثة عن جثمان زوجها اوزوريس ونقب فيها الفراعنة العظام بحثا عن الذهب والنحاس والفيروز وسموها ارض الفيروز ، واقاموا بها الحصون لصد الغارات على حدودها ، ومن آثارهم الباقية حتى اليوم فى شبه الجزيرة ، العيون الكبريتية السبع التى تسمى حمام فرعون والتى يندر وجود مثلها فى هذه الطبيعة الخلابة ، وايضا هيكل (سرابيت الخادم) الذى نجد به كهفا لسيدة سيناء (حتحور) وبه رسم للملك سنفرو الذى عاش فى عام ٢٧٢٠ قبل الميلاد ، وفى وادى المغارة حيث مناجم الفيروز نجد ان الفراعنة سجلوا بعض اعمالهم التى من بينها رسما للملك (سمرخت) من الاسرة الاولى فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وهذا بخلاف وادى المكتب الذى يعتبر من الاودية العجيبة حقا ، حيث تعتبر جوانبه سجلا للهجات وللغات القديمة المختلفة كالنبطية والاغريقية وغيرها ..

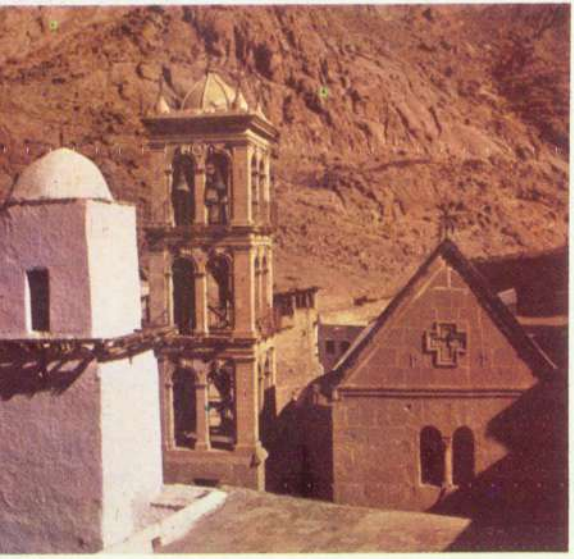
ارض الديانات

وقد جاء ذكر سيناء فى مواضع عدة من القرآن الكريم ، وفى سورة الطور جاء ذكر منطقة الطور بجنوب سيناء ، وفى سورة الاعراف ذكرت عيون موسى وتحدثت الآية عن جبل الطور فى سيناء ..

ولسيناء اهمية دينية لكافة الاديان ،



غابات النخيل فى سيناء من المشاهد التى تظل محفورة فى اعماق الذاكرة



المسجد الفاطمى بجوار دير سانت كاترين



شرم الشيخ .. يتميز ميناؤها بمياهه العميقة جدا

فهى التى اجتازها أبو الأنبياء ابراهيم مع زوجته سارة وهو فى طريقه من أرض كنعان الى مصر ، واجتازها سيدنا يوسف بعد أن التقطه من الجب بعض السيارة وباعوه الى عزيز مصر ، وفيها وقف سيدنا موسى على قمة عالية من جبل الطور ليكلم ربه

وهى ـ كذلك ـ الأرض التى عبرتها السيدة مريم مع ابنها عيسى عليه السلام قاصدة مصر ، هربا من بطش الرومان

وكانت هذه الأرض الطيبة ملاذاً للمسيحيين الأوائل من وحشية اضطهاد الرومان ، ففر بعضهم اليها ووجدوا فى هدوئها مجالا للتامل وفسحة للتفكير وصفاء النفس ..

ومازال دير سانت كاترين الذى تم تشييده من اجل ذكرى الشهيدة كاترين التى عذبت وماتت بالاسكندرية فى القرن الثالث الميلادى يعتبر مقصداً لكل سياح العالم ، فبداخله تحف تقدر بمليونين من الجنيهات وبه مكتبة نفيسة تحوى الاف المخطوطات والمجلدات باللغة اليونانية والسريانية والعربية والحبشية وغيرها ، والوصول الى هذا الدير يمر عبر طريق طويل يبعد ٢٠٤ كيلو متر عن السويس ، لنصل الى (فيران) حيث نجد اخصب واحات سيناء ، إذ ينبثق منها نبع يجرى بين الحدائق والاشجار والنخيل ويحف بها جبل المناجاة ، والى جوار الدير نجد مسجد يقف فى إخوة وتسامح فى نفس المكان ، وهذا المسجد يحوى اثرين هامين احدهما كرسى خشبى نقش على جوانبه بالخط الكوفى ، والآخر منبر فاطمى الطراز ، وكلا الاثرين ينسب الى الامير (انوشتيكين الأمرى) احد اتباع المنصور سابع خلفاء الدولة الفاطمية ، وإن كان الجامع نفسه بنى فى عهد الحاكم بامر الله (٣٦٨ ـ ٤١١ هـ) من واقع المخطوط المحفوظ فى دير سانت كاترين !

نهاية مشروع

وقد كانت كل اراضى سيناء امتداداً جغرافياً وبشرياً لمديرية الشرقية ، الى ان خاضت مصر أول حرب هجومية عليها بعد ١٣ سنة من افتتاح قناة السويس ، وانتهت الحرب باحتلال بريطانيا لمصر فى عام ١٨٨٢ ، واصبح سكان سيناء منذ ذلك التاريخ يخضعون لارادة المخابرات البريطانية حتى عام ١٩٠٦ .

وفى ظل تبعية سيناء مباشرة للمخابرات البريطانية ، جاءت اليها فى عام ١٩٠٢ لجنة « تيودور هرتزل » فى مهمة لمعاينة الساحل الشمالى فى سيناء عقب إذن من اللورد كرومر الحاكم البريطانى فى مصر ، وذلك لاكتشاف امكانية إقامة عدة مستعمرات فى سيناء لتجميع الشعب اليهودى على ارضها ، بهدف اقامة وطن قومى لهم .. ولكن امكانية اقامة تلك المستعمرات لم تتم ، فقد تنبه لها المصريون ، وقاوموها مقاومة شديدة .. وقد ذكر هرتزل فى مذكراته تحت عنوان «نهاية مشروع» كيف ان اللورد كرومر ابلغ «جولد شميث» مندوبه الشخصى معارضة الحكومة المصرية للاهداف التى تقدم بها ، وبذلك انهارت خطة إقامة هذه المستعمرات فى سيناء ، وتراجع الانجليز فى ذلك الوقت واعلنوا انهم لن يسمحوا لليهود باية مشروعات اقامة او استيطان فى الاراضى المصرية !

مؤامرة العزلة

وعقب ذلك بدات انجلترا تخطط لسياسة جديدة لها فى المنطقة ، فنقلت التبعية الى مصلحة اقسام الحدود التى كانت تخضع لاشرافها ، وبذلك عزلت مدن سيناء عن مصر ، ووجدت تبريراً لذلك العزل بقولها ان النظام الجديد ما هو إلا محاولة لتامين سلامة الحدود ومحاربة عمليات التهريب !

وكانت مدن سيناء طوال الفترة السابقة ـ وحتى عام ١٩٤٦ ـ تخضع لاشراف محافظ سيناء الانجليزى ، إلا انهم اضطروا وتحت ازدياد غضب الاهالى وثورتهم على ذلك النظام الى ان يسمحوا لوكيل المحافظة بان يكون مصرياً واعطوا ذلك المنصب للمصريين بصفة دائمة مع وضع قيود تجعل من المنصب حبراً على ورق ، وتجعل للسياسة البريطانية النفوذ الاقوى فى سيناء كلها

ومنذ ذلك الحين فرضوا العزلة على شبه جزيرة سيناء التى تبلغ مساحتها ٢٦ الف ميل مربع ، وتقع بين ذراعى البحر الاحمر ، وتربط وادى النيل بغرب

سيناء
أرض الأنبياء

اسيا ، وتحدها قناة السويس من الغرب والحدود الفلسطينية من الشرق ..

ولم تكن عملية عزل سيناء عن بقية مناطق مصر من قبيل الصدفة ، فقد ادت مؤامرة فرض العزلة الى مرور اهالى وادى النيل بسلسلة من الاجراءات المعقدة إذا ما ارادوا زيارة اية مناطق فى سيناء ، وادى هذا بدوره الى شعور اهالى المنطقة بالغربة والحرمان من اية مشروعات اقتصادية !

اهالى سيناء

ومضت سياسة عزل سيناء بخطة محكمة ، ادت الى تدهور احوال مدن سيناء ومعاناتها من الاهمال وسوء الخدمات بصورة مستمرة ، إلا انه فى السنوات الاخيرة التى سبقت يونيو عام ١٩٦٧ بدا اتجاه جاد لضرورة القيام بطفرة عمرانية واصلاحية تتناسب مع اهمية سيناء التى تنتج ثمانين فى المائة من اجمالى بترول مصر كله ، بخلاف ثروات المنجنيز والحديد والفوسفات والاحجار الكريمة والرمال البيضاء ومصايد الأسماك والبساتين ، وايضا بخلاف مكانتها السياحية ودورها الدفاعى فى حماية مصر كبوابة شرقية !

وكان اهالى سيناء من اكثر المنادين بانهاء عزلة سيناء ، كما كان لهم دور ايجابى عظيم اثناء فترات اشتداد مقاومة الاحتلال الانجليزى فى القناة .. ثم هل ننسى دورهم البطولى عندما قاوموا قوات الاحتلال اثناء عدوانى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ !

لقد قام اهالى سيناء باضرابات عديدة عقب نكسة عام ١٩٦٧ ، عبروا فيها عن تصميمهم على التحرير ، وانضم الكثيرون منهم الى الجمعيات السرية ومنظمات المقاومة التى قامت بعدة عمليات ناجحة فى سيناء اثناء حرب الاستنزاف وسقط منهم فى تلك العمليات شهداء كثيرون ..

وعندما تعود مخيلتى الى الوراء ، فاننى اتذكر ذلك اللقاء الذى تم بينى وبين اهالى سيناء الذين اجبرهم المحتل على الرحيل .. كان ذلك اللقاء فى عام ١٩٧٢ ، ووقتها عدت لاقول :

– إنهم فى القرى التى هاجروا اليها واستوطنوا فيها بصورة مؤقتة ، لاتبارح مخيلتهم لحظة واحدة رمال سيناء .. ونسمات سيناء .. وعادات سيناء ..

إن ارض الآباء والاجداد تعيش فى وجدانهم .. ولهذا فهم يعيشون على صبر ومضض انتظاراً ليوم خلاصها .. يوم ان تتحطم احلام العسكريين والمفكرين الاسرائيليين وعباراتهم التى تطالب باستغلال كل فرصة والبحث عن اى ذريعة لعدم التزحزح من شبه جزيرة سيناء اذا ما ارادوا ان تتحول اسرائيل الى دولة هامة (!!) .

وكان المهاجرون فى قرى مديرية التحرير لا يقيمون وزنا لتصريحات العدو .. ويرون ان اسرائيل تسعى الى المستحيل .. وقد رايت صدى افعال العدو على وجدانهم من خلال اندفاعهم للانخراط فى اى منظمة او اى معسكرات تدريب تفتح امامهم الابواب .. كما اننى كثيراً ما رايتهم يسجلون عبارات – تطالب بالجهاد فى سبيل الله لاسترداد الأرض – على الحيطان وعلى ابواب المنازل .. وايضا كثيراً ما رايت فى ساحات بيوتهم اشعاراً تحمل معانى الامل والمقاومة والاستبسال وعدم الركون الى الياس

وكان من ابرز الاشعار التى ملأت قرى المهجرين وحفظها الاهالى عن ظهر قلب ، هى اشعار محمود سالم الذى يعيش فى معسكر عثمان بن عفان ، والذى ابعدته السلطات الاسرائيلية من سيناء بعد قضائه خمسة اشهر فى سجونها ..

وفى تلك الاشعار كان يتحدث عن الأرض .. وعن فلول العدو وقواته التى تزرع الموت فى كل مكان .. وعن اصرار العرب على المقاومة ووضع حد لنوبة الغرور التى سيطرت على عقول صقور الحرب فاعمتهم !

طرد السكان

وكان من بين من التقيت بهم وقتئذ محمود اليمانى شيخ قبيلة اليمانى فى سيناء الذى حدثنى باعتزاز وفخر عن تاريخ الآباء ووطنيتهم التى قهرت الاستعمار وجعلته لا يجد مكاناً للفتنة او الخيانة بين صفوفهم .. فعندما ذهب إلى سيناء فى عام ١٨٨٢ ، الجاسوس الانجليزى « هنرى بالمر » منتحلا اسم « الشيخ عبد الله » وبصحبته ثلاثة مرافقين احدهم يهودى اسمه « يخور حسون » ، ومعه ٢٠ الف جنيه من الذهب لتوزيعها على شيوخ القبائل حتى لا يساندوا الثائر عرابى ، فان الشيخ المزيف لم يعد من الجنوب ، وقتله سكان سيناء حتى يتاكد الانجليز أن البدوى لا يشترى وانهم لن يخونوا عرابي باى حال من الاحوال !

وانفعل الشيخ محمود وقتها وهو يقول : وقد حارب أهالي سيناء ضد الاستعمار في معارك كثيرة .. ولهذا فانهم لن ييأسوا ولن يتركوا سيناء فريسة سهلة فى قبضة المحتل ، لن يتركوا الأرض التى كانت طريق الرسالات الدينية إلى مصر ، والتي كانت المصح الديني وملجأ المتبتلين في الاديرة والمعابد .. لن يتركوها أبدا فريسة لاسرائيل وخاصة انهم يدركون أن سيناء هي درع مصر وقلبها الفولاذي .. والدليل على ذلك أن القوات الاسرائيلية قامت بناء على أوامر من وزير الدفاع الاسرائيلي بطرد عدة آلاف من البدو من الاراضي التي كانوا يقيمون فيها بالقرب من رفح على الحدود بين سيناء وغزة ، واجتمع ديان برؤساء البدو واقترح عليهم دفع التعويضات وتوطينهم في مناطق اخرى إلا أنهم رفضوا التعويض ورفضوا ايضاً الاقتراح !

كانت تلك هي الصورة التي سجلتها في سبتمبر عام ١٩٧٢ ، عقب لقائي بمجموعة كبيرة من مهجري سيناء ... وهي صورة أكدت الايام مدى ما فيها من صدق واصرار على خوض المعركة واسترداد الأرض ..

فعندما بدأت حرب اكتوبر ، اسرع اهلها يشاركون الابطال في القضاء على الجيوب الاسرائيلية الباقية التي عانوا من قسوة جنودها .. فقد كان جنود الاحتلال لا قلب لهم .. ولا تفرقة عندهم بين الطفل والمرأة والشيخ . وفي البداية واثناء اعلان الاهالي للتمرد والعصيان المدني ، كان جنود العدو يبثون الارهاب في القلوب .. مرة عن طريق تجميع بعض الاهالي أمام الحوائط وحصدهم كما يفعل النازي .. ومرة اخرى عن طريق لهو جنود اسرائيل وتدريبهم على اطلاق الرصاص على رؤوس المواطنين العزل من السلاح !

مدن سيناء

وقبل عام ١٩٦٧ كنت قد زرت مدن سيناء الهامة في مناسبات كثيرة ، وكنت دائماً أتوق إلى العودة اليها ما بين كل حين وآخر ..

فلطالما عشت أياماً في مدينة العريش التي تعتبر من اهم مدن سيناء وتقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تسمى هذه المدينة في الزمن القديم مدينة مقطوعي الأنوف ، واستعمرها نابليون لعام واحد ، ويقال أن الذي انشاها هو الملك الحبشي « اكتيسانز » اثناء غزو الحبشة لسيناء !

ولطالما ذهبت إلى مدينة الطور في موسم الحج وقبل سفر الحجاج ، ورغم أن هذه المدينة فقدت



مازالت العادات الاجتماعية القديمة سائدة بين غالبية سكان سيناء

دورها الهام بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، فقد عادت أهميتها مع اكتشافات البترول في خليج السويس !

وزرت مدينة نخل العاصمة القديمة لسيناء قبل الحرب العالمية الأولى والتي بناها السلطان الغوري ، وعشت أياماً في المدينة الحدودية رفح التي تفصل بين مصر وفلسطين .. وخلال وصولي لهذه المدن وغيرها كثيراً ما كنت اتمتع بقطع طرق سيناء المتعددة شمالا ووسطاً وجنوباً !

غير أنني دائماً أفضل رؤية مدينة القنطرة شرق باستمرار ، فهي أحدث مدن سيناء ، وأكثر المدن التي استوعبت تفاصيل نشأتها ووجدت فيها ما يثير الذهن والعاطفة على حد سواء ..

إن مدينة القنطرة شرق ، التي تبعد عن مدينة الاسماعيلية بحوالي ٣٣ كيلومترا وعن مدينة بورسعيد بحوالي ٤٥ كيلومترا ، بدأ ظهورها – هي والقنطرة غرب – مع التقاء البحر الأبيض والبحر الأحمر في يوم ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ ، وهو اليوم الذي بدأت فيه احتفالات قناة السويس التي أنفق عليها مليون و ٤٠٠ الف جنيه ، في حين بلغت تكاليف حفر القناة نفسها ما يقرب من ١٧ مليون جنيه .

ويذكر التاريخ أن هذه المدينة انطلقت حولها اشاعة في ليلة افتتاح قناة السويس .. كانت الاشاعة تقول أن احتفالات القناة لن تتم ، فهناك صخرة هائلة سدت القناة بالقرب من مدينة القنطرة ، وجعلت من المستحيل على الموكب أن يواصل السير في قناة السويس !

ولم تتوقف الاشاعة عند هذا الحد ، بل انطلقت لتؤكد أن الامبراطورة « أوجينى » عادت بمركبها « الايجل » أى النسر إلى بلدها فرنسا ، وأن الامبراطور جوزيف عاهل النمسا ذهب إلى تريستا ، وأن الأمير فردريك ويلهلم ولى عهد بروسيا والأمير هنرى شقيق ملك هولندا وعقيلته والأمير عبد القادر الجزائرى في طريق العودة إلى بلادهم ، وأن كل ضيوف الخديوى اسماعيل وعددهم ٨ آلاف مدعو سيتركون القصر والذهبيات الواقفة في البحيرات والـ ١٣٠٠ خيمة التي أعدت خصيصاً لتلك المناسبة ، بعد أن اتضح لهم أن الصخرة الكبيرة قد تسببت في تأجيل الاحتفال لأجل غير مسمى !

ولأن المثل يقول « لا يوجد دخان بلا نار » فقد كان للاشاعة مصدر وسبب .. أما مصدرها فقد كان « فرديناند ديلسبس » صاحب فكرة المشروع .. أما السبب فيتلخص في الأوامر التي أصدرها قبل ليلة الافتتاح والتي طالبت الخبراء باجراء مقاييس على مجرى القناة للتأكد من خلوه من أى عائق !

وعندما بدأت عملية الاختبار الأخيرة لمجرى القناة ، صادفتهم صخرة أزالوها في الحال ، ثم قامت سفينتان حربيتان بالسير في المجرى على سبيل التجربة والاطمئنان .. ولكن ما إن وصلت احداهما واسمها « لطيف » إلى مجرى القناة عند القنطرة حتى جنحت وسدته !

وعلى الفور تم احضار الفى جندى من بورسعيد ، استطاعوا أن يجنبوا السفينة بحذاء الساحل الشرقى للقناة ، وليصل الموكب بعد ذلك إلى منطقة القنطرة واضعاً نهاية للاشاعة التى ملأت كل مكان !

وأثناء الحرب العالمية الأولى تحولت مدينة القنطرة شرق إلى قاعدة حربية للانجليز ، وأصبحت منطقة عسكرية من الدرجة الأولى ، وامتدت مساحتها ثمانية أميال داخل الصحراء ، ونشطت تجارياً وحضارياً ، ولكن بانتهاء الحرب عادت إلى عزلتها الأولى بصورة كاملة ، وأصبح أهلها يعانون من الكساد والنشاط المتوقف تقريباً !

أهمية شرم الشيخ

وإذا كانت مدينة القنطرة شرق قد مرت بظروف قاسية مثل بقية مدن سيناء ، فان منطقة شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق رأت ظروفاً أصعب ، فمنذ عام ١٩٦٧ وقادة اسرائيل كانوا يصرحون في كل مناسبة بأن وجودهم في شرم الشيخ ومضايق تيران وصنافير مسألة حياة أوموت ، فقد حاولوا إيهام العالم بأن الأرض التى يحتلونها على سواحل سيناء بما فيها شرم الشيخ تمثل حماية للأمن والاقتصاد العابر فوق مياه البحر الأحمر ، ولكن الحرب الرابعة اسقطت تلك الادعاءات

وللتعرف على جغرافية وطبيعة منطقة شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق فانه لابد من وقفة موجزة نتطلع فيها إلى الساحل الشرقى لشبه جزيرة سيناء ، ذلك الساحل الممتد من « رأس محمد » إلى طول خليج العقبة ، ونحاول أن نبتعد ثمانية أميال من رأس محمد ، لنجتاز في مدخل الخليج ميناء شرم الشيخ ، وهو ميناء صغير ، المياه إلى جواره عميقة جداً ، وتحف بالمياه نفسها جبال صخرية ترتفع إلى ما بين ثلاثة وخمسة الاف قدم ، ولا توجد به مياه صالحة للشرب غير مياه الآبار ..

أما جزيرة تيران فتبعد أربعة أميال عن سيناء وتكاد تغلق مدخل خليج العقبة جغرافيا ويسمونها « حارس خليج العقبة » وهى عبارة عن صخور ممتدة في قاع البحر ، يتراوح طولها بين سبعة وثمانية أميال ولا يزيد عرضها على خمسة أميال ، وأقصى ارتفاع لصخورها يصل إلى ١٦٧٠ قدماً ، ولهذا فقد ظل ارتفاع هذه الصخور يرشد السفن إلى الجزيرة وقت دخولها وخروجها من خليج العقبة ! .

وعلى بعد ميلين شرق جزيرة تيران تقع جزيرة صخرية اسمها « صنافير » وعلى بعد سبعة أميال من امتدادها تقع جزيرة شوشة ذات الصخور الصفراء والحمراء ، ثم جزيرة « يرقان » التى يخيل لنا أنها أكثر من جزيرة صغيرة ، بينما هى فى حقيقة الأمر صخور منفصلة بعضها عن البعض !

وعندما احتلت اسرائيل منطقة شرم الشيخ فى عام ١٩٥٦ قالت انها وضعت يدها على أحد المكانين اللذين تبدأ منهما مشروعاتها فى المنطقة ، ولكن المجتمع الدولى لم يتقبل هذا الكلام وأصدرت الجمعية العامة فى الأمم المتحدة قراراً يقضى بانسحاب اسرائيل من كل الأراضى التى احتلتها بالتواطؤ مع فرنسا وانجلترا .

ولكن اسرائيل عادت إلى عدوانها فى عام ١٩٦٧ واحتلال سيناء بما فيها شرم الشيخ والمضايق ، وذهبت تصريحات حكامها بعدئذ إلى حد القول : « اننا لو تركنا سيناء فلن نتخلى مطلقاً عن المدخل الاستراتيجى لخليج العقبة » .. وفى سبيل تأكيد هذه السياسة أسرعت تقيم المستعمرات فى شرم الشيخ ، وكانت كلما أقامت مشروعاً ولو رمزياً فى المنطقة أقامت حوله ضجة دعائية وكأنها تريد أن تقنع العالم بأن وجودها فى تلك المنطقة قد أصبح أمراً لا نقاش فيه ولا جدال ، فهى تقيم المستعمرات ، وتزرع فى قلبها المواطنين الاسرائيليين

إلا أن الحرب الرابعة أسقطت كل ادعاءات اسرائيل حول شرم الشيخ وما يجاورها من مضايق !

●●●

وهكذا نرى أن الحديث عن سيناء بما فيها من مدن ومعادن وبترول وآثار ورجال عرفهم التاريخ ، يحتاج إلى أكثر من وقفة ، لأنها أرض الأنبياء ، ومعبر القادة العظام ، والصخرة التى تحطمت عليها كل أحلام الغزاة .

كمال سعد

لقطات من الكون المثير



صداقة قديمة !

الصورة فى حد ذاتها قولا تحتاج إلى تعليق ، فطائر « ابى قردان » يمتطى ظهر « السيسى » الذى يحرك ذيله نحو الطائر ، وكانما هو يحاول ابعاده .. هذا هو الظاهر ، لكن الباطن غير ذلك على الاطلاق ، فالسيسى والطائر تجمع نوعيهما صداقة ربما تكون قد عمرت ملايين السنين ، وهى من الصداقات التى نطلق عليها « تبادل المنفعة » .. فالسيسى يهش بذيله الحشرات التى تختبىء فى المراعى التى يعيش عليها فى الطبيعة حراً طليقاً ، وعلى رأسها الذباب القارص ، فيظهر ما اختبأ منها لعينى الطائر ، وعندئذ يسرع اليها ليلتهمها ، وبهذا يخلص صاحبه من مضايقات الحشرات ، وكانما « أبو قردان » بمثابة « مبيد حشرى » حى ، وهنا يكمن السر فى تبادل المنفعة .. فالطائر ياكل دون أن يجهد نفسه فى البحث عن « الطعام » المختفى ، والسيسى يرتاح من المضايقات التى تسببها الحشرات ، وكل سعيد بصاحبه ، ومعتز بصداقته !



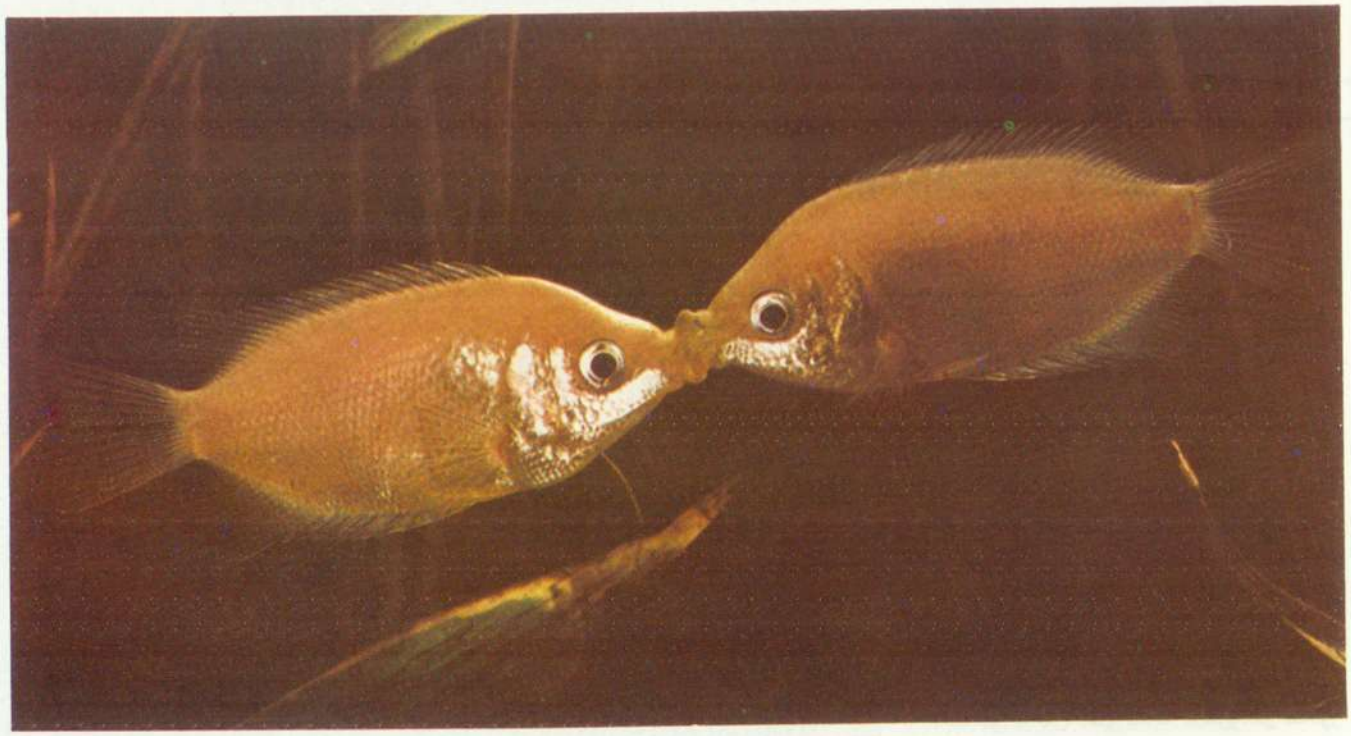
ابق معى يا صديقى !

عندما اقتحم طفل الانسان حمام السباحة الخاص بطفل انسان الغـــاب (الأورانج اوتان) ، وجدها الاخير فرصة سانحة ليرحب بضيفه ، ويقضيان وقتا طيبا لكن طفل الانسان لم يانس لصاحبه ، وطفرت من عينه دمعة ، وعندما هم بالخروج من الحمام ، تشبث به طفل الأورانج اوتان ، وكانما لسان حاله يقول « ابق معى لتؤنس وحدتى فى غربتى » .. ثم الا تلاحظ معنا تعبيرات من الاستعطاف والتوسل على وجه طفل انسان الغاب ، وكانما يعز عليه فراق صاحبه طفل الانسان- ؟! .. بقى ان تعرف ان هذا الطفل ابن لعالمة انثروبولوجى وتدعى د . بيروتى جالديكاس ، وتعمل استاذاً مساعداً بجامعة نيومكسيكو ، ولقد امضت سنين طويلة وهى تدرس سلوك القردة العليا فى الطبيعة ، وفى المعامل ، فكان ان احضرت طفل انسان الغاب رضيعاً ، وانشأته مع صغيرها بمنزلها ، لتدرس دراسة مقارنة بين السلوك الانسانى والحيوانى على مستوى الطفولة ، فكانت هذه اللقطة المعبرة ضمن لقطات أخرى كثيرة .



السيجار أم الرجل

تم عرض هذا السيجار الضخم فى احد المعارض عام ١٩٧٩ ، ويعتبر اضخم سيجار تم صنعه حتى الآن ، اذ يبلغ طوله حوالى ثلاثة أمتار الا الربع (بالتحديد ٢٧٨ سم) ، ومحيطه ٣٢ر٤ سم ، ووزنه ٢٧ر٣ كيلوجراما ، والرجل المستلقى صانع السيجار ، وهو دانمركي ، ويدعى ج . ب . شميدت ، وجدير بالذكر أن هذا السيجار الضخم ليس نموذجاً ، بل يمكن اشعاله وتدخينه ، لكن من ذا الذي يستطيع ان يحمله ويشعله ويسحب منه انفاساً ، دون أن تنقطع انفاسه ؟ .. على اية حال ، فللناس فيما يعشقون مذاهب !



قبلة أم عضة ؟

يطلق الناس على هذا النوع من السمك اسم « الجورامى ذو القبلات » جاءت هذه التسمية نتيجة لعادة متوارثة فى سمك الجوارمى ، اذ يحدث ـ فى اغلب الاحيان ـ ان تتقابل سمكة مع سمكة ، لتتقابل الشفاه بعد ذلك فى حركة اقرب الى القبلات ، ولا يقتصر ذلك على الكبار ، بل يحدث ايضاً بين الكبار والصغار ، ولقد تحير العلماء فى تفسير هذه الظاهرة ، فمنهم من يعتبرها تودداً ، ومنهم من يعللها على انها وسيلة من وسائل الاتصال ، ومنهم من يفتى بانها عضة « على خفيف » اى بدون احداث عاهات تذكر ، وهذا قد يعنى تهديداً ، اذ لا يصح ان تدخل سمكة فى مجال سمكة اخرى .. والأمر بعد ذلك متروك لتقديرك ، لتعتبرها قبلة او عضة او تهديداً ، او كما يتراءى لك !

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

الضمادة الكهربية

لكى يلتئم الجرح فى عشرين دقيقة بدلا من يومين يمكنك استخدام الضمادة الكهربية وهى عبارة عن جهاز كهربى يستخدم الموجات اللاسلكية فى تضميد الجروح .

إذ لاحظ الباحثون أن بعض ترددات هذه الموجات تدفع خلايا الجسم الى تكوين مادة « الكولاجين » وهى مادة بروتينية تدخل فى تكوين الانسجة الضامة .

ولاستخدام هذه الضمادة المبتكرة تثبت اقطاب رقيقة على جانبى الجرح بحيث تتصل هذه الاقطاب بمصدر للموجات ذات الترددات العالية .

المقعد المبرمج

● لقد غزا الميكروكمبيوتر العديد من مجالات الحياة اليومية ومن ثم فلا مجال للدهشة إذا ما زود مقعد المكتب بميكروكمبيوتر صغير . فهذا المقعد الامريكى الصنع صمم لتوفير اكبر قدر من الراحة والشروط الصحية لمن يضطرهم عملهم الى قضاء ساعات طويلة جالسين على المقاعد . ولتحقيق ذلك ثبت تحت ذراع المقعد دائرة الكترونية لرصد افضل وضع يناسب الجالس مثل زاوية الجلوس وارتفاع وميل الظهر .

وتتصل هذه الدائرة الالكترونية بجهاز هيدروليكى غير مرئى يمثل قلب هذا المقعد الصحى حيث يعمل على تغيير زاوية المقعد تبعا لجلسة المدير بحد اقصى اربع درجات .

وتعمل هذه الحركة المستمرة بالرغم من انها غير محسوسة على تفادى الضغوط المتراكمة نتيجة للاستمرار فى وضع الجلوس مدة طويلة وما ينجم عنه من احساس بالارهاق وضعف الدورة الدموية وفقدان العضلات لمرونتها بالاضافة الى آلام الظهر المزمنة .

ولقد اثبتت التجارب التى اجراها متخصصون فى مجال الفسيولوجى فى جامعة كوبنهاجن صلاحية هذا المقعد ، إذ يعتقد هؤلاء الباحثون أن افضل وضع للجسم اثناء الجلوس هو أن يتحرك .

ويتراوح ثمن هذا المقعد العجيب ما بين ٨٠٠ دولار و ١٢٠٠ دولار .

محطة اتوبيس الكترونية



● قد يمثل الميكروباص وسيلة انتقال المستقبل فى مدن الولايات المتحدة والعديد من الدول الاوروبية ولكنها ليست ميكروباصات عادية فهى تستخدم نظام اتصال الكترونى بين الراكب وسائق الحافلة إذ ليس لها خط سير محدد سلفا وانما تحكمها نقطة بداية ومحطة وصول فى اخر الخط المحدد لها .

ومن ثم فلكى يتم ابلاغ السائق بان هناك راكبا ينتظره فى احدى المحطات القائمة فى منطقة تخصصه يوجد جهاز الكترونى يضع فيه الراكب بطاقة مغناطيسية بحيث يرسل الجهاز إشارة لاسلكية لسائقى الميكروباصات تخبرهم بمكان وجود الراكب والجهة التى يريد الوصول اليها . وبناء على هذه الاشارة تصل اليه اقرب سيارة للمحطة التى أرسل منها اشارته بشرط أن تكون متجهة الى نفس الوجهة التى يريدها .

الطاقة من قلب الصخور



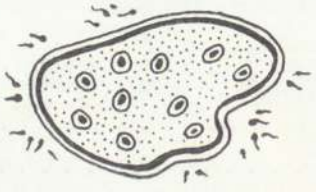
● يواصل العلماء البحث عن مصادر جديدة للطاقة وفى الوقت الذى يذهب البعض بعيدا فى الفضاء فى محاولة لتسخير الطاقة الشمسية يعود البعض الآخر الى الأرض للحصول على الطاقة الحرارية الكافية فى باطنها . فبعد استخدام المياه الجوفية للحصول على طاقة كافية لتدفئة المنازل فى المناطق الباردة توصل العلماء الى طريقة أبسط واضمن للحصول على الطاقة .

فمن المعروف انه كلما تعمقنا فى باطن الارض كلما ارتفعت درجة الحرارة . فعلى عمق عشرات الامتار تزيد الحرارة بمعدل درجة مئوية لكل ثلاثين مترا وذلك بسبب الحرارة الداخلية للب الأرض . لكن الجديد هو محاولة الاستفادة من هذه الحرارة الكامنة فى الاحجار النارية مثل الجرانيت .

ولتحقيق ذلك يتم مد شبكة من الانابيب تمر فيها سوائل بين انفاق ضيقة محفورة فى صخور الجرانيت بحيث تنقل السوائل حرارة الصخر الى سطح الأرض لاستخدامها فى الاغراض المختلفة .

ويجرى حاليا الباحثون الفرنسيون أولى تجاربهم فى هذا المجال وذلك ضمن مشروع متكامل يعتمد على الطاقة المستمدة من القشرة الأرضية .

صيد الميكروبات



● يقدم اليابانيون جهازا جديدا يساعد على تشخيص الأمراض الباطنية المرتبطة بالجهاز الهضمى بدقة بالغة . فهو يتكون من كيس من السليكون حجمه لا يتعدى ربع السيجارة وهو مفتوح عند أحد طرفيه . ويحتوى هذا الكيس على مادة مشعة لتساعد الأطباء على توجيه الجهاز وتتبع مساره .

وعندما يصل الى الأمعاء يبدأ فى جمع الميكروبات والبكتيريا الموجودة فيها حيث يتم تحليلها بعد عودته من رحلته داخل الجهاز الهضمى .

● ● ●

تليفون بدون أسلاك

● تليفون المستقبل سيكون بدون اسلاك فهو سيعتمد على موجات لاسلكية خاصة وعلى الموجات تحت الحمراء ومن ثم يمكنك حمل تليفونك اينما ذهبت والاتصال واستقبال اية مكالمات على رقم تليفونك العادى .

كما سوف يزود تليفون المستقبل بشاشة تلفزيونية تستطيع من خلالها رؤية محدثك ولكن هذا الاتصال المرئى يحتاج الى بعض المعدات : لوحة أزرار لتكوين الرقم المطلوب والتحكم فى العمليات المختلفة مثل فتح الخط والبدء فى الارسال والاستقبال المصور او قطع ارسال الصورة مع الاحتفاظ بالاتصال الهاتفى العادى .

كما تشمل هذه المعدات وحدة طرفية مزودة بشاشة تلفزيونية تستقبل الصور الملونة بالاضافة الى كاميرا فيديو وجهاز للتحكم وربط كل هذه العناصر معا .

● ● ●

وقود من قشر اليوسفندى



● صممت إحدى شركات السيارات اليابانية محركا يعمل بزيت مستخرج من قشر ثمار اليوسفندى . وكانت نتائج التجارب التى اجريت على هذا المحرك مرضية للغاية .

ولقد استخدم فى هذه التجارب نوعان من الوقود ، النوع الاول مستخرج بالكامل من قشر اليوسفندى اليابانى ، أما النوع الثانى فهو خليط من الوقود البترولى وزيت اليوسفندى ، وقام هذا الوقود النباتى بتشغيل محرك سيارة صغيرة او موتوسيكل ودراجة بخارية .

إلا أن انتاج مايساوى لترا من البنزين يحتاج الى عشرة الاف ثمرة يوسفندى !

● ● ●

الأشعة المفترى عليها

● إن أشعة الليزر التى وصفت ظلما بانها أشعة الموت نظرا لطاقتها الضخمة وامكانية استخدامها فى الاسلحة التدميرية والتى أوحت بعدد كبير من الأفكار لكتاب الخيال العلمى فى مجال الحروب الفضائية ، هذه الأشعة المفترى عليها قدمت وتقدم خدمات جليلة للطب والجراحة فبعد نجاح هذه الأشعة فى اجراء أدق العمليات الجراحية فى العين بدأ أطباء الأمراض الجلدية يستخدمونها فى علاج بعض الأمراض المستعصية التى تظهر فى القدمين مثل عين السمكة والصدفية .

ويمتاز العلاج بهذه الأشعة الضوئية القوية بانه علاج جذرى إذ لا تعود هذه الأمراض للظهور مرة أخرى بالاضافة الى أنها لا تسبب أى الم وليست لها أى آثار جانبية على عكس الأشعة السينية .

● ● ● ●

جهاز للتعامل مع جميع الصور !



● إنه جهاز لتحويل الصور السلبية العادية الى صور حية يمكن استقبالها على شاشة تلفزيونية وارسالها فى الوقت نفسه إلى اجهزة استقبال خارجية .

إذ تمسح الأشعة شريط الصورة السلبية لترسلها على الفور على شاشة تلفزيونية فى دائرة مغلقة . كما يستطيع الجهاز ارسال نفس الصورة وفى نفس اللحظة الى اجهزة استقبال أخرى خارج المبنى .

وبامكان الجهاز التعامل مع جميع أنواع الصور : أبيض وأسود وصور ملونة وصور التقطت بواسطة الأشعة تحت الحمراء او صور رادارية . كما يتعامل مع كل مقاسات الافلام ابتداء من ١٦ مليمترا الى ٢٤٢ مليمترا .

ولعل أهم ميزات هذا الجهاز انه بمجرد اسقاط الصورة على الشاشة يستطيع تكبير أى جزء منها ثلاثين مرة وتقريب أى قسم من هذا الجزء المكبر لاظهار تفاصيله . بالاضافة الى ان الجهاز بامكانه ارسال اشارات وتحقيقات مصورة ورسوم بيانية وخرائط .

رؤوف توفيق

جوائز السينما من يستحقها .. وكيف ؟



الممثلة الامريكية « ميريل ستريب » بطلة فيلم « زوجة الملازم الفرنسي »

من أهم الاحداث السينمائية العالمية .. جوائز مسابقة « الاوسكار » الامريكية .. ومهرجان « كان » السينمائي الدولي .

ومع بداية كل عام .. تبدأ التكهنات الفنية ، والترشيحات ، للأفلام الجديرة بدخول سباق الاوسكار .. وما ان تعلن نتيجة هذا السباق مع آخر شهر مارس من كل عام .. حتى تتدفق التحليلات والضجة الاعلامية لمناقشة هذه الأفلام ، وهل تستحق بالفعل « شرف الاوسكار » ؟!!

ولا تنتهي هذه الضجة .. الا بحلول موعد مهرجان « كان » السينمائي في منتصف مايو .. لتبدأ الانظار الفنية تتجه إلى حصيلة أعظم ما انتجته السينما العالمية ، خلال عام وهي تدخل سباقاً كبيراً ومثيراً مدته اسبوعان .. ثم تعلن النتيجة بعد ذلك ، لتفجر من جديد مزيداً من التساؤلات والتحليلات ! .

وهكذا .. تعيش السينما العالمية .. على مدى نصف عام تقريباً .. بين مفاجآت نتائج الاوسكار .. ومفاجآت عروض مهرجان كان ..

أغرب المفاجآت

وربما كانت اغرب مفاجآت جوائز الاوسكار لهذا العام .. في حصول فيلم « عربات النار » على جائزة أحسن فيلم (!!) .. بالرغم من ان نصيبه من الترشيحات كان اقل بكثير من نصيب ثلاثة أفلام أخرى هي : فيلم « حمر » اخراج وارن بيتي ، وكان مرشحاً لاثنتي عشرة جائزة (أكبر نصيب من الترشيحات) .. وفيلم « على البحيرة الذهبية » وكان مرشحاً لعشر جوائز .. وفيلم « غزاة القوس المفقود » وكان مرشحاً لثمان جوائز .. بينما فيلم « عربات النار » رشح لسبع جوائز .. يليه فيلم « مدينة اتلانتيك » ورشح لخمس جوائز .. وايضاً فيلم « زوجة الملازم الفرنسي » فقد رشح لخمس جوائز .

والمعروف أن ترشيحات الجوائز تكون في العناصر الفنية للفيلم .. من اخراج .. وتمثيل وسيناريو وتصوير وموسيقى .. الخ

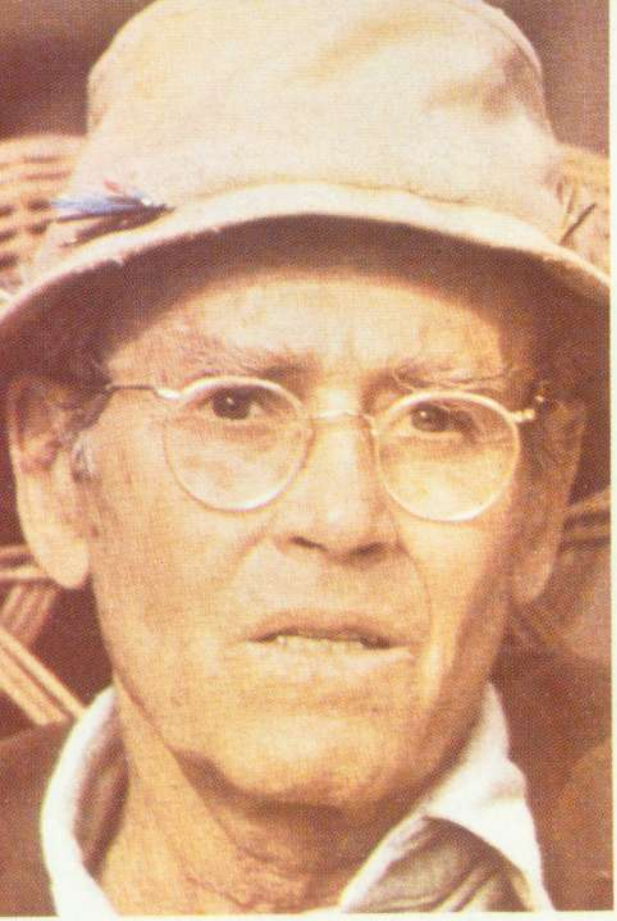
أي أن الحساب « المنطقي » يقول لنا .. إن الفيلم الذي رشحت عناصره الفنية لأكبر عدد من الجوائز .. هو بالقطع أحسن فيلم ..

ولكن حسابات المهرجانات والمسابقات شيء آخر !!



هنري فوندا يتوسط ابنته جين فوندا وزوجته في الفيلم كاترين هيبورن

فهناك عوامل أخرى تتدخل .. لتجعل « المنطق » يتراجع ، لياتي في المرتبة الثانية بينما تتصدر الاعتبارات السياسية والضغوط الاقتصادية والتي تمثل مصالح مؤسسات ومنظمات كبرى .. !



هنرى فوندا .. وجائزة احسن ممثل



جين فوندا .. ابنته فى الواقع وفى الفيلم الفائز



▲ بيرت لانكستر فى فيلم مدينة « اتلانتيك » .

▼ للمثل او الشيطان .. لقطة من فيلم « ميفيستو »



وفيلم « عربات النار » ـ كما تناولته بالتحليل والمناقشة فى عدد سبتمبر ٨١ من الدوحة ـ فيلم يدافع عن العنصرية اليهودية .. ويقوم اساسا على تمجيد اليهود ، والاشادة بكفاحهم ، لتعويض عقدة الاضطهاد التى يعانون منها .. وهكذا يقدم الفيلم ـ بكل الصراحة والوضوح ـ ذلك الشاب الذى يلتحق بجامعة كمبريدج الانجليزية ، والذى يشعر بالنقص لانه يهودى .. فيجند نفسه لانتزاع البطولات فى مسابقات العدو .. وهو يفعل هذا كنوع من التحدى واثبات الوجود .. وهو لا يخفى هدفه .. بل يعلنه فى عبارات صريحة جاءت فى حوار الفيلم .. فهو يقول « اننى ادافع عن نفسى لكونى يهودى » .. « اننى احمل المستقبل معى » .. وهناك هذا الأستاذ بالجامعة والذى يبدى تعاطفه مع هذا الشاب ، فيعلق بكل الاعجاب « ان اليهود هم شعب الله المختار » !

ويصل الفيلم الى نهايته .. وهذا الشاب ينتزع البطولة لانجلترا فى اولمبياد عام ٢٤ بباريس .. ويقدم الانجليزى « هيو هدسون » مشاهد هذا الفوز فى لقطات مثيرة وآخاذة ، مستخدماً كل البراعة

جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟



الممثلة كاترين هيبورن .. وبجوارها المخرج « مارك رايدل » اثناء تصوير فيلم البحيرة الذهبية

التكنيكية فى التصوير البطىء والمونتاج الحساس ، والموسيقى المتدفقة بالمشاعر .. وكان هذا الفوز .. هو فى معناه الحقيقى فوز للقضية اليهودية !

ولاشك أن حصول هذا الفيلم على أهم جائزة فى مسابقة الأوسكار .. وهى جائزة أحسن فيلم .. هو تدعيم لنفس المغزى ، وتاكيد للانتصار اليهودى !

وقد نستطيع أن نفسر فوز هذا الفيلم بهذه الجائزة الهامة .. على أنه نوع من المغازلة وارضاء القوى اليهودية المسيطرة على صناعة الاعلام والفن فى امريكا .. ولكن مهما اختلفت التفسيرات .. الا اننـــا لا نستطيع أن نقول .. إن الجائزة كانت لوجه الفن فقط !!

واعتقد أن الجائزة الوحيـــدة التى يستحقها ـ بالفعل ـ ذلك الفيلم .. هى جائزة الموسيقى والتى الفها ووزعها الموسيقار اليونانى «فانجليس باباثاناسيو»

وقد فاز فيلم عربات النار ايضا بجائزة السيناريو « كولين ويلاند » .. وجائزة الملابس « ميلينا كانونيرى » .

فن السينما الحقيقى

أما إذا اردنا أن نتحدث عن فن السينما الحقيقى ـ بدون تدخلات او ضغوط سياسية او اقتصادية ـ فاننا نجد امامنا فيلم « حمر » للمخرج « وارن بيتى » الذى يقدم على ثلاث ساعات ونصف جزءاً من حياة « جون ريد » الصحفى الامريكى صاحب الكتاب الشهير « عشرة أيام هزت العالم » الذى تناول فيه احداث الثورة الروسية .. وينتقل الفيلم بين مجتمع المثقفين والكتاب فى امريكا .. ووقائع الثورة فى روسيا .. وهذا الجو الزاخر بالأحداث والشخصيات والأفكار والعلاقات العاطفية .



جاك نيكولسون كما يبدو فى لقطة من فيلم « حمر »

وقد فاز الفيلم بجائزة أحسن اخراج .. وتصوير .. وأحسن ممثلة فى دور ثان ..

ويحقق الممثل المخرج « وارن بيتى » الأمنية التى طالما سعى إليها .. فقد رشح من قبل لاوسكار عام ٧٩ .. عندما تقدم بفيلمه (السماء يمكنها الانتظار) الذى شارك فى اخراجه مع « باك هنرى » ولكنه لم يحصل على الجائزة .. فكرر المحاولة بهذا الانتاج الضخم (بلغت تكاليف الفيلم ٢٥ مليون دولار) وتحمل مسئولية الاخراج بمفرده لأول مرة .. ودخل فى مناقشة مع نجوم الاخراج السينمائى .. الفرنسى « لوى مال » مخرج فيلم « مدينة اتلانتيك » الذى تناول موضوع تورط عجوز طيب القلب (لعب الدور بيرت لانكستر) مع عصابة لتهريب وتجارة الهيروبين .. والمخرج الامـريكى « ستيفن سبيلبرج » الذى حطم الارقام القياسية فى الايرادات فى تاريخ السينما الامريكية بفيلمه « غزاة القوس المفقود » .. والمخرج الأمريكى « مارك ريدل » الذى قـدم معزوفة شاعرية عن عالم العجائز فى فيلمه « على البحيرة الذهبية » .

وهكذا يتفوق واحد من أشهر ممثلى امريكا على محترفى الاخراج .. ويحصل على جائزة الاخراج .. ولكنه يتعثر فى الحصول على جائزة أحسن ممثل والتى تذهب إلى « هنرى فوندا » .

أسماء لها تقدير خاص

وعند اسم « هنرى فوندا » نتوقف قليلا .. لنتامل هذه اللحظة الانسانية المؤثرة ، عندما يسعى الفنان طوال عمره ، للحصول على تقدير « الاوسكار » .. ومع الايام الأخيرة من حياته .. تاتى له هذه الجائزة .. فلا يقدر على النهوض من فراش المرض ، للوقوف تحت الأضواء الباهرة لتســـلم الجائزة !! .

وربما لهذا السبب الانسانى .. كانت الأصداء المدوية لفوز « هنرى فوندا » بجائزة أحسن ممثل .. و « كاترين هيبورن » بجائزة أحسن ممثلة عن دوريهما معاً فى فيلم « على البحيرة الذهبية » .

وسبب هذا الفرح ، الذى يبدو واضحاً فى التغطية الاعلامية لحياة كل من هذين الممثلين الكبيرين ، أن جائزة الأوسكار هنا تذهب لمن يستحقها بالفعل !



احدى حفلات الغازى .. فى فيلم « ميفيستو »



المخرج المجرى « استيفان زابو »

وهذه هى المرة الأولى فى حياة هنرى فوندا ـ ٧٧ عاما ـ منها أكثر من نصف قرن من العمل فى السينما .. المرة الأولى التى يحصل فيها على جائزة الأوسكار !

بينما حصلت « كاترين هيبورن » ـ ٥٧ عاما ـ على هذه الجائزة لثلاث مرات .. عام ٣٣ (فيلم الصباح المشرق) ـ عـــام ٦٧ (فيلم خمن من سيأتى للعشاء) ـ عام ٦٨ (فيلم الأسد في الشتاء) .. بالاضافة الى انها رشحت ١١ مرة لنفس الجائزة !!

وهذه هى المرة الأولى التى تجمع فيها السينما الامريكية بين هذين النجمين الكبيرين فى فيلم واحد .. ويبدع « هنرى فوندا » فى دوره .. وكانه يعطى خلاصة خبرته فى الحياة وفى داخل هذا الدور .. حتى ان مجلة « تايم » الامريكية وصفت الفيلم بانه فيلم هنرى فوندا .. وكتبت المجلة تقول : « يبدو ان هنرى فوندا كان عليه ان ينتظر حتى نهاية عمره .. لكى يمثل جزءا من حياته » !

قصة الفيلم

ويحكى فيلم « على البحيرة الذهبية » عن زوجين عجوزين تعودا ان يقضيا عطلة الصيف على ضفاف البحيرة ، يستعيدان فيها ذكرياتهما ، ويجددان مشوارهما للحياة (تم التصوير فى انجلترا) .. وفى هـــذا الكوخ المطل على البحيرة .. ينتقل الفيلم بين مشاعر العجوزين .. وقد عكست عليهما سنوات العمر ، هذا الاحساس بالوحدة واقتراب النهاية .. خصوصا الزوج الذى يفكر دائما فى الموت .. ثم تصل ابنتهما (تلعب الدور جين فوندا) ومعها ابنها الذى يبلغ من العمر ١٣ عاما .. وصديقها الذى تفكر فى الارتباط به .. وترحل الابنة مع صديقها فى رحلة الى اوربا بينما يتركان الابن الصغير ، الذى يخلق جوا من الطفولة والحيوية بين جديه العجوزين .. ويتناول الفيلم فى هذا الجزء ، التناقضـــات فى التفكير والتصرفات بين عالم الاجداد وعالم الاحفاد .. بعد أن قدم فصلا من اختلاف وجهات النظر بين العجوزين وابنتهما التى انفصلت عن زوجها ، وتعيش اهتماماتهـا الخاصة .

وهكذا يضع الفيلم .. الاجيال الثلاثة فى مواجهة بعضها ..

وقصة الفيلم كتبها « ارنست تومبسون » .. وهو مؤلف شاب موهوب ، يصفونه فى امريكا بانه نوع من الكتاب الذين يجيدون التعبير عن مشاعر كبار السن .

وفيلم البحيرة الذهبيـــة ماخوذ عن مسرحية كتبها نفس المؤلف .. وعرضت المسرحية فى برودواى ، وحققت نجاحا ملحوظا .. ولنفس المؤلف مسرحية اخرى ستعرض قريبا فى نيويورك تحت اسم «فالس الجانب الغربى » وستلعب بطولتها كاترين هيبورن ..

وتحكى كاترين هيبورن عن تجربة العمل السينمائى مع هنرى فوندا .. فتصـفه بانه « مثل القطار .. مباشر .. ومحدد .. يعرف طريقه جيدا .. ولا يحب الالتواء » .. وتقول ايضا : « نحن من مدرسة واحدة فى الفن .. تعلمنا فيها احترام المؤلف والمخرج .. وان نؤدى دورنا فى حدود السيناريو المكتوب .. والا نغرق انفسنا فى التعديلات .. لقد تعلمنا ان نعيش دورنا .. وان نؤديه كما يجب .. او نسكت تماما .. وعندما مثلت امام هنرى فوندا .. اكتشفت انه يملك نفس الكيمياء التى تفجر عطر الشخصية ، وروح العمل ككل » .

وهكذا يتكلم الكبار فى الفن .. وهكذا يعملون !

للمراتان اللتان تتنافسان فى حب الممثل .. لقطة من فيلم « ميفيستو »



جوائز السينما من يستحقها .. وكيف؟



لقطات من فيلم « عربات النار » الفائز بجائزة احسن فيلم







عودة العجائز للأضواء

والمثير تماما أن النجاح الجماهيرى لفيلم « على البحيرة الذهبية » أعاد حسابات شركات الانتاج السينمائى .. وبدأوا يقتنعون تماما بأن جماهير المشاهدين تجد حنينا خاصا فى مشاهدة افلام يلعب ادوارها كبار الفنانين سنا .. إنهم هنـــا يستعيدون بعض ذكرياتهم .. وايضا يجدون انفسهم فى موضـــوعات تمس مستقبلهم عندما يتقدم بهم السن !!

وأكدت احصائيات صـــناعة السينما الامريكية .. أن ٤٣٪ من الامريكيين الذين تعودوا أن يذهبوا إلى السينما .. هم الآن فوق سن الـ ٢٩ عاما .. وهكذا نتوقع أن نشاهد موجة من الأفلام التى تنـــاقش موضوعاتها مشاكل ومشاعر كبار السن .

ومن الاخبار السينمائية المؤكدة ان الممثل الامريكى والراقص الشهير « فريد استير » ـ ٨٣ عاما ـ سيعود للشاشة فى نهاية هذا العام !

أحسن فيلم أجنبى

ومن المفاجات الطيبة فى جوائز الاوسكار لهذا العام .. فوز الفيلم المجرى « ميفيستو » بجائزة احسن فيلم اجنبى .

ورغم أن هذا الفيلم ، كان ينافسه الفيلم البولندى الشهير « رجل من حديد » للمخرج « اندريه فايدا » .. والذى يطرح من خلاله الجذور الحقيقية لنشأة نقابة التضامن العمالية فى بولندا .. وظهور « فاليسيا » (راجع مقال السينما فى عدد يناير ٨٢ من الدوحة) .. وايضا كان ينافسه الفيلم الايطالى « الاخوة الثلاثة » للمخـــــرج « فرانشيسكو روزى » والذى يناقش الوضع الحالى فى ايطاليا ، من اضرابات وعنف وأرهاب ، داخل أطار قصة انسانية مليئة بالمشاعر والحب (راجع نفس مقال السينما المشار إليه) .. الا أن فوز الفيلم المجـــرى « ميفيستو » هو انتصار جديد للســـينما الجادة .

فالفيلم يقدم دراسة عن الشيطان فى عصرنا الحالى .. من خلال صعود ممثل مغمور الى أن يصبح اهم ممثل فى المانيا الهتلرية .. وكل الأساليب الجهنمية التى تتبعها هذا الممثل لكى يكون قريبا من السلطة ! واسم الفيلم ماخوذ من شخصية الشيطان فى مسرحية « فاوست » لجوته .. وهى المسرحية التى برع ذلك الممثل فى تادية دوره فيها .. حتى أصبح هو نفسه ذلك الشيطان !

ماذا فعل ذلك الممثل ؟

والفيلم يضعنا فى فترة ظهور وجبروت هتلر فى المانيا .. دون أن يتورط الفيلم فى تكرار مشاهد النازية والحرب .. بل اكتفى بأن يقدم انعكاس النازية على المثقفين وكواليس الفن .. وما كان يدور وراء الأبواب المغلقة .

وبرع المخرج المجرى « ستيفان زابو » فى تعميق هذا الاحساس بالفساد السياسى من خلال رحلة هـــذا الممثـل للارتبـاط بالسلطة .

فهذا الممثل كما قدمه الفيلم .. بدأ كممثل مغمور فى فرقة مسرح هامبورج .. ولأن طموحه بلا حدود .. فقد وجد أن الطريق للنجاح من الممكن أن يكون بزواجه من ابنة هذا الاستاذ اللامع الذى له ارتباطات بالجناح اليسارى فى المانيا .. وفعلا تحقق له ما تمناه .. فقد قفز لأن يكون عضوا بالمسرح القومى فى برلين مع بداية الثلاثينات .. وانتقل من قوة إلى قوة .. وأصبح الضيف المرحب به فى اماكن متنوعة ابتداء من الجناح اليسارى إلى غـــرف الارستقراطية .. وعندما بدأت الحشود النازية .. اكتشف أنه فى مفترق الطرق



وعليه أن يقرر اما ان يتبع عائلة والد زوجته وغالباً سيكون مصيرهم الطرد خارج المانيا .. أو أن يقبل بوضعه الراهن ، وان يتحول الى ممثل غير محبوب نظراً لارتباطاته اليسارية فى السنوات السابقة .. ومرة أخرى تاتى له المساعدة من امراة .. والمراة هنا هى عشيقة الجنرال .. وواحدة من الشخصيات الرئيسية فى النظام النازى ولها اهتمامات خاصة بالمسرح .. ويتقرب منها .. ويبذل كل جهده ليلعب دوره فى مسرحية فاوست امام الجنرال (تعمد المخرج أن يكتفى بهذا اللقب كناية عن هتلر .. وتعمد أيضاً الا يظهره بوجهه أبداً .. وإنما نشعر بوجوده من خلال استقبال الآخرين له) .. ويتحقق للممثل ما سعى إليه .. ويلعب الدور أمام الجنرال .. ويصافحه الجنرال باعجاب شديد .. مطلقاً عليه وصف « رجل من دمـــاء المانيـــة حقيقيه » !

ويشعر الممثل انه بدأ الطريق الصحيح للاقتراب من السلطة .. فيقرر الانفصـال عن زوجته .. والابتعاد عن الراقصة السوداء التى شاركته رحلته الفنية .. وان يضع كل هدفه فى أن يستفيد من السلطة ويستخدم علاقته بالجنرال فى تدعيم مركزه .. ويصبح اكثر قوة .. واكثر وحدة .. حتى تاتى نهايته البشعة !

وقصة الفيلم ماخوذة عن رواية كتبها « كلاوس مان » بنفس العنوان .. وشارك المخرج « استيفان زابو » فى كتابة السيناريو مع « بيتر دوباى » .

ومن الواضح تماماً فى المعـــالجة السينمائية .. أن النموذج الذى يركز عليه الفيلم .. رغم انه فى زمن ومكان محدد .. الا انه يوحى بأساليب الوصولية والتكالب على الارتماء فى احضان السلطة .. طمعاً فى الامان والحماية والنجاح .. وهو أسلوب شائع على مر العصور ..

الفنان والسلطة

حتى أن الممثل النمساوى الأصـــل « كلاوس ماريا براندايور » الذى لعب بطولة الفيلم .. علق فى حوار صحفى حـــول مفهومه للشخصية التى جسدها .. فقـــال « إن المحور الاساسى فى الفيلم .. هو العلاقة بين الفن والسلطة .. بين الفن والسياسة .. وهى مسالة معقدة وحساسة عبر كل الأزمنة .. لأن الفنان يحمل مسئولية نفسه وفنه .. ومن أجل أن يكون قادراً على العمل ، فهو يحتاج لمساعدة .. ويحتاج للنقود .. وفى الأزمنة القديمة تعود الفنان أن يحصل على هذا من رعاة الفن .. وفى هذه الأيام انتقلت الرعاية الى السلطة .. ويبقى الســـؤال : ما هو الثمن المطلوب أن يدفعه الفنان مقابل هذا . ؟ وما هى التنازلات التى يجب أن يتحملها » ؟!

وعن نفس القضية .. علق المخـــــرج « استيفان زابو » حول فلسفته من الفيلم .. فقال .. « هذا الفيلم .. قصة انسان لديه كفاءة ممتازة .. ولكنه يعيد ترتيبهـــا واستغلالها من أجل أن يحصل على لحظة أمان . إن قضيته اليومية أن يجعل الآخرين يقبلونه ، لانه لا يستطيع أن يعيش بدونهم .. انه يمثل طول الوقت ولكل الناس .. ويمضى فى تمثيله بكل المشاعر .. عقله يقظ دائما .. يعرف أن ما يفعله الآن هو خيانة وغدر ولكنه يحول هذه الخيانة الى اسلوب فى الحياة .. إنه لا يثق فى نفسه .. قلق دائما بشان الأمان .. إنه شخصية سيئة .. كاى نظام سيىء .. وكاى مجتمع سيىء .. وأعتقد بلا تردد أن التفكير فى هذه الشخصية وفضحها سيضيء لنا الطريق .. وسيجعلنا نفكر فيما حولنا » .



للممثل الذى استحق جائزة احسن مخرج « وارن بيتى »



لقطة من فيلم « غزاة القوس المفقود »

إننى لا استطيع أن اجد نهاية لهذا المقال .. أبلغ من هذه الكلمات للمخرج المجرى .. وحتى لو طبقنا هذه الرؤية على بعض ما أسفرت عنه جوائز الأوسكار .. لأدركنا حقيقة هذا الخلل فى هذه المسابقة .. أو أى مسابقة أخرى !!

ولننتقل الى مهرجان « كان » السينمائى .. والى الاعداد القادمة .

رءوف توفيق



ضحكات الشهر

صلاح السيسي

TEL وبالعربي هاتف وهتوف وبينهما صلخ



سيده ـ **طالبة** الصحة ... والستر ... هيه رقمهم كم ..؟ !



(ما يطلبه المستمعون)

ـ .. وتحب تسمع ايه ..

ـ .. اسمع ... الكلام .. !!



« اعطال التليفونات »

جراهام بيل مخترع الهواتف ـ يمكن أنا فاكر .. لما اخترعته كان يتكلم .. !!



(خناقات الأسر)

ـ قل للجيران اللى بيزعقوا يزعقوا قوى .. لأن الصوت غير واضح .. !!



سعد باشا قال ما فيش فايده .. لأن الفايده .. ربـا وحرام .. !!



ـ .. آسف .. طلبت « النمرة » ... خطأ .. ! !



ـ .. تفضل .. هاتف لسعادتك .. !!



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حـــاول أن تـعـــرف

(صورة ١)



ملكة شهيرة ورد ذكرها فى القرآن ، حكمت قرابة خمس عشرة سنة قضت معظمها فى حروب مع الحبشة فى الجنوب ، والفرس فى الشمال من أجل الحفاظ على استقلال بلادها ..

من هى هذه الملكة ، وأى البلاد حكمت ؟ ..

صورة (٢)



يوجد هذا المبنى بمدينة امريكية وهو يعد أعلى مبنى فى العالم إذ يبلغ ارتفاعه ٤١٦ متراً ويوجد بقمته برج تليفزيونى ارتفاعه ٧٤ متراً يتم منه الارسال للمحطات التليفزيونية السبع الموجودة بالمدينة ، ويتكون ١٠٢ طابقاً ، وعشرات المصاعد . ما اسم المبنى ، وأين يوجد ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٦





- الدولة هى اليابان .

أسماء الفائزين .

- عبد المحسن عبد القدوس - ج. م. ع .
- نورة عبد الله العرين - السعودية .
- المؤلف هو الجاحظ .

أسماء الفائزين .

- علي عوض الله - الدوحة
- عبد الحميد أحمد - البحرين

تعبيرات لها معنى

● الحظ ... أن تكون فى المكان المناسب فى الوقت المناسب لكى ترى فرصة سانحة .

● الشخص الثابت الأعصاب ... هو الذى يرتكب نفس الغلطة مرتين ، دون أن تنتابه العصبية .

● التحامل ... أن تزن الحقائق وانت تضع أبهامك على الميزان .

● الذكرى ... تركة غير فعلية .

● الضمير ... ذلك الصوت الداخلى الصغير الذى يمنحك الترجيح .

● المتعصب ... انسان لا يستطيع أن يغير رأيه .. ولا يحب أن يغير الموضوع .

● شجرة العائلة : الشجرة الوحيدة التى تحاول فروعها أن تحتمى بجذورها .

● الصمت : اصدق حديث بين الأصدقاء .

● الأمثال : عبارات قصيرة مؤسسة على خبرة طويلة .

● العصبى : الشخص الذى اكتشف سر الحركة الدائمة .

أحمد محمد حماده
ج. م. ع ـ أسيوط

لا فـــــرق !

جاء أعرابى إلى إياس بن معاوية (وكان - قاضياً على البصرة) ، وقال له :

ـ أترى على بأسا ان أكلت تمراً ؟

ـ لا .

ـ أترى على بأسا ان أكلت مخللا ؟

ـ لا .

ـ فان شربت عليهما ماء ؟ ـ جائز .

ـ فلم اذا تحرم السكر وانما هو ما ذكرت لك ؟

فقال له إياس بن معاوية :

ـ لو صببت عليك ماء هل كان يضرك ؟

ـ لا .

ـ ولو نثرت عليك تراباً هل كان يضرك ؟

ـ لا .

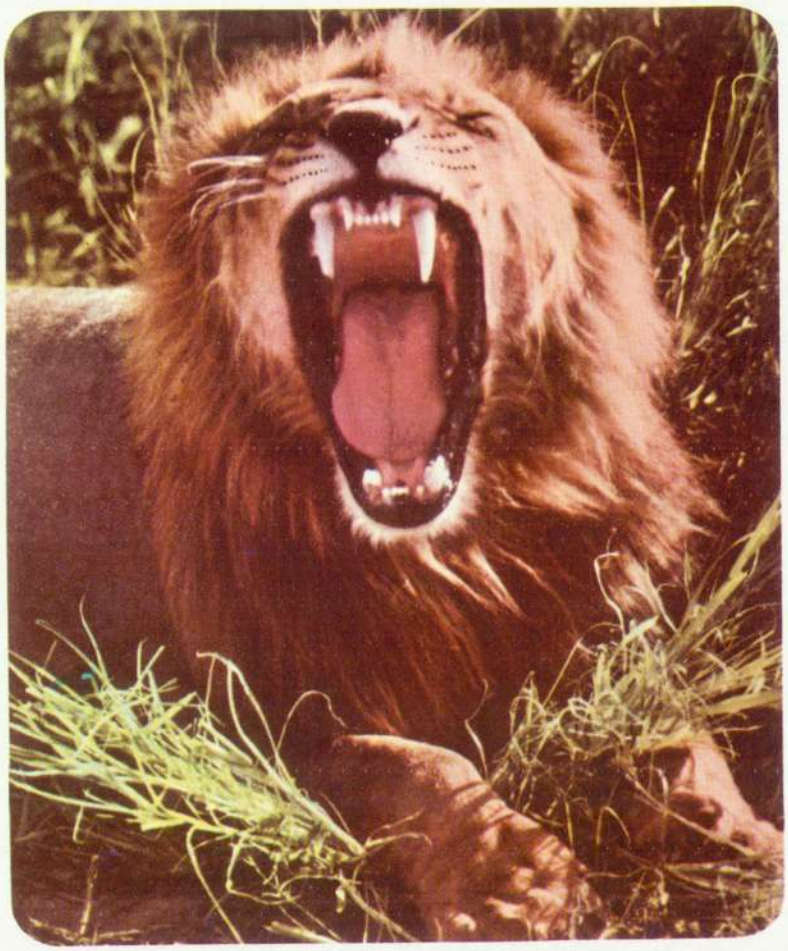
ـ فان أخذت فخلطته وعجنته حتى جعلت منه حجراً فضربت به رأسك ، هل كان يضرك ؟

ـ كنت تقتلنى .

ـ إذا هذا مثل ذاك ...

خالد ابراهيم شهابى ـ دمشق

لقطة الشهر



للنـــوم سـلطـان

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري محمد محسن محمد ـ القاهرة ـ دار السلام

الهـــارب من شـــدّة الخـــوف



يحكى أن ضيفاً نزل على أبى حفصة الشاعر وكان مشهورا ببخله ، فلما رآه يقترب من البيت هرب حتى لا يضطر الى اطعامه وتحمل نفقاته ، فأخذ الضيف يبحث في ثنايا الدار عن شيء يأكله ، ولكنه لم يجد شيئاً، فذهب واشترى بعض الطعام ، ثم عاد الى منزل الشاعر ، وعلق ورقة على الباب كتب فيها !

يـا أيهـا الخـارج مـن بيتـه
وهاربـاً مـن شـدة الخـوف
ضيفـك قـد جـاء بـزاد لـه
فارجـع ، وكن ضيفاً على الضيـف

صالح علي حسين / اليمن

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

زعيم مسلم استطاع أن يشعل روح الجهاد فى وطن عربى دام الاستعمار الصليبى فى أرجائه زهاء قرن ونصف ولكنه هزم واندحر بالايمان الذى أحياه ذلك الزعيم : اسمه من ستة عشر حرفاً فى أربع كلمات :

١٣ ـ ٥ ـ ١ ـ ١٠ ـ ٨ ـ ١٤
خدم السادة . ٤ ـ ٩ ـ ١٥
ـ ١٦ ـ ١٣ ـ ١٢ ـ ٤
٢ ـ ١٣ عاصمة افريقية .
١١ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٦ نقرظ

أين ؟

بلدة ذات تاريخ فى القطر المسلم الذى نشأت فيه حركة ذلك الزعيم المشار اليه أعلاه : اسمها من خمسة أحرف :

٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ نهر ونهر
٤ ـ ١ ـ ٣ البلدة التى نشأ بها سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قبل هجرته الى ـــ سبيل الله .
فلسطين .

ما ؟

ثروة طبيعية هائلة يشتهر بها ذلك القطر الذى حرك ثورته الزعيم المسلم المشار اليه أعلاه : الاسم من خمسة أحرف :

٣ ـ ٥ ـ ١ سار محارباً فى
٢ ـ ٤ نفى وامتناع

الإجابة الصحيحة

(١) وقعت معركة الفيلة بين المصريين والبيوسيين فى رفح سنة : ٢١٧ ق.م ـ ٢١٧ م ـ ٢١٧ هـ

(٢) خرج الانجليز من فلسطين بعد أن مكنوا فيها للصهيونية العالمية لانشاء الدولة اليهودية على انقاض شعب عربى طبقاً لوعد بلفور البريطانى : وكان خروجهم فى ١٥ مايو سنة :
١٩٤٨ ـ ١٩٠٨ ـ ١٩١٨م

(٣) نقول للافعى فحيح ، وللأسد زئير وللحمار نهيق ، وللمقلى :
نشيش ـ ضجيج ـ هزيم

(٤) «وإن ولاة المجد من ال هاشم» اكمل هذا البيت وانسبه الى قائله وفيمن قاله ؟

(٥) ثلاث مواد من المذكورة ادناه تستعمل فى دباغة الجلود :
قشور الرمان ـ عصير المانجو ـ أملاح الكروم ـ أملاح الشب ـ الفوسفور

(٦) «تعيش اضخم انواع الثعابين فى نيوزيلندة»
هل هذه العبارة صحيحة علمية ؟؟

(٧) مؤلف بردة المديح النبوى هو العابد الزاهد الامام :
البوصيرى ـ الشافعى ـ ابن تيمية

(٨) اكتشف العالم الأثرى فلندز بيترى أبجدية سيناء بوادى المكتب سنة :
١٨٠٦ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٣٦م

(٩) مؤلف اوبرا (عايدة) لاطراب خديو مصر الذى اغرقها فى الديون التى ادت الى الاحتلال البريطانى ، هو الموسيقار :
فيردى ـ بتهوفن ـ موتسارت ـ مندلسون .

(١٠) يتخمر اللبن بفعل نوع من :
الطحالب ـ البكتريا ـ الا شن

حل مسابقة العدد ٧٦

من : إيلي كوهين
أين : دمشق .
ما : الموساد .

الاجابة الصحيحة

١ ـ ١١٤ سورة .
٢ ـ العنم ـ الزعفران ـ الحناء .
٣ ـ الفرعونى .
٤ ـ خطا ، لان الفلين قشر شجر ينمو فى شمال افريقيا وآسيا .
٥ ـ الزواحف .
٦ ـ كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لاجىء اليها اللئام ـ المتنبى
٧ ـ الذئب الأغبر .
٨ ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
٩ ـ النيل ـ الدجلة ـ الليطانى ـ شط العرب
١٠ ـ ١٩٦٥ م .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة :
الحل : الأصبع ـ الذقن ـ الأنف ـ الشعر ـ النظارة ـ الرقبة ـ الحاجبين ـ الجبين .
الفائز : عوض محمد أحمد ـ الدوحة ـ قطر .

٢ ـ أقوياء الملاحظة :
الحل : شفرة حلاقة ـ عود ثقاب ـ قلم حبر ـ مثلث ـ طفاية سجاير ـ شماعة ملابس ـ سيجارة .
الفائز : محمود عليان غرايب .
الدمام ـ السعودية .

٣ ـ خيال من :
الحل : عبد الحليم حافظ
الفائز : سنية بسيس ـ تونس .

٤ ـ هات أجمل تعليق :
التعليق : «أنت الآن ترى كل شىء صحيحاً

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : علاء عبد الفتاح غنيم ـ الأسكندرية ـ ج . م . ع

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة
القارئة : عائشة فوزى ظاهر ـ بعلبك ـ لبنان

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة
القارىء : عبد الرزاق الجزار ـ بغداد ـ العراق

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ مصطفى نديم السيد	الامارات العربية
٢ ـ فاتن صلاح الدين عبد العزيز	ج.م.ع
٣ ـ محمد السيد محمد	الكويت
٤ ـ محمد قيداره	تونس
٥ ـ الوافى الحسن	المغرب
٦ ـ محمد رضوان حسين	الامارات العربية
٧ ـ محمد معن مروان مراد	الكويت
٨ ـ موزه علي جمعة	البحرين
٩ ـ أحمد خالد بركات	الامارات العربية
١٠ ـ جاسم راشد محمد	البحرين
١١ ـ حسين عبد الرحمن ابراهيم	ج.م.ع
١٢ ـ محمد محمد كامل عاشور	السعودية

استراحة الدوحة العدد ٧٦

لأن الدنيا ماشية بالمقلوب» .
الفائز : هانى زهير اسماعيل ـ القاهرة .
٥ ـ بالماكياج :
الحل : وردة الجزائرية .
الفائز : عبد الكريم محمد العطر ـ العراق .

٦ ـ لعبة الظلال :
الحل : رقم (٢)
الفائز : خلف حسانين هاشم .
سوهاج ـ ج . م . ع

٧ ـ لوحة لم تتم :
الحل : جورج برنارد شو
الفائز : اسحق آدم اسحق .
الخرطوم ـ السودان .

قرأت ...

فروق لغوية

تعتبر اللغة العربية من أدق اللغات المعروفة فى العالم كله ، وذلك فى تحديدها لمعانى الكلمات .

وإذا كان الأصل فى الألفاظ ان ينفرد كل لفظ بمعناه ، فان هناك كثيراً من الألفاظ التى تتقارب أو تتشابه أو تتداخل معانيها .. وهذه بعض الألفاظ التى توضح لنا هذه الفروق ، وتحدد لكل منها مقامه فى الاستعمال :

ـ المطايب والأطايب : فالمطايب توصف بها اللحوم فيقال : مطايب اللحم ، أما الأطايب فتوصف بها الفاكهة والخضروات الناضجة .

ـ العواصف وهى الرياح المهلكة فى البر ، كما فى قوله تعالى « ولسليمان الريح عاصفة » ـ والقواصف هى الريح المهلكة فى البحر ، بدليل قوله تعالى « فنرسل عليكم قاصفاً من الريح فنغرقكم بما كفرتم » .

ـ المستمع وهو المصغي للجالس للاستماع متفرغاً له تماماً ، والسامع هو العابر الذى يطرأ عليه الكلام فيسمعه دون قصد منه ولا تفرغ له .

ـ الهم يكون بسبب أمر ينتظر ان يحدث مستقبلا والغم يكون بسبب امر حدث فعلا فى الماضى أو مازال يحدث فى الحاضر .

ـ التمنى هو طلب مـايمكن وقوعه أو ما لا يمكن وقوعه ، اما الترجى فهو طلب مـايمكن وقوعه فقط .

ملاك شنودة الاسكندرية



الاستهانة بالخصم

إستطاع د . الكسندر روفيتش الهروب من بلاده ، واستقر به المقام فى فرنسا التى بدأ يمثلها فى بطولة العالم للشطرنج عام ١٩٢٤ حيث فاز على أحد اللاعبين الكوبيين وحصل على بطولة العالم .

وحدث أن جاءه وفد من الفلاحين لتهنئته واختاروا من بينهم رجلا لينازل البطل ، ولكنه استهان به ولعب بتراخ وإهمال ليجد نفسه فى مأزق حاول بعده جاهداً أن يستعين بقدرته على المناورة والمراوغة ليحصل حتى على التعادل ، ولكن دون جدوى ، فقد هزم لأول مرة فى حياته !

وكان درساً أفاده طوال عمره ، إذ أصبح يركز كل تفكيره أثناء المباراة بصرف النظر عن نوعية الفرد الذى أمامه ..

والمعروف أن هذا البطل العالمى لم يفقد البطولة إلا فى عام ١٩٣٤ ، واستردها مرة أخرى عام ١٩٣٦ ، بعد أن درس أسباب تفوق خصمه ، وأخذ يزاول التمارين الذهنية والبدنية التى ادت إلى انتصاره .. ليظل محتفظاً بالبطولة حتى وفاته فى عام ١٩٤٧ !

عبد الرحمن محمد كامل
الدوحة ـ قطر



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: رووف

دوري الكاريكاتير



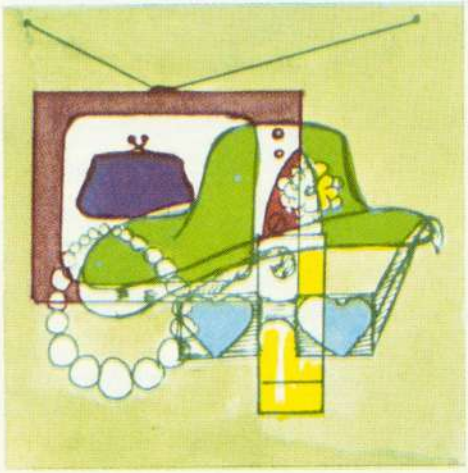
اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ . مسجلا هدف الفوز في المباراة .. هل تستطيع تحديد رقم فانلة الهداف ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



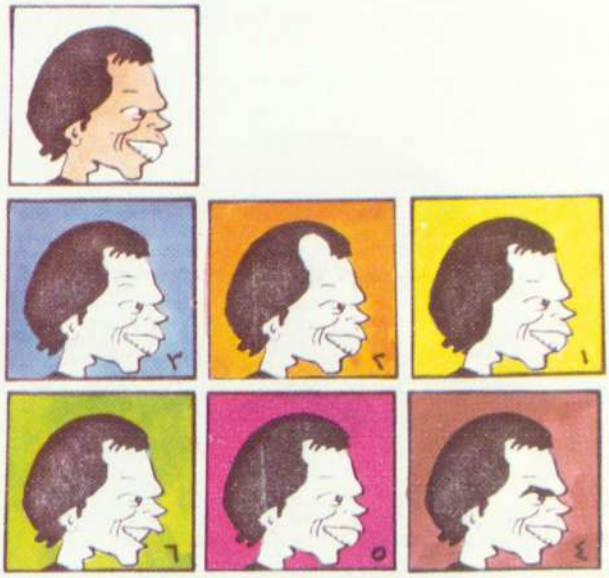
● هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال . ؟ حاول والجائزة (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



● الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الفنان الكوميدى عادل امام .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماماً .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ .. (لك جائزة ٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة لكاتب عربى كبير ترجمت معظم أعماله الى جميع اللغات الحية .. مشكلة اللوحة انها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها .. والتعرف على شخصية هذا الأديب .. ؟ إذا استطعت ذلك لك جائزة (٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا)

لعبة الظلال



● هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

● ليست كرة القدم مجرد رياضة ولكنها سياسة وثقافة وعادات حضارية متنوعة تربط بين الشعوب ● ● قالوا زمان اخترعت الصين : البارود وكرة القـــدم ● ● ● وافق الانجليز على نصف الحقيقة السابقة ورفضوا النصف الثانى لأنهم ـ وحدهم ـ الذين اخترعوا كرة القدم



١٩٨٢ عام كأس العالم لكرة القدم

قصة الكرة مع الناس .. على مر الزمان

بقلم : عادل شريف

في الفترة من ١٣ يونيو حتى ١١ يوليو القادمين .. ستستضيف اربع عشرة مدينة اسبانية «ثانى اعظم مهرجان رياضى فى كوكب الارض» .. وهو بطولة كاس العالم لكرة القدم ..

وكرة القدم هى اللعبة التى جن بها بنو البشر .. فى معظم انحاء العالم الواسع الارجاء .. بل كل الدنيا بعد ان سقطت اخر معاقل «مناهضة كرة القدم» فى الولايات المتحدة واليابان !

وبمناسبة هذا العيد الرياضى الكبير البهيج .. هيا معا نستكشف قصة «الكرة» مع سكان الكرة الأرضية .. وكيف تطور استخدامها .. وكيف أصبحت كرة القدم اللعبة الشعبية الأولى فى العالم .. وكيف أصبح نجومها اكثر شعبية وثراء من نجوم الفنون والآداب والعلوم ؟!

يقول رأى أن سر حب الانسان من قديم الزمان «للكرة» هو كونها مستديرة .. كالشمس !! بينما تقول قفشة تداعب هذا الرأى .. ان الكرة مستديرة .. كالكرة الأرضية التى يسكنها الانسان منذ مطلع الزمان .. ومن ثم جاء ذلك الحب وتلك العلاقة العميقة ! والشىء الثابت الأكيد هو أن الانسان .. سواء كان طفلا صغيرا .. او رجلا كبيرا .. يحب أن يلهو بالأشياء «المستديرة» لأنها تجرى وتستجيب .. وترتد ! ونقش الانسان القديم هذه العلاقة القديمة على الحجر .. وكانما ليؤكدها للاجيال التالية .

وفى مصر الفرعونية ـ مهد الحضارة البشرية ـ نقش المصريون القدماء على جدران مقبرتى الامير «خيتى» والامير «باكت» .. رسوما بالألوان لنسوة يلعبن بكرات مستديرة !

وأكد علماء الآثار أن هذه النقوش تعود الى عام ٢٠٤٠ .. قبل الميلاد !

وأكدوا أيضا أن بلدة «تانيس» الفرعونية (فى شمال شرق الدلتا المصرية) كانت تشتهر بصنع الكرات الجيدة .. وبل أكد بعض المؤرخين المحدثين أن اسم تلك المدينة .. هو الاسم الذى أطلقته أوروبا فى العصور الوسطى على لعبة «التنس» ! ولكن الشىء الذى اجمعوا عليه .. انه رغم انتشار استخدام الكرات فى اللهو واللعب والمرح والترويح .. فان استخدام الأقدام فى ركل الكرات .. كما هو معروف فى كرة القدم الحديثة .. لم يكن معروفا فى سالف الزمان !

الامبراطور .. والكرة !

وقد مرت لعبة كرة القدم الحديثة بسلسلة طويلة من التطورات .. مع مر الأيام وكر الأعوام .. منذ وضع «هوانج ـ تى» امبراطور الصين فى سنة ٢٥٠٠ ق.م . قوانين لعبة اسمها «تسو ـ تشو» . وتعنى كلمة تسو «ركل الكرة بالقدم» .. بينما تعنى كلمة تشو «الكرة المصنوعة من الجلد .. والمحشوة بشعر النساء» !

ومن هنا كانت البداية .. بداية حكاية احب لعبة الى قلوب سكان كوكب الأرض .. لعبة كرة القدم .. صاحبة الشعبية الأولى فى مجال الألعاب الرياضية .. فى كل الكرة الأرضية !

وغارت اليابان جارة الصين .. فمارس اليابانيون لعبة كروية شبيهة بالتسو ـ تشو اسمها «كيمارى» .



جماهير الكرة .. اصبحت اليوم فى كل مكان .. تتابع احداث كافة المباريات وتحفظ اسماء اشهر اللاعبين

ويقول نص بقلم المؤرخ الصينى القديم «لي جو» يتيه به متحف الأجناس البشرية فى ميونيخ .. إن أول مباريات فى لعبة الكرة .. جرت بين الصين واليابان .. وقد اقيمت فى عام ١٠٠ قبل الميلاد !!!

أولم تكن تلك المباريات .. إرهاصا لما جاء بعد ذلك من مباريات دولية تحتدم فيها المنافسة الى حد قيام الحروب .. كما حدث فعلا بين السلفادور وهندوراس فى عام ١٩٦٩ .. بينما كانت ممارسة الكيمارى اليابانية .. تقوم على الاحترام والود والتبجيل وتقديس التقاليد القديمة المهذبة المرعية !

وعن المصريين القدماء نقل الفينيقيون سكان بر الشام القدماء (سواحل سوريا ولبنان وفلسطين الى بلاد الاغريق (اليونان القديمة) ألعاب الكرة .. فانتشرت فى اليونان لعبة اسمها «ايبيسكيروس» .. وعندما ابتلعت الامبراطورية الرومانية فى مرحلة توسعها بلاد الاغريق .. أخذ الرومان عن الاغريق تلك اللعبة وطوروها لتصبح «الهارياستوم» الرومانية .. التى عشقها يوليوس قيصر عشقا مبرحا .. وكان يراهن عليها .. وبل «انتزع» من صديقه سيسيليوس خمسين «تالينا» وهو عملة روما القديمة .. فى إحدى رهاناتهما القديمة !

وانقسم شعراء وفنانو روما حول «الهارياستوم» .. فسخر منها وعارضها فيرجيل وهوراس .. بينما اشاد بها اوفيم وإن نصح النساء بعدم ممارستها .. لخشونتها وعنفها .. وعدم مناسبتها .. لحواء الرقيقة !

ونقل الرومان لعبتهم الى كل انحاء امبراطوريتهم .. بل عبروا بها المانش ونقلوها الى . بريطانيا !

مهد كرة القدم !

تقول عبارة تاريخية شهيرة «لقد اخترعت الصين .. البارود ، وكرة القدم» .

ولكن للانجليز رأيا مخالفا فى هذه العبارة الشهيرة فهم يوافقون على نصفها الأول .. وينكرون نصفها الثانى !! ببساطة لأنهم يؤكدون أنهم هم الذين اخترعوا كرة القدم ! وجددوا .. وطوروا .. ونشروا .. وقننوا .. كرة القدم !!

وهذا صحيح !

صحيح برغم أن مدينة سينى اليوغوسلافية على ساحل دالماشيا .. تفخر بتمثال من القرن الثانى الميلادى لشاب يمسك بكرة مسدسة الأضلاع !

وصحيح .. رغم ان الايطاليين يقيمون مهرجانا سنويا كرويا فى أشهر شوارع مدينة فلورنسا وهو «بيازا ديللا سينيورا» تكريما للعبتهم التى مارسوها فى العصور الوسطى وكان اسمها «الكالشيو» الشبيهة بكرة القدم .. العصرية !

فللتاريخ كانت ممارسة لعبة الكرة فى الصين واليابان والمكسيك وبورما ، بل فى بريطانيا ذاتها .. ممارسة بلا قيود ولا قوانين موحدة معممة .. وكانت ممارستها فيها الكثير من الفوضى والعنف .. الى حد أن الاسكتلنديين لعبوا برؤوس القتلى الانجليز بعد معركة بين الشعبين قبل قيام الوحدة بينهما !! كما لعب الانجليز برؤوس غزاتهم الفايكنج القادمين من اسكندنافيا !!

ومن فرط الخسائر فى شوارع بريطانيا بسبب ممارسة كرة القدم .. اصدر عدد كبير من ملوك وملكات انجلترا اوامر ملكية تحرم ممارسة هذه اللعبة .. وكان عقاب من يقبض عليه متلبسا بممارستها .. يتراوح بين الجلد .. والسجن .. والشنق !

وكان ملوك انجلترا يناشدون الناس الاهتمام بالرماية بالسهام بدلا من ممارسة كرة القدم . وكيف لا تسود الفوضى .. وعدد افراد الفريق كان بلا حدود .. ويصل احيانا الى خمسمائة «مشاغب» ! وكانت المباريات «معارك» وحشية

يجوز فيها كل شيء .. وأى شيء .. لانها كانت لعبة «حرة» .. بلا لوائح أو قوانين أو حكام أو مرمى أو شباك للمرمى أو فترة لعب محددة بوقت .

وورد فى وثيقة تاريخية فى عام ١٨٢٩ هذه المعلومة «بعد مباراة كرة قدم فى داربى شاير .. اضحى من الصعب .. احصاء عدد الفكوك المحطمة والرؤوس المشجوجة .. والسترات الممزقة ..» !

ترويض النمرة !

وقبيل منتصف القرن التاسع عشر .. بدأت فى انجلترا حملات تستهدف ترويض كرة القدم واستئناسها ، وتخليصها من الوحشية والعنف وقد ظهر ذلك الاتجاه فى جامعات وكليات انجلترا الشهيرة ومدارسها العريقة .. واستهدفت الحملة المستنيرة تخليص اللعبة من آثار أخطر منافساتها وهى لعبة «الرجبى» .. وقانون الرجبى يسمح بلمس الكرة باليد وحملها والجرى بها .. وممارسة العنف .. بينما كان عشاق كرة القدم يريدون ممارسة لعبتهم بالأقدام والرؤوس .. فحسب ! واستغرقت عملية الانفصال والاستقلال حوالى نصف قرن من الزمان .. وهى العملية التى حسمها طالب مرح فى جامعة أوكسفورد عام ١٨٦٣ اسمه تشارلز براون .. فقد سأله رفاقه يوماً :

ـ هل ستلعب يا تشارلز معنا اليوم لعبة «الرجر» ؟!

وفى تلقائية داعبهم تشالز قائلا :

ـ لا .. سامارس اليوم لعبة «السوكر» .

و «الرجر» هى لعبة الرجبى بالعامية .. أما «السوكر» .. فهى كرة القدم المعروفة فى الفصحى الانجليزية بـ «الفوتبول» !

وبدأت حركة «ترويض النمرة المتوحشة» بفضل جهود المربى الانجليزى الشهير توماس أرنولد ناظر مدرسة رجبى فى عام ١٨٢٨ الذى طالب فى حملته بنبذ العنف وغرس الحب .. وتوحيد قوانين كرة القدم .. فقد أوصلت الفوضى الحال الى وضع مضحك . فقد كانت لكل مدرسة ومنطقة .. قوانينها الكروية .. الخاصة ! فعلى سبيل المثال كانت فرق بعض الجامعات والمدارس تقضى بتغيير الفريقين المتنافسين لنصف ملعبها بعد إحراز كل هدف ! وكانت رميات التماس ترمى .. بيد واحدة ! وكان طول وعرض الملعب .. حسب المساحة المتاحة .. وكان الحكم مجرد مستشار يجلس فى المدرجات!

وقامت جامعة كيمبريدج بخطوة ثورية .. عندما أصدرت لجنة فى عام ١٨٤٦ «أول»



١٩٨٢ عام كأس العالم لكرة القدم

مجموعة قوانين «مكتوبة» لكرة القدم .. فى محاولة لتوحيد قوانين اللعبة التى جن بها الانجليز .. وخاصة العمال الذين تصاعد عددهم بسبب النهضة الصناعية ..

وفى عام ١٨٦٢ أصدر ادوارد ترينج ناظر مدرسة «أيينجهام» مجموعة قوانين من عشرة بنود أسموها «أكثر الألعاب بساطة» .

أول اتحاد كروى !

وفى يوم الاثنين ٢٦ أكتوبر ١٨٦٣ شهدت احدى قاعات حانة «فريميسون آرمز» بشارع جريت كوين (ومايزال موجوداً فى قلب لندن حتى الآن) اجتماعاً تاريخياً .. وافق فيه ممثلو الجامعات والمدارس والأندية الرياضية على تكوين «أول» اتحاد رسمى لكرة القدم تجاوباً مع شعبية اللعبة المتصاعدة .. ليرعى اللعبة وينميها وينشرها .. ويوحد قانونها ويعممه فى داخل بريطانيا .. وخارجها !

وكان أطرف البنود الجديدة التى اعتمدها الاتحاد الوليد .. منع ركل سيقان المنافسين واسقاطهم على الأرض عن عمد .. كما يحدث فى لعبة الرجبى !

وقاد حملة توحيد قانون كرة القدم وتعميمه الشقيقان جيمس وتشارلز الكوك ، فى حماسة هائلة ، وبلا كلل أو ملل .

وعمل تشالز سكرتيراً لاتحاد الكرة الانجليزى لمدة ربع قرن من الزمان «من عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٩٥» .. ودخل التاريخ من أوسع أبوابه عندما اقترح اقامة «أول» بطولة كرة قدم .. فى تاريخ لعبة كرة القدم .. وهى بطولة كاس انجلترا .. التى بدأت فعلا فى عام ١٨٧١ .. واقيم «أول» نهائى لمسابقة الكاس فى ١٦ مارس ١٨٧٢ .. وحضر ذلك النهائى الفان من عشاق كرة القدم .. دفع كل واحد منهم .. شلناً واحداً .. ليدخل ملعب «أوفال لينينجتون» فى لندن .. أما نهائى كاس العالم ١٩٨٢ فى مدريد فستنقله الاقمار الصناعية الى نصف سكان كوكب الأرض !

لعبة عالمية !

ومن الجزر البريطانية خرجت اللعبة الجديدة بعد تقليم أظافرها وترويضها .. و .. وغزت الدنيا كلها ! فغريزة حب التقليد من ابرز غرائز الانسان .. وكان الناس يقلدون أفراد الجاليات والحاميات الانجليزية .. ورجال الأعمال والبحارة الانجليز الذين كانوا يمارسون كرة القدم فى أى مكان يقصدونه .. فى كوكب الأرض !

وكانت الامبراطورية البريطانية واسعة الأطراف ولا تغرب عنها الشمس .. وموجودة فى قارات العالم الخمس .. وأخذت الناس تقلد ما يفعله الانجليز فى كل أرجاء الدنيا بقطعة من الجلد يملأها الهواء !

وهكذا عرفت الدنيا كرة القدم بعد تطويرها وتقنينها ! وماتزال بعض أندية أمريكا اللاتينية تحمل أسماء انجليزية منذ ذلك التاريخ حتى الآن !

وساعد على انتشار اللعبة .. أنها لعبة بسيطة .. كل ما تحتاجه قطعة من الأرض الفضاء .. وقطعة من الجلد يملأها الهواء .. وأناس لديهم وقت فراغ ، ويبغون اللهو واللعب والترويح ! فهى لعبة «رخيصة التكاليف» .

واتسع مجال النشاط الكروى المحلى .. ونظم الانجليز أول مسابقة لدورى كرة القدم فى الثامن من سبتمبر عام ١٨٨٨ .. ومن ثم ظهرت هموم «النفط» و «التعصب» للأندية . وبعد ذلك جاءت مرحلة من أهم مراحل تطوير اللعبة .. وهى الاعتراف بالاحتراف فى عام ١٨٨٥ .. وأصبحت ممارسة كرة القدم وظيفة ومهنة وحرفة ! وتحول المحترف الى نجم محبوب يفوق نجوم الأدب والفن .. شهرة وثراء ! وواكب النشاط المحلى انطلاقة أوسع أفاقاً .. وهى البطولات الدولية التى بدأت بمباراة بين اسكتلندا وانجلترا فى عام ١٨٧٢ بمدينة جلاسجو ..

ومع تصاعد النشاط الدولى استمر تطوير وتعديل قانون اللعبة .. من أجل الأفضل والأحسن .. الى حد أن بيليه «ملك كرة القدم» أسماها فيما بعد «اللعبة الجميلة» !

ثم جاءت المرحلة الأهم .. وهى مرحلة تكوين هيئة دولية تشرف على اللعبة فى العالم كله ، بعد أن انتشرت حمى كرة القدم فى معظم أنحاء العالم الواسع الأرجاء .. وبعد أن كونت دول كثيرة اتحادات قومية لكرة القدم للاشراف على

اللعبة .. ورعايتها محلياً .

وفى يوم ٢١ مايو عام ١٩٠٤ شهد «الفيفا» النور فى «مدينة النور» !

و «الفيفا» هو الاتحاد الدولى لكرة القدم .. و «مدينة النور» هى العاصمة الفرنسية .. باريس طبعاً !

وقبل تكوين «الفيفا» بعامين قدم الكونت البلجيكى فان در ستراتين يوتوى «أول» اقتراح بتنظيم «بطولة عالمية» لكرة القدم .. وسانده فيما بعد المليونير الهولندى كورنيليوس هيرشمان الذى أصبح فيما بعد سكرتيراً عاماً للفيفا .. وكذلك الفرنسى هنرى جيران رئيس الاتحاد العام الرياضى الفرنسى .

ومع الفكرة الخلاقة المبتكرة الوليدة .. جاءت المعارضة الشديدة العنيدة .. وعلى رأسها انجلترا «مهد كرة القدم» ! لأن أبرز صفات الانجليز هو «الشك فى كل ما يجرى خارج الجزر البريطانية .. وتقبله فى حذر وتحفظ شديدين»!

فقد غار الانجليز من مبادرة «الأجانب» الى تكوين الفيفا «فرنسا وبلجيكا والدنمرك والسويد وهولندا واسبانيا وسويسرا» .. وغاروا من مجرد تفكير «الأجانب» فى تنظيم بطولة عالمية

والغريب أن الانجليز لم يشتركوا فى بطولة كأس العالم إلا فى عام ١٩٥٠ .. أى بعد بدء البطولة .. بعشرين عاماً !

وللدلالة على شعبية اللعبة .. فقد تصاعد عدد الدول الأعضاء فى «الفيفا» من سبع دول فى عام ١٩٠٤ الى مائة وست وأربعين دولة فى عام ١٩٧٧ !

وانطلاقاً من هذه الشعبية المتصاعدة النمو .. ودعماً للألعاب الأوليمبية الحديثة التى أحياها البارون الفرنسى بيير دى كوبيرتان عام ١٨٩٦ .. أضافوا كرة القدم الى البرنامج الرياضى الأوليمبى منذ دورة لندن الأوليمبية عام ١٩٠٨ .

ولكن فلسفة الألعاب الأوليمبية تقوم على أنه ليس للرياضة سوى حبيب واحد فقط .. وهو اللاعب «الهاوى» وليس «المحترف» !

وكان معنى ذلك حرمان «المحترفين» من الاشتراك فى الألعاب الأوليمبية رغم أنهم أبرع من «الهواة» وأمهر .. ولهم شعبية أكثر ! وكان ذلك الحرمان من أمضى أسلحة المحامى الفرنسى النحيل النبيل جول ريميه فى كفاحه المرير والطويل .. من أجل تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم ، التى لا تفرق بين الهواة والمحترفين .. والمفتوحة للفئتين .. أى للجميع !

ورغم أن جول ريميه كان رئيساً للاتحاد الفرنسى لكرة القدم و «للفيفا» أيضاً «منذ عام ١٩٢٠» فقد سار على طريق من الأشواك من أجل تحقيق حلمه الكبير .. تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم !

صدفة .. عجيبة !

وعلى بطولة كأس العالم لكرة القدم يطلقون «ثانى أعظم مهرجان رياضى بعد الألعاب الأوليمبية .. فى كوكب الأرض» ! من أجل الحصول على موافقة «الفيفا» لبدء تنظيم هذا العيد الرياضى الكبير .. داخ جول ريميه السبع دوخات على مدى عشرة أعوام برغم تأييد صديقه الوفى هنرى ديلونى (سكرتير عام الاتحاد الفرنسى لكرة القدم) .

ولكن .. «من سار على الدرب وصل» ! وواصل جول ريميه ورفيق عمره مداومة الطرق بقوة واصرار حتى انهارت ما وضعته المعارضة من صعاب وأسوار ! وهكذا جاء النصر بعد الصبر .. بعد عشر سنوات من الكفاح والجهاد من أجل الحصول على موافقة «الفيفا» لبدء بطولة كأس العالم !

ولكن بعد الموافقة ظهر مطبٌ طريف : أين هى الدولة التى توافق على استضافة أولى بطولات كأس العالم ؟! ورشحت عوامل كثيرة .. دولة صغيرة اسمها «أوروجواى» !

● فتكريماً لعيد استقلالها المئوى عن اسبانيا فى عام ١٩٣٠ ..

● وتكريماً لفوزها بمسابقة كرة القدم الأوليمبية «أى بطولة العالم للهواة» مرتين متتاليتين فى عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ .. وقع الاختيار على أوروجواى لتنظم أولى بطولات كأس العالم .

ولكن أوروبا كانت تغار من أمريكا اللاتينية .. تلك القوة الكروية الصاعدة الواعدة .. المتوعدة !

واعتذرت كثير من الدول (وخاصة الأوروبية) عن عدم تلبية دعوة أوروجواى ـ وبالتالى عدم الاشتراك فى أولى بطولات كأس العالم ـ بسبب بعد المسافة وما تستغرقه رحلة السفينة من وقت وتعب .. وارتفاع نفقات ارسال الفرق القومية الكروية الى أوروجواى .. البعيدة !

وواجه جول ريميه مهمة صعبة ..وهى مهمة اقناع أوروجواى الصغيرة المتواضعة الموارد .. بتحمل نفقات سفر واقامة «كل» الضيوف !

وكانت الأيام تمر .. وموعد أولى بطولات كأس العالم يقترب .. وعدد الضيوف يتقلص .. وتبريرات الانسحاب أو عدم الاستجابة يتزايد !

واشتدى أزمة تنفرجى !

ففى احدى مقاصف جنيف الشهيرة كان جول ريميه يضع يده على خده وقد راح فى تفكير عميق ، ونسي تناول قهوته حتى بردت .. عندما ربت على كتفه صديق قديم .. وهو الديبلوماسى الأوروجوالي الدكتور «أنريك بيرو» الذى كان فى زيارة خاطفة لجنيف ، والذى كان مثل جول ريميه .. يعشق كرة القدم عشقاً مبرحاً !

وقص جول على صديقه قصة عقبة التمويل التى تجعل تحقيق حلمهما المشترك أمراً شبه مستحيل ! ووعد أنريك صديقه ببذل كل مساعيه الجيدة لدى مسئولى اتحاد أوروجواى لكرة القدم لاقناعهم بتحمل نفقات سفر واقامة الفرق المستضافة . وأوفى أنريك بوعده ونجح فى مهمته الصعبة بديبلوماسيته البارعة ولباقته الماهرة . وفى «كرم عربى حاتمى» ، وجهت أوروجواى الصغيرة ذات الموارد القليلة ..

الدعوة الى جميع الفرق القومية الكروية فى قارات العالم الخمس للاشتراك فى أولى بطولات كأس العالم الذهبية .

ومع ذلك لم تستجب للدعوة سوى إحدى عشرة دولة .

الجزائر والكويت

وبدأت القافلة مسيرتها .. واحتلت بطولة كأس العالم لكرة القدم مكانة سامية فى دنيا الرياضة ، الى حد أن عدد الدول التى اشتركت فى تصفيات بطولة كأس العالم عام ١٩٨٢ وصل الى مائة وستة دول ! ووصلت منهما دولتان عربيتان الى الأدوار النهائية التى يبلغ ٢٤ دولة وهما الجزائر والكويت .. وهذه هى أول مرة فى تاريخ كأس العالم تصل فيه دولتان عربيتان الى الأدوار النهائية للبطولة . وكانت مصر فى بطولة ١٩٣٤ هى أول بلد عربى يدخل النهائيات وحققت المغرب نفس الانجاز فى بطولة ١٩٧٠ .. وكذلك تونس فى بطولة ١٩٧٨ .

وهذه هى أول مرة أيضاً يصل فيها عدد الدول المشتركة فى النهائيات الى ٢٤ دولة بدلا من ١٦ دولة حسب التقاليد القديمة .. ولذلك فان اسبانيا مضيفة بطولة ١٩٨٢ .. ستواجه مهمة شاقة وصعبة .. ويكفى أن عدد مباريات النهائيات ارتفع من ٣٨ مباراة الى ٥٢ مباراة .. ستقام على ١٧ ملعباً فى ١٤ مدينة .. وأن عدد رجال مهنة البحث عن المتاعب ـ أى الاعلام ! ـ سيرتفع فى اسبانيا الى رقم قياسى بلا مثيل .. وهو سبعة آلاف وخمسمائة اعلامى واعلامية ! ليقوموا بتغطية أحداث «اللعبة الجميلة» و «أبسط الألعاب» .. وإن كانت كرة القدم مستديرة .. وذات نتائج مثيرة .. وأحياناً مريرة! فهكذا جُنت الدنيا .. بقطعة من الجلد يملأها الهواء !

«عادل شريف»



قنديل قافلة الليل..

إلى صلاح عبد الصبور

شعر: د. أنس داود

أريد مكاناً على البحـــر
تهدأ فيـــه الرياح ، وتغفو العواصف
لأرســـم طيفك فوق المســـاء
وأوقظ جرحك :
كيف انفلت خفيفاً
ذهبت بعيداً
وخلفت دفء العواطف
وألف صديق يضمك فى حبة القلب ،
يفديك ..
لو يفتدى الشـــاعر العذب ،
من كان أحنى من الظل ،
أندى من الطل ،
أرهف من نسمات الخريف
ومازال ينبض بين الجوانح
كيف اكتملت مثـــالا فريداً
وكيف تصالح فيك التواضع والكبرياء
وكيف التقى وهج العبقرى بتلك العذوبة ،
كيف تمازج فى ضوء عينيك
حزن النفوس الكبار ، مراح الطفولة ،
عفوية البسطاء
أأنت ؟
ـ أكاد أكذب ظنى فى لحظات اللقاء
وأنت كمروحة الياسمين
تخبىء همك بين الضلوع ،
وتأسو جراح رفاقك .. عبر السنين
أأنت ؟
الصديق الـــوفى ؟
أم الشـــاعر الفذ ؟
أم رقرقات الحنين ؟
أم انت بهذا الزمان الغريب
تمثل معنى « البراءة »
يصغر حولك كل الرجال ، وتكبر فيك « البساطة »
يغدو « النقاء » طبيعة قلبك ، أسلوب يومك
منح العبير ، ومنح الضياء
إذن أنت « حقل » من الياسمين
إذن أنت « قنديل » قافلة الليل ،
« واحـــة » جيل من المتعبين
فكيف نخوض الهجير بدونك
نهزم زحف الرمال
ونهزم عقم الرجال
وكيف نراها بدونك
« قاهرة » الصيف
أو أمسيات الشتاء
« بدونك »
ما أتعس القلب حين يقول : « بدونك »
ليس هنالك معنى للفظ « صديق »
بدونك ، لفظ « إخاء » ولفظ « عطاء » ..
ولفظ « البراءة » و « الحب » و « النبل »
و « الكبرياء » ..

* * *

أريد مكاناً على البحـــر
تهدأ فيـــه الرياح ،
وتغفو العواصف
لأرسم طيفك فوق المساء

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جدّ أبيك

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزى



عزيزى القارىء ..

يكاد هذا العدد من « دوحة الماضى » يكون عدداً خاصاً بالأسرة ، وهو يطرح قضايا قديمة ، ولكنها جديدة ، تاريخية لكنها معاصره ..

فمنذ قرن كامل كانت قضية تثقيف المراة مطروحة ، وكانوا يعلمون أن القضية ليست مجرد التعليم ، فالثقافة شىء مختلف عن معرفة القراءة والكتـــابة وحفظ بعض النصوص ، وهى قضية تطرحها قارئة سورية مجهولة فى رسالة مفتوحة كتبتها لصديقة لها ونشرتها المقتطف !

منذ قرن كامل كانت الدوريات الثقافية تهتم بديكور المنزل ، وتعتبره دليلا على شخصية صاحبه ، وتطرح افكارها حول تنسيقه وترتيبه ..

« المحرر »

العـــدد العاشـــر - يونيـو/حزيـــران ١٩٨٢

اعترافات فتاة مثقفة منذ قرن

تعلمت الفرنساوية والانكليزية ولكنى لم أقرأ بهما بل تزينت البنات المتعلمات لا تزدن عن أجهل « بنات العصر فى علمهن بأحواله وسياساته »

« جاءتنا الرسالة الآتية وهى رسالة بعثتها صبية من الصبايا المهذبات لرفيقة لها اثناء المباحث التى جرت فى مسألة المرأة على ما يظهر فادرجناها لبيان فضل صاحبتها المجهولة عندنا ولتعلم فوائد البحث ويرى أهل سورية ان بناتهم لسن دون ابنائهم فى طيب الجبلة وسمو الهمة والأنفة من عار الجهل والكسل .

حضرة صديقتى المخلصة ..

« ... اعرض انك ولابد قد اطلعت على ما جاء فى هذه الأيام من البحث والمحاورة فى موضوع يتعلق بى وبك وبمن كان مثلنا اكثر مما يتعلق بغيرنا وهو النساء وارتقاؤهن فى الهيئة الاجتماعية والمراتب العقلية ومنزلتهن فى العيال وفائدتهن فى الجيل الحاضر . وقد بلغك ولا ريب ما قيل فينا من انا نغتذى بالبان المعارف ولا ننمو ونروى بماء الآداب ولا ننضر وانا ولو مهما تيسرت لنا الوسائط وتوفرت اسباب التهذيب نبقى دون الرجال إما لاهمال منا أو لنقص فى جبلتنا الى غير ذلك مما انفتحت عليه عيون ابناء البلاد فى هذا الزمان وحان للوطن أن يدعونا اليه على ما يزعمون أو كما ينبغى ان يكون . هذا واعترف لك ايتها الصديقة المخلصة اني كثيراً ما رددت مثل هذه الأقوال فى ذهنى ووددت لو فتحت لي عوائد هذا الجيل باب المناقشة فاناقش عن بنات جنسى جهاراً واحثهن على العلم والأدب والتمدن والتهذيب ولو كنت دون ذلك قوة واقتداراً . على اني لما رأيت ما نحن عليه من القصور وما تهافتنا اليه من دنايا الأمور كالملبس والزينة بدلا من التحلى بجواهر التمدن العلم والأدب عدلت عن المجاهرة فى المحاورة ووجهت قلمى نحو رفيقاتى من بنات جنسى اكاتبهن ويكاتبننى لنرى ان كنا نلام عدلا فنصلح ما نلام عليه ونتبع من الفضائل ما نلهم اليه .

لا يخفاك ايتها الودودة ان وسائطنا فى العلم والتهذيب لا تقل عن وسائط اخوتنا الرجال ولكنك تقرين معى اننا لا نحصل منها ما يحصلون من الفوائد ولا نسعى كما يسعون لمد المعرفة من فرد إلى فرد حتى نزداد قوة على قوة فى ارتقاء سلم الكمالات ولطالما سمعنا من اخوتنا الذين يعاشرون ذوي الطبقات العليا فى العلم والأدب واللطف والتهذيب فى الهيئة الاجتماعية انهم لا يلذون بمعشرنا ولا يثقون فى انفسهم بالاعتماد علينا كما يعتمد أحدهم على الآخر . هذا وانت تعلمين ان اخوتى يحبونني محبة فائقة ويقدمون لى من الاعتبار ما لا يحق لي مطالبتهم ولكنى اشعر من نفسي انى لا أعيش ضمن الدائرة التى يعيشون هم فيها سواء كان فى الافكار أو فى الحاسات . وذلك يشق على جداً ولكنى لا افتكر فيه الا وأجد اني انا الملامة اذ لم اجد كما يجب لابلغ درجتهم واعاشرهم كاننى واحدة منهم مع اني قد قضيت فى المدارس ما قضوا هم من الزمان وكلفت والدى من النفقة والمشقة على تهذيبي ما كلفهما كل منهم . ولعل حبك يحملك على تبرئتي من الكسل والقصور لانك كثيراً ما تمدحين اجتهادى فاقول نعم انى عنيت بدرس ما تعتني بنات جنسي بدرسه فاحسنت التكلم باللغة الفرنساوية واللغة الانكليزية ولكني اقتصرت على ذلك ولم امد يدى لالتقاط جوهرة من الجواهر العديدة المدفونة عني فى كنزى تينك اللغتين . وكلانا نقر انا نجهل اكثر العلوم ان لم نقل كلها وانا فى البحث عن مسائل هذا العصر والوقوف على حوادث هذه الأيام من عملية وسياسية وغيرها لا نزيد رغبة واجتهاداً عن أجهل بنات هذا العصر واقلهن تهذيباً واننا لا نعي الا اقل القليل من المعارف العامة التى هى فى احاديث الهيئة الاجتماعية كالملح والافاويه فى الطعام . ولذلك ترياننا اذا حضرنا محفلا لا نتكلم الا بملابس هذه وزينة تلك واعمالها بالابرة والصنارة وما شاكل فان لم يفتح لنا باب للحديث فيها أو فيما شابهها نلزم الصمت ونقضى الوقت فى التثاوب وفرك العيون حتى يمل الحاضرون والحاضرات من مجالستنا ويودوا لو تمكنوا من مفارقتنا .

انت تعرفين ان ... الافرنجية لا تزيد عنا سنا ولا تيسرت لها اسباب العلم اكثر مما تيسرت لنا ولا هى ابرع منا (ان لم اقل إنها دوننا) فيما تعلمناه معا فى المدرسة ومع ذلك فقد حضرنا كلانا معا فى محفل منذ مدة فاذهلتني كما اعجبت من حضر بما جاءت به من الفكاهات العديدة التى يلتذ العقل بها وتطرب النفس من سماعها وكنت انا صامتة اكثر الوقت اتعجب من ان ... التى كانت فى الصف تستقي من معارفي اضحت فى الهيئة الاجتماعية تسقيني من معارفها . واحييت الليلة من خجلي افتكر فى اسباب تأخرى وتقدمها فكنت تارة اقول كما كنت اسمع البعض يقولون اننا نحن السوريين جيل قديم من الناس وقد بلغنا حدنا من النمو فاذا نما الفرد منا الى درجة معلومة توقف بالطبع عندها ولم يعد فيه قوة النماء . وتارة اقول ان رجالنا لا يحسنون الالتفات الينا فلا يجعلون لنا مندوحة للتقدم ، وتارة اقول اننا نحن نلتهي بصغائر الأمور عن عظائمها حتى تبينت أخيراً ان وقتي الذى كان ينبغى على ان اقضيه على استقاء المعارف من بحر اللغة الفرنساوية واللغة الانكليزية قضيته على العمل بالكروشة والاقتداء بزينة هند والتعود بعوائد وردة والاستماع لهذر نور

حتى كاد الميل الذى تربى فى للدرس وتثقيف العقل يموت مني وجرثومته تضمر وتبيد . ولذلك بكرت فى الصباح وقصدت ... المار ذكرها وسألتها عما تفعل فى ساعات البطالة فأرتني كتباً عديدة فى فنون مختلفة وجرائد وتاليف للتسلية بكل ما يفيد العقل ويكمل الانسان ويلذ للسامع والقارىء معاً . فعزمت من ساعتى على أن انفض عني غبار الكسل واخصص جانباً من أوقاتى بالمطالعة والتمعن فى ما تعلمت مبادئه والتوسع فى مباحثه لتثقيف عقلي وتهذيب اخلاقى وان اخصص جانباً آخر منها بالكتابة لرفيقاتى والحث لهن على ان يشاركننى فى هذا الامر وان اعين والدتى فى البيت فى أمور كثيرة قد اعتدنا أن ننظر اليها بعين الاحتقار ونعتدها مما يحط بنا ويختص بمن هن دوننا والحال انها من أعظم ما يطلب منا اعتباراً وفائدة ، وسأكتب لكم فى تحرير آخر عن أمور كثيرة عرضت لي خلافاً لما كنت انتظر بعدما عزمت على ما عزمت واما الآن فالواجبات تقتضى ان اختم تحريرى هذا ، وقبل ذلك أذكرك بالجمعية التى سبقنا اليها اعني بها جمعية باكورة سورية وبالخطب التى نشرتها منذ بضعة اشهر . الم تجدي فيها كلاماً يعبر عما يهيج فى فؤادك من العواطف أو لا تظنين انه يجب علينا الانضمام اليها والسعى فى تكثير عدد اعضائها بترغيب رفيقاتنا فى الدخول فيها . ان مكتوبي هذا يختلف عما جرت لي

العادة ان ابعث به اليك فلا تستغربي واعلمي ان لك عندى منزلة رفيعة من الاعتبار لما اعهده فيك من الهمة وجودة الرأى وحسن السعى فارجوك ان تتأملى ما كتبته إليك وتؤازريني بمساعدتك لنخدم بنات جيلنا ولو بالقليل الذى عندنا واقبلي مني التحيات الخ ... وطال بقاؤك لأختك ..

الضرر في تعليم الصغار

كل عضو من اعضاء الجسد إذ اتعب كثيرا قبل أن يبلغ حده من النمو يتشوه . فالطفل الصغير إذا أجبر على الوقوف قبل أن يقوى فقار ظهره وتشتد عظام ساقيه يحدودب ظهره وتتقوس ساقاه وتختل بنيته كلها . والدماغ كغيره من اعضاء الجسد فاذا اجهد الصغار بالعلم حدث فيه شيء من الخلل واختلت بنيتهم كلها . لذلك يجب أن لا يجبر الصغار على الاشغال العقلية الشاقة ولا يحرضون بالمسابقة والجوائز على الدرس فوق طاقتهم كما يجب أن لا يجبر الاطفال على الوقوف والمشي .

قلما تجد إنساناً في عينتاب لا يحسن القراءة والكتابة

من وكيلنا فى عينتاب :

جناب الخ ... من جملة مدارس عينتاب المدرسة الكلية المركزية انشاها المرسل الاميركانى القس تروبردج وتم بناؤها سنة ١٨٧٨ في أرض مربعة طولها نحو مئتي ذراع وقد بلغت نفقة بنائها ستة آلاف ليرا منها مئة ليرا هدية من جانب قرانظر افندى الارمني ومئة وستون الف غرش من الطائفة الانجيلية هنا . وهي ثلثه اقسام علمي وطبي واستعدادي وعدد تلامذتها خمسة وثمانون تلميذا منها أربعون أجانب والباقون وطنيون . وعدد أساتيذها ومعلميها اثنا عشر . ويدرس في القسم العلمي الطبيعيات والرياضيات والعقليات والأدبيات والتاريخ والانكليزية والتركية والارمنية . والمنتظر أن يدرس فيها أيضا العربية واليونانية والفرنسية .

ثم يعقب ذلك فصل طويل فى نظام المدرسة ودروسها اضربنا عن ذكره لمشابهته لنظام المدرسة الكلية السورية في أكثر الأمور .

ومنها مدرسة عالية للبنات تحت إدارة مسس برت عدد معلماتها ست منهن أربع أمريكيات واثنتان وطنيات وعدد تلميذاتها ٥٨ ويعلم فيها الارمنية والتركية بالحرف العربى والانكليزي والحساب والجغرافية والتاريخ العمومى والموسيقى والخياطة على انواعها . ولا تقبل فيها تلميذة عمرها تحت عشر سنوات وقد ابتاعوا أرضا لهذه المدرسة بقصد أن يجعلوها مدرسة كلية عن قريب . واذا تم لهم ذلك أنشاوا مطبعة لطبع الكتب أيضا . ومنها مدرسة لليتامى عدد تلاميذها ٤٤ تلميذا تحت ادارة البارون هاروتين ملاجيان» ومنها ست مدارس أخرى بسيطة . قال بعض أهالى عينتاب كنت اذا أتانى تحرير قبل ثلاثين سنة أطوف على ٦٠ أو ٧٠ بيتا حتى أجد من يقراه لي وأما الان فقلما أمر بانسان لا يحسن القراءة والكتابة .

ديكور

الاعتبار الأول ليس للمال

الناس يتفاوتون فى القيم بتفاوتهم فى الهمم، والبيوت تتفاوت فى البهجة بتفاوتها فى الترتيب فكم من غنى لا قيمة له ولا اعتبار لضعف همته وكم من فقير له المنزلة الأولى فى عيون الناس لعلو همته . وكم من بيت أنفقت عليه قناطير مقنطرة من الأموال ولا ترتيب فى بنائه ولا ذوق فى اثاثه . وكم من كوخ لا يسع غير سكانه والعين لا تشبع من النظر إليه وإلى ما فيه لحسن ترتيبه ونظافته .

الوان الكراسى والموائد وما يوافقها من الوان الأثاث

كل ذي ذوق سليم يشعر من نفسه ان بعض الألوان يوافق بعضاً ويخالف بعضاً فالاحمر مثلا يوافق الأخضر ولا يوافق الأزرق ، والازرق الفاتح يستحسن على الشخص الأشقر ولا يستحسن على الأسمر وهلم جرا . ومهما كان اثاث البيت فاخراً ولباس الانسان ثميناً فلا يروقان للنظر ما لم تراع فيهما شروط موافقة الألـــوان ومضادتها . فاذا كان خشب الكراسى والموائد من الأحمر يوافقها من الوسائد والاغطية الأخضر على انواعه ولا يوافقها الأحمر الفاتح ولا القرمزى لأن الأحمر متمم الأخضر فتظهر حدود كل منهما وذلك من شروط الجمال فى الأثاث . واذا كان خشبها اصفر كخشب الليمون والسنديان يوافقها الأزرق الفاتح والبنفسجى الفاتح . وما قيل فى الوسائد والاغطية يقال فى البسط والطنافس أيضاً .

الوان الستارات (البردايات)

احسن لون الأخضر الفاتح لانه يوافق لون الكراسى والموائد التى تكون غالباً من المهوكني ويوافق أيضاً براويز الصور التى تكون غالباً مذهبةوهيئة الناس سواء كانوا صفر الألوان أو كانت الوانهم مشربة بالحمرة . أما الأحمر والبنفسجى فلا يناسبان لون البشرة . والبرتقالى وكل الألوان البسيطة تتعب البصر .

اختلاف الوان الأثاث باختلاف الغرف

فى البيت الرحب غرفة للقعود واخرى للاكل واخرى للمكتبة وما بقى من الغرف فللمنامة وقد يكون فيه قاعة كبيرة يستقبل فيها الكبار والذين زيارتهم عزيزة . ويجب ان يختار لكل واحد من هذه الغرف من الفرش والأثاث والتزويق ما يناسبها لونا . فغرفة الاكل يكون لون اثاثها معتماً مثل لون خشب الجوز الذى تصنع كراسيها منه والقاعة يكون لون اثاثها زاهياً بهيجاً واكثر اشراقاً من لون الحيطان والسقف . وغرفة المقعد يكون لون اثاثها بين غرفة المائدة والقاعة . والمكتبة يكون لون اثاثها مما يدل على المهابة والوقار ويجتنب فيها كل الألوان الفاتحة البهيجة . وغرف المنامة تكون الوان اثاثها بهيجة زاهية . وما قيل فى هذه الغرف لا يقتصر على الاثاث بل يطلق ايضاً على الحيطان والسقف اذا كانت مدهونة .

كتبي .. أولادي ..

بقلم : حسني شحادة

عالم الكتب عالم متسع اتساع العالم ، بارضه ومائه وسمائه ، لأنه عالم المعرفة المتجدد ، مادامت هناك حياة .

فى كتاب «الكتب والناس والأمكنة» يقول مؤلفه «جلبرت هايت» عبارة لاأزال اذكرها : «إن قراءة الكتب لذة ومتعة ، ولكن الاكثر إمتاعاً ، الحديث عنها» .

صحبتى مع الكتب كانت منذ نيف وعشرين عاماً ، فكانت صحبة انقلبت الى الفة ، فمحبة فعشق ، وعلشق الكتب أسمى وأرفع من كل العاشقين ، فلا يكاد يتسلى عن حبه ، حتى يدفعه الشوق الى حب جديد ، حد قول الشاعر :

وذو الشـــوق القديـــم ، وإن تســـلى
مشـــوق حيـن يلقـــى العاشـــقينا

وقد يتوب صاحب العادة عن عادته ، ويقلع عنها لغير ما رجعة ، إلا عاشق الكتب ، فان طول العهد ، يزيده تعلقاً بها وإصراراً عليها ، ذلك ، لأن الكتـــاب مفتـــاح المعرفـــة ، والمعرفـــة كنز الحياة ، وينبوع السعادة فيها ، وكلما زاد الانسان شوقاً اليـــها ، أحبها ، وشغل فى البحث عنها ، وسعى لادراكها ، أصبحت حياته أعمق معنى ، وأوسع مدى ، وأعظم أثراً ، وأجل قدراً .

إن الكتب عنـــدى مثـــل أولادى ... أكبـــاد تمشى على الأرض

● ●

لم يكن الانسان ــ فى أى وقت مضى ــ مسلحاً بمعطيات ثقافية أفضل مما هو عليه اليوم ، فوسائل الثقافة كثيرة وكبيرة . من سمعية وبصرية ، ومطبوعات ، ولكن بالرغم من كل هذا ، يبقى الكتاب ، مادة المطالعة الرئيسية ، لماذا ؟

لأن الكتاب هو عصارة العقل البشرى ، ونتيجة الجهد الانسانى ، وثمرة النضج الفكري وخاصة تجارب الانسانية فى تاريخها الطويل ، منذ غابر الأزمان ، وحتى مدى حياة الانسان .

الكتاب يضم بين دفتيه ، تاريخ الماضى ، ومعالم الحضارات السابقة ، ومشعل الطريق للحضارات الآتية . فهو يحتوى آمال البشرية وآلامها ، ومآثر انتصاراتها ، وأسباب هزائمها ، إنه الابداع الذى يبنى عليه صرح المستقبل ، ثقافة وحضارة .



لا يقوم سلطان الكتاب ، على كمية المعلومات التى يضمها بين دفتيه ، بل يقوم على الامكانية التى يقدمها لنا ، طريقاً للبحث الدائم عن المعرفة. وعلى هذا ، فان القيمة الأصيلة لأى وسيلة من وسائل الثقافة ، لا تقاس بكمية المعارف التى تقدمها للفكر ، بل تقوم ــ قبل كل شىء ــ على نوعية التعمق الشخصى ، وعلى مجال البحث الذى تمنحه هذه الأداة للفرد ، قراءة ، وبحثاً ، وتحصيلا ، فالتثقيف هو محصلة الجهد الشخصى ، والابداع هو استخلاص نتائج ذات قيمة للانسانية .

ويحضرنى فى هذا المجال ، مقولة البروفسور «هيرشبرج» صاحب تجربة التثقيف الذاتى ، عندما أتم كتابه الشهير «الثقافة العامة» : «هذا كتاب ألفته ، وإن ما عملته ، يستطيع كل شخص أن يعمله ، لذلك فانكم قادرون على عمل خير منه وأحدث» .

● ●

عصرنا هذا ، عصر إلغاء المسافات ، فى الزمان والمكان ، والجمود عند أسلوب حياة معين ، بعيداً عن الكتب التى تحمل أفكار التقدم ، وأساليب التطوير والتجديد ، تجعل المجتمع راكداً ، ولا يقف المتعلمون فيه حيث هم ــ عند حد معين من المعلومات ــ بل إن المعلومات والمعارف التى يحتفظون بها ، تتبخر تباعاً ، أو يفوتها الزمن ويتعداها ، ليسود المجتمع تخلف وتأخر ، ينعدم فيه الابداع ، وينقرض فيه التقدم . ولذلك قالوا :

«إن مجتمعاً قليل الكتب ونادر الكتاب والقراء مجتمع يستحق الرحمة ، حيث تضعف القوى العقلية عند أفراده ، وتنفك الروابط الفكرية بين بنيه ، فيسيرون بخطى سريعة نحو التأخر والزوال ، أما المجتمع الذى يقرأ ويكون للكتاب عنده اعتبار ، ويتبادل أفراده الأفكار والآراء ، هو مجتمع قادر على الحياة والتطور والتقدم والابداع» .



إرو عَطشَكَ مَعَ

تيم

الدوحة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

إشعاع ثقافي من دوحة الخليج يحقق النجاح على امتداد الوطن العربي

الأهرام

شهادة



تأسس سنة ١٨٧٥

القاهرة في ١٩٨٢/٣/٢٨

رئيس تحرير مجلة الدوحة
ص.ب : ٢٣٢٤ ـ الدوحة
قطر

بعد التحيه

نتشرف أن نحيط سيادتكم علما بتطور توزيع مجلتكم الغراء "الدوحه" في جمهورية مصر العربيه خلال عام ١٩٨١ والربع الاول من عام ١٩٨٢ ومقارنتهما مع نتائج التوزيع خلال عام ١٩٨٠ :

البيان	الموزع	المرتجع	الصافي	نسبه الزياده
متوسط عام ١٩٨٠	١٣٠٠٠	٢٨٤٥	١٠١٥٥	—
متوسط عام ١٩٨١	١٧٩٠٠	١٨٦٥	١٦٠٣٥	٥٨٪
متوسط الربع الاول من عام ٨٢	٢٠٠٠٠	١٣٥	١٩٨٦٥	٩٦٪

ويتضح من البيان السابق أن متوسط مبيعات العدد الواحد خلال عام ١٩٨١ قدرها ١٦٠٣٥ نسخه بزياده قدرها ٥٨٪ عن متوسط مبيعات العدد الواحد خلال عام ١٩٨٠.

ايضا متوسط مبيعات العدد الواحد خلال الربع الاول من عام ١٩٨٢ قدرها ١٩٨٦٥ نسخه بنسبه زياده قدرها ٩٦٪ ، ونظرا لزياده الطلب على المجله وانخفاض نسبه المرتجعات نرجو التكرم بزياده الكميه المرسله لتصبح ٢٥٠٠٠ نسخه اعتبارا من العدد القادم.

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الشكر ...

نائب المدير العام
لشئون التوزيع والاشتراكات

صلاح الغمرى